

وعوق الحى

مجة شهرة تعنى بالدراسات الامامية
وشقون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الرابع * السنة الخامسة
شعبان 1381 - جانفي 1962
ثمن العدد: درهم واحد

العدد الرابع

الطبعة الخامسة

شعبان - 1381

جانفي - 1962

دعوة الحق

مجلة تصدرها

وزارة

عموم الأوقاف

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف - الرباط - المغرب

بيانك إداري

صورة الغلاف

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الأوقاف -
الرباط - المغرب .

الإشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما
فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك إلا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -

DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

أو تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :

مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الأوقاف -
الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية
والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .

في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب السى :

« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الأوقاف - الرباط

تليفون 308-10 - الرباط



ولاس - منطقة جبلية تكسوها

غابات كثيفة يرتادها هواة الصيد

صياغة مشروع بجامعة إسلامية

لفضيلة الاستاذ ابو الاعلى المودودي

مفتنون بالحياة الغربية ، مهزومون امام الثقافة العصرية الخلافة ، فهم يقودون قطار الامة الاسلامية الى جهة تخالف جهة الاسلام ولا ياتي يوم الا وهم فيه اسرع سيرا الى تلك الجهة .

ومنهج لا يخرج الا علماء للعلوم الدينية يفقدهم معرفة العلوم الدينية الحديثة . فلذا تقتصر دائرتهم في القيام بواجب المحافظة على ناحية دينية من نواحي حياة المسلمين العديدة ولا يتحلون ، في اي مكان في الدنيا ، بالصفات والكفاءات التي تؤهلهم لقيادة قطار المسلمين في هذا الزمان وانما وظيفتهم في كل مكان وظيفة الفرملة Brake في جهاز القطار او بعبارة اخرى ان وظيفتهم تقتصر على اقامة الحواجز امام سير القطار الذي تقوده الفئة الاولى حتى تهدأ سرعته . غير اني ارى بأم عيني ان هذه الحواجز طرا عليها الضعف بل قد كسرها في بعض الدول الاسلامية السائقون المتمردون الشرسون وبدأوا يسوقون قطار بلادهم على خط الاتحاد والفسوق والخلاعة والمجون غير عابئين بشيء في ذلك . فيجب علينا ، قبل ان يستفحل الامر ويستشري الفساد ويأتي يوم تتحطم فيه تلك الفرملة التي لاتزال تعمل بعض عملها في بقية الدول الاسلامية ، ان نعمل الفكر والرؤية في وضع منهج للتعليم يخرج علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمدنية معا ، ولا يكونون بمنزلة الحواجز ، بل يتجاوزون مكان السائق في قطار حياة المسلمين ، ويتفوقون على المتخرجين تحت منهج التعليم الغربي في اخلاقهم وصفاتهم في جانب ، وفي مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية في الجانب الاخر .

نرى رجال العلم والفكر في مختلف اقطار العالم الاسلامي ينادون بين يوم وآخر بضرورة ادخال تغيير اساسي على نظم التعليم والتربية التي يتربى عليها المسلمون في العصر الحاضر ويدعون الى اقامة مؤسسات تعليمية ، على الطراز الحديث ، تحلي الشباب الاسلامي بمؤهلات تكفله لمهمة ارشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر وفق وجهة نظر الاسلام . واما ما اسس في الآونة الاخيرة من المعاهد لهذا الغرض في مختلف البلاد الاسلامية ، فلا تكاد نرى احدا من ذوي العلم والرأي يطمئن بها قلبه اذالقى نظره على اوضاعها ومناهجها للتعليم وما اتت به من النتائج . فمن الواضح ، وضوح الشمس في رابعة النهار ، ان الحاجة التي تمس العالم الاسلامي كله في هذا الزمان ليست هي الى كلية للشرعة تعد علماء على الطراز القديم ولا الى جامعة عصرية تخرج ماهرين في العلوم الغربية على الطراز الحديث ، بل هي تعدو هذا وذلك الى جامعة تكون حملة للواء الاسلام كنظام الحياة في هذا العصر .

ان العالم الاسلامي - من اندونيسيا شرقا الى مراكش غربا - انما يجري فيه منهجان للتعليم والتربية :

منهج لا يخرج الا الافراد المتحلين بعقلية الغرب ، المصطبغين بصبغة ثقافته حذو القذة بالقذة ، وهؤلاء هم الذين يسرون اليوم دفة الحكومات في معظم الدول الاسلامية الحاضرة وفي ايديهم ازمة امسور الاقتصاد والسياسة والمدنية فيها . ومن دواعسي الاسف ان اغلبيتهم جاهلون كل الجهل بما للدين الاسلامي من الهدى والتعاليم في امور الحياة البشرية،

4 - ينبغي ان يكون بابها مفتوحا على مسلمي الدنيا جميعا حتى يقصدها الطلاب من جميع نواحي الارض اذا شأوا .

5 - ينبغي ان يكون وسطها وسطا اسلاميا بكل معنى الكلمة حيث يتحلى الطلاب بالتقوى والاخلاق الفاضلة ويفرس فيهم الولوع بالثقافة الاسلامية ، ويجب ان يعمل كذلك على حفظها من تأثيرات الثقافة الغربية ونفوذها حتى لا ينشأ في طلابها تلك العقلية المهزومة التي ترى بوادرها تغشو بكل سرعة في الامم المغلوبة المفتنة بحضارة الغرب وثقافته في كل مكان . ومن الواجب - لهذا الغرض - ان يكون استعمال اللباس الغربي غير مسموح به في حدود هذه الجامعة وان تروج فيها لتربية الطلاب تربية رياضية ركوب الخيل والسباحة والرمي واستعمال الاسلحة والتمرن على سوق السيارة والدراجة النارية وما اليها من الالعاب الرياضية الجديدة الاخرى بدلا من الالعاب الغربية . كما انه من المستحسن ان يدرب فيها الطلاب على التربية العسكرية الى جانب هذه الالعاب .

6 - يجب ان لا يكون اختيار الاساتذة للتدريس فيها على اساس الخبرة والكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب ان يكون اساتذتها - قبل كل شيء آخر - متحلين بصفات الصلاح والتقوى من حيث عقائدهم ومن حيث حياتهم العملية معا . كما يجب ان يختار الاساتذة من مختلف اقطار العالم الاسلامي بعد اجراء الفحص الدقيق واعمال الروية البالغة ، ممن لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة العلمية فحسب ، بل يكونوا ، قبل كل شيء آخر ، مسلمين بكل معنى الكلمة من حيث عقائدهم وافكارهم وميولهم ، متمسكين باحكام الدين غير مفتنين بالحضارة الغربية . بل ارى كذلك من اللازم ان تكون على اطمئنان كامل وثقة وافرة باهل بيتهم حيث لا يكونوا احرازا من التمسك باحكام الشريعة وآدابها ومتعدين لحدودها . وذلك ان الاساتذة اذا كانوا يسكنون في دائرة الجامعة مع زوجاتهم وهن متبرجات سافرات وترتفع من بيوتهم اصدقاء الاغنية الخليعة ، فمن المستحيل ان يتربى الطلاب على ايديهم تربية حسنة تتفق واغراض الاسلام السامية .

7 - يجب ان يربى فيها الطلاب تربية تحليهم بالصفات الآتية بوجه خاص :

هذه حاجة ملموسة لانرى مؤسسة تربوية تقوم بتحقيقها في العالم الاسلامي ، ان الفلق يقض على جميع اهل العلم والرأي مضاجعهم وهم يتفكرون اي معجزة يمكن ان تحفظ على هذه الامة دينها من الفساد النهائي ، واخلاقها من الانحلال التام لو لم يبرز الى الوجود نظام للتعليم والتربية يحمل في طياته المزايا المذكورة آنفا . ومما لا يرتاب فيه احد ان وضع منهج للتعليم كهذا ، يتطلب من الوسائل ما لا يقدر على تهيئته الا الحكومات ، واكثر الحكومات الحاضرة في العالم الاسلامي قد تبرع على كراسيها رجال لا يخفى على احد عقليتهم واتجاهاتهم .

ولهذا - والحالة كما قلت - لم اجد بدا ، امام هذه الحاجة الملحة ، من ان اقدم الى العالم الاسلامي ما اجد في ذهني من مشروع لمؤسسة تعليمية منشودة املا ان يتفكر فيه اهل العلم ، وان يقض الله لحكومة من الحكومات المسلمة الحاضرة اخراجها الى الوجود او ان يشرح صدور بعض اهل الشراء والايادي البيضاء في الدنيا لهذا الغرض وما ذلك على الله بعزيز

* * *

وفي ما يلي اذكر على وجه الاختصار ما اجد في ذهني من الاقتراحات بخصوص جامعة اسلامية على الطراز الجديد :

1 - ان اول شيء واهم بالنسبة لهذه الجامعة هو ان تحدد غايتها تحديدا واضحا حتى لا يوضع كل نظامها الا على حسب هذه الغاية ، ولا يعمل فيها العاملون الا واضعين هذه الغاية نصب اعينهم ، ولا ينظر اليها عامة المسلمين الا من ناحيتها ولا يعتبرون نجاحها في اداء رسالتها الا على مدى نجاحها فيها . وعندئذ ان جامعة كهذه يجب ان تكون غايتها : « اعداد علماء صالحين يتولون مهمة ارشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر الجديد وفق احكام دين الحق ومبادئه »

2 - يجب ان تكون دائرة هذه الجامعة محدودة في العلوم الاسلامية . اما العلوم الاخرى فانما تدرس فيها باعتبار انها مساعدة للعلوم الاسلامية لا باعتبار ان الجامعة تهدف الى اعداد الماهرين فيها .

3 - يجب ان تكون هذه الجامعة سكنية لا تكون سكنى الطلاب ولا سكنى الاساتذة الا في داخلها .

أ - الاعتزاز بالاسلام وثقافته والعزيمة على اعلاء كلمته في الدنيا .

ب - التخلق بالاخلاق الاسلامية والمحافظة على الاحكام والشرائع الاسلامية .

ج - التفقه والبصيرة الاجتهادية في الدين .

د - النزاهة من الطائفية وضيق النظر في امور الدين .

هـ - المؤهلات الكافية للكتابة والخطابة والمناقشة والكفاءات المناسبة للقيام بمهمة تبليغ الدين والدموة اليه .

و - التعود على الجهد والمشقة والنشاط وخشونة العيش والاعتماد على النفس في انجاز جميع الاعمال .

ز - الاستعدادات اللازمة للتنظيم والادارة والقيادة .

8 - يجب ان لايقبل للالتحاق بها الا الطلبة الحاصلون على شهادة اقسام الدراسة الثانوية . اما الطلاب من البلاد العربية فيمكن لهم ان يلتحقوا بها راسا . واما الطلبة من البلاد غير العربية فان لم يكن لهم المام كاف باللغة العربية ، يجب ان يكون هناك قسم خاص لتعليمهم اللغة العربية مدة سنة واحدة حتى يتأهلوا للاستفادة من الدروس باللغة العربية قبل التحاقهم بالجامعة .

9 - يجب ان تكون مدة الدراسة فيها 9 سنوات بتوزيعها على ثلاث مراحل :

اما المرحلة الاولى فيدرس فيها الطلاب ماياتي من العلوم (على ان تقسم دراستها على اربع سنوات بطريقة متناسبة وينال الطالب اذا نجح شهادة البكالوريوس

أ - العقائد الاسلامية بالتفصيل الآتي : عقائد الاسلام بموجب الكتاب والسنة والدلائل النقلية والعقلية التي تقوم عليها هذه العقائد ، كما انه من اللازم ان يدرس الطالب بهذا الصدد : كيف وبأي ترتيب ظهر ما ظهر بين المسلمين من الخلافات في العقائد ؟ وكم يوجد في الدنيا اليوم من المذاهب على

اساسها ؟ وينبغي ان لا تكون هذه الدراسة للعقائد متجاوزة لحدود البيان العلمي المجرد مع الابتعاد الى حد الامكان - عن المحاربة في العقائد .

ب - النظام الاسلامي للحياة : يعرف الطالب في هذه المادة بنظام الاسلام المتكامل للحياة البشرية حتى يكون على معرفة تامة بالتصورات الاساسية التي ينهض عليها بناء الاسلام وكيف انه يشكل على اساس هذه العقائد الاخلاق والسلوك الانساني وما هي المبادئ التي ينظم عليها في المجتمع مختلف شؤون البشر من الحياة العائلية الى الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وما هي الصورة التي تبرز عليها حضارة الاسلام .

ج - القرآن : يدرس الطالب في هذه المرحلة القرآن من اوله الى آخره مع تفسيره الموجز . والافضل عندي لهذا الغرض ان لا يقرر للتدريس في هذه المادة كتاب خاص في التفسير ، بل على الاستاذ ان يراجع بنفسه مختلف كتب التفسير ثم يلقي دروسه على الطلاب على ضوء استفادته منها بحيث يدرك الطلاب غاية كتاب الله تعالى ومقصوده ويرتفع عن اذهانهم ما يجدون فيها من الشبهات حول تعاليمه واحكامه .

د - الحديث : وفي هذه المادة ، بعد ان يعرف الطالب الى الحد الضروري بتاريخ علم الحديث واصول الحديث والبراهين على الاحتجاج بالحديث ، يدرس احد مجاميع السنن كمنتقى الاخبار او بلوغ المرام او مشكاة المصابيح مثلا .

هـ - الفقه : وفي هذه المادة ايضا بعد ان يدرس الطالب كتابا مختصرا في تاريخ الفقه يلحق تعليم الفقه بأسلوب يعرفه بمذاهب مختلف الفقهاء في جانب ، وكيف استنبط الائمة المجتهدون المسائل من ادلتها الشرعية في الجانب الآخر .

و - التاريخ الاسلامي : وفي هذه المادة يدرس الطالب اولا تاريخ الانبياء عليهم السلام ثم يدرس السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، وسيرة الخلفاء الراشدين بما يمكن من البسط والشرح ثم يدرس التاريخ الاسلامي الى الزمن الحاضر على الوجه المختصر .

ز - العلوم العمرانية : (ولا سيما المتعلقة منها بالاقتصاد والاجتماع) ومن الواجب بالنسبة للاساتذة الذين يختارون لتدريس هذه المادة ان يكونوا ممن يستطيعون تدريسها مع نقدها بوجهة نظر الاسلام حتى لا يفرغوا الافكار والنظريات القرية في اذهان الطلاب كما هي .

ح - الامام على الوجه الاجمالي باديان العالم ولا سيما اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية .

ط - التاريخ الموجز للافكار والمذاهب الجديدة ولا سيما الديمقراطية الغربية والشيوعية والفاشية وما اليها .

ي - احدى اللغات الثلاث الآتية : الانكليزية والالمانية والفرنسية .

ك - اللغة العربية وآدابها .

اما المرحلة الثانية فتكون الدراسة فيها لثلاث سنوات منقسمة على خمسة اقسام : التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ بحيث يكون لكل طالب اذا نال شهادة اتمام الدراسة في المرحلة الاولى ان يدخل في احد هذه الاقسام الخمسة . وينال اذا نجح شهادة الماجستير

1 - اما قسم التفسير فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا - تاريخ القرآن

ب - تاريخ علم التفسير ومختلف مذاهب المفسرين مع الامام بمزاياها وخصائصها .

ج - الاختلاف في وجوه القراءة

د - اصول التفسير

هـ - الدراسة الوافية العميقة للقرآن الحكيم

و - الاستعراض الدقيق لما وجه الى القرآن من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

ز - احكام القرآن .

2 - اما قسم الحديث فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا - تاريخ تدوين الحديث

ب - علوم الحديث بكل شعبها

ج - احد امهات الكتب في الحديث مع النقد التفصيلي لمثونه واسانيده حتى يتمرن الطالب على نقد الاحاديث على طريق ائمة الحديث .

د - نظرة شاملة في الصحاح .

هـ - الاستعراض الدقيق لما وجه الى الحديث من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

3 - اما قسم الفقه فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا - اصول الفقه

ب - تاريخ الفقه

ج - فلسفة القانون الجديد

د - المقارنة بين القوانين الرومية والفارسية والشريعة اليهودية والقوانين الوضعية الجديدة والشريعة الاسلامية .

هـ - المذاهب المختلفة لفقهاء الاسلام وقواعدها .

و - التمرن على استنباط المسائل من القرآن والسنة مباشرة

ز - الفقه على المذاهب الاربعة وعلى مذاهب الظاهرية والزيدية والانعاشرية .

4 - اما قسم علم الكلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

ا - مبادئ المنطق

ب - الفلسفة القديمة والجديدة

ج - تاريخ علم الكلام عند المسلمين وتفصيل المذاهب الكلامية الناشئة بينهم للعوامل الخارجية والداخلية .

د - مسائل علم الكلام وما للقرآن والسنة من الهدى في بابها

هـ - الاستعراض الدقيق لما وجه الى الاسلام من الاعتراضات من قبل المعاندين واجوبتها .

و - المقارنة بين الاديان ولا سيما الدراسة التفصيلية لتاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها .

ز - جهود المبشرين المسيحيين وطرائق عملهم

5 - اما قسم تاريخ الاسلام فتكون الدراسة فيه العلوم الآتية :

ا - فلسفة التاريخ وغاية دراسته واسلوب دراسته بموجب القرآن

ب - المذاهب المختلفة في فلسفة التاريخ منذ ابن خلدون الى العصر الحاضر .

ج - تاريخ الجزيرة العربية والشرق الاوسط قبل الاسلام .

د - تاريخ الاسلام منذ العهد النبوي الى العصر الحاضر من جهة تطور الافكار والاخلاق والعلوم والمدنية والسياسة

هـ - الحركات لتجديد الدين واحياء دعوته في مختلف العصور

و - تاريخ الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين وآثاره فيها .

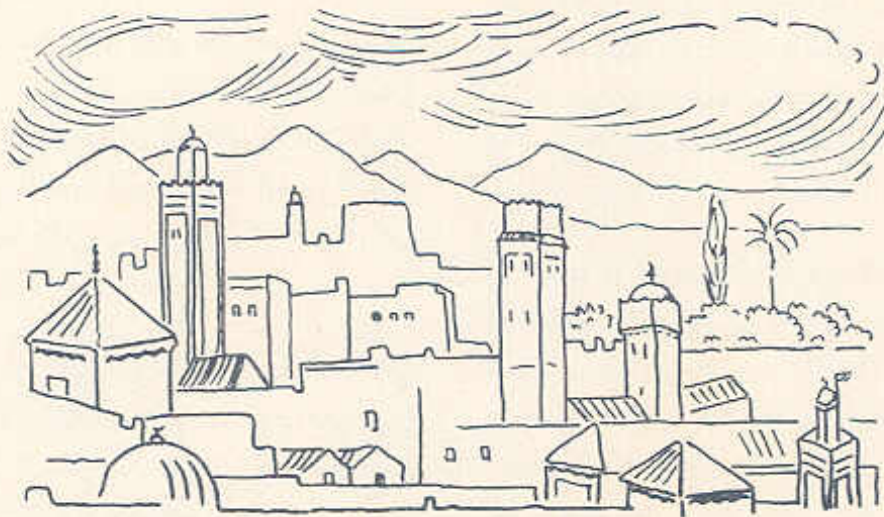
اما المرحلة الثالثة فيكون فيها لكل طالب اذا نال شهادة اتمام دراسته في المرحلة الثانية واراد التدرب على البحث والتحقيق على الطريق العلمي ان يختار اي موضوع من الاقسام الخمسة المذكورة ويدرسه دراسة عميقة تحت اشراف الاساتذة ثم يقدم فيه اطروحته بعد سنتين ، فعندئذ يمنح الشهادة بعد ما ينظر في اطروحته اصحاب العلم . وتكون هذه الشهادة شهادة الدكتوراة .

10 - يجب ان تزود هذه الجامعة بمكتبة من النوع الاعلى زاخرة بمجموعة علمية من كتب الدراسة والمراجعة على قدر حاجات الجامعة المذكورة .

11 - ويجب كذلك ان تؤلف لجنة من اصحاب العلم لاختيار الكتب المناسبة لمختلف مراحل الدراسة في الجامعة ولتختلف شعبها الاخرى .

12 - ويجب كذلك ان يؤسس مجمع علمي (اكاديمي) لتأليف الكتب الجديدة على قدر حاجات الجامعة خاصة .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



مبادئ الإسلام الديموقراطية في نواحي الحياة

- 3 -

على قواعد صريحة بينة تقود متبعها من غير شك الى السلام ، وتجنبه مواقع الخصام ، كما تجنبه مواقع الاستسلام والامتهان ، عملا بقول القران الكريم (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

هذه الروح الجديدة اعدت العرب لحمل رسالة انسانية خالدة

وبذلك تم للعرب بهذا الروح الاسلامي : اولا - اعداد انفسهم لحمل الرسالة واداء الامانة ، واشعروا في قرارة انفسهم بانهم اصبحوا خير امة اخرجت للناس فاندفعوا في طريق المجد من غير ضعف وحملوا الخير للانسانية دون تمييز ، وعملوا في هذه الطريق على بصيرة وايمان ، وحققوا لاول مرة في التاريخ وحدة العروبة في ارضهم ، ووحدة قلوبهم ، بل ووحدة لغتهم ولهجتهم على مثل وحدة القران ووحدة لهجته الى يوم الدين ، وهذا ما ادخل الاسلام في تاريخ العروبة الخالدة ، وجعله جزءا لا يتجزأ من تاريخ ابعائها الجديد .

كما تم للعرب بهذا الروح الاسلامي : ثانيا - ان اختلفت قوميتهم عن عصبية القوميات الاخرى المعروفة من قبل ومن بعد ، تلك القوميات التي تعمل وتجتمع وتموج فقط لخيرها ولصالحها ، وتفتح الارض لاستعمارها ، وتسيطر على الامم لاستعبادها ، فان العرب بعد الاسلام قد ارتفعوا بقوميتهم فوق

اقامة الاسلام دعوته على مبدأ السلم والسلام ومنه اشتق اسم الاسلام

واقام هذه الدعوة على مبدأ واحد هو مبدأ السلم والسلام ، ومنه اشتق اسم الاسلام ، وقال (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا) وقال (يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) بل اتخذ شعاره في التحية على الدوام كلمة (السلام) .

ولعل الاسلام ايضا هو وحده الذي سمي الله بعد الكلمة الجامعة لجميع معاني التقديس باسم (السلام) عوضا عن (اله الحرب) فقال : هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام .

بل وقد وصفت الليلة الذي نزل فيها دستور الاسلام وقرآنه في ليلة القدر بانها ليلة سلام فقال سبحانه وتعالى : (انا انزلناه في ليلة القدر ، وما ادراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ، سلام هي حتى مطلع الفجر) .

وبعد ، فان الاسلام بدعوته الناس اجمعين الى (الحياة) على اساس (مبدأ السلام) لم يترك هذا المبدأ مبدأ روحيا غامضا لا حدود له ولا بيان ، بل اقام جميع نواحي الحياة الانسانية ، وصلاتها مع الله والانسان

القوميّات واصبحت رابطتهم القوميّة عنوانا على حمل رسالة انسانية خالدة واداء امانة تحريرية واجبة .

قواعد الاسلام الدستورية القائمة على روح الاسلام في جميع نواحي الحياة

تلك الرسالة الخالدة هي ما جمعها الاسلام في قواعده الدستورية القائمة على روح السلام في جميع نواحي الحياة :

- في العقيدة اولا . وفي الحياة الخاصة ثانيا . وفي الصلوات فيما بين الناس عامة ثالثا . وفي النظام العام رابعا . وفي الحكم خامسا .

السلام في العقيدة اولا ووقائع ذلك مع المسيحيين

ففي العقيدة فرض دستور الاسلام السلام اولا ما بين العلم والعقل من جهة ، وبين العقيدة من جهة ثانية ، واختص في خطابه الذين يعلمون والذين يعقلون كما مر معنا انفا ، فقال : (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) وقال ايضا (نفسل الآيات لقوم يعلمون) وقال (كذلك يفصل الآيات لقوم يعقلون) .

وكذلك فرض دستور الاسلام السلام في العقيدة فيما بين اصحاب الاديان فقال (لا اكراه في الدين) . وهذا لعمرى منتهى ما وصلت اليه البشرية اليوم في دساتيرها الراقية الحرة في سبيل حماية حرية المعتقدات ، مما قد سبقهم اليه الاسلام قبل اربعة عشر قرنا بكل تأكيد .

بل ذهب الى ابعد من ذلك فحض على البر بابناء الاديان الاخرى مهما كانت عقائدهم ، ما لم يقاتلونا في الدين وما لم يخرجونا من ديارنا ، فقال سبحانه وتعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين) تبارك الله العظيم انه والله لدستور سلم كريم ، لم يسبق احد اليه من الاولين ، ولا نظن ان احدا سيلحق به في الآخرين .

واعطى دليلا عمليا على ذلك حين دخل الاسلام الى مصر وبلاد الشام ووجد النزاع قائما ما بين

الكنيسة الغربية في حماية اباطرة الرومان وبتشجيعهم ، وبين الكنيسة الشرقية التي لا حماية لها وهي اصل النصرانية ، ومع ذلك فقد كان معظم رجالها يتهمون بالزندقة والاحاد ، فلما حل الحكم الاسلامي محل الحكم الروماني ، لم يثر هذه على تلك ، بل حمى الاثنيتين ولو كانت كل منهما ضد عقائد الاسلام ، فوقفت الكنيسة الشرقية على رجليها ، ولم تشعر الكنيسة الغربية باضطهاد ، وان موقف الاسلام منها هذا الموقف هو الذي يفسر موقف بطارقة حمص عندما تركهم ابو عبيدة فاتح حمص واراد ان يرد عليهم الجزية التي اخذها فاجابوه (ان عدلكم احب الينا من ملوكننا) ثم اغلقوا ابواب مدينة حمص ضد الرومان منتظرين نتيجة المعركة بين المسلمين والرومان ، وداعين بالنصر للمسلمين على الرومانيين .

بل ذهب الاسلام الى ابعد من ذلك واعطى لكل منهم حكما كنيسيا في الشؤون الدينية لم يكن ليعترف به لاحد منهما من قبل دولة الرومان النصرانية .

ولا بد ان نشير في هذا المقام الى ما سجله مؤرخو المسيحية انفسهم مما لاقته الكنيسة الشرقية في عهد الصليبيين من اقفال الكنائس الشرقية واضطهاد بطارقتها الى ان احوجوهم ان يفضلوا مواد العرب حكام البلاد الاصليين على مواد الصليبيين كما صرح بذلك صاحب كتاب سوسنة سليمان .

السلام في الحياة الخاصة

واما في الحياة الخاصة فقد فرض دستور الاسلام السلام ايضا ما بين رغبات الانسان ومطالبه في الحياة ، وما بين فكرة الاحسان والصلاح في تلك الرغبات ، فقال رسول الله (ص) : ان قوما ركبوا سفينة فافتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل في موضعه بفأس ، فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكاني اصنع فيه ما اشاء ، فان اخذوا على يده نجوا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا ، وقال القرءان الكريم في لذات الانسان : (كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال ايضا (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ..)

طبقية ، ولا عرقية ، ولا اجناس ، وقرر المساواة ما بين الجميع فقال رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام في ذلك (لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لايبض على اسود ، الا بالتقوى) وهذا ايضا منتهى ما تشده الانسانية اليوم ومفكروها ، ومنتهى ما تعمل على ادخاله في دساتيرها ، كحقوق طبيعية للانسان .

السلام في الحكم

واما في الحكم فقد فرض ايضا دستور الاسلام السلام فيما بين الناس في الحكم ، لانه فرض العدل في الحكم والمساواة في الحقوق لجميع من يسوده نظام الاسلام ولو لم يكن عربيا او مسلما ، وجهرت احكام الاسلام في ذلك لغير العرب ولغير المسلمين فائلة (لكم ما لهم ، وعليكم ما عليهم) .

اثر هذه المبادئ السلمية فيما بين ابناء العرب من مسلمين وغيرهم

وبذلك لم يعد هناك من فارق ما بين ابناء العرب مسلمهم وغير مسلمهم في الافتخار بحمل هذه الرسالة الى ابناء الانسانية لتسود فيهم احكامها ، كما لا يوجد فارق اليوم ما بين ابناء الدولة الواحدة الحديثة على اختلاف اديانهم ممن يدنون بدساتيرهم المتحررة ويفتخرون بها ما دامت تقوم على هذه القواعد العامة للانسانية ، والمبادئ الخالدة .

اثر هذه المبادئ السلمية فيما بين العرب وغيرهم

وبذلك ايضا لم يعد هناك من فارق ما بين عربي وغير عربي في الافتخار بحمل هذه الرسالة وادائها ، والانضواء تحتها ، والاخذ بمبادئها الدستورية ، والتقدیس ان نادى بها ودعا اليها ، وما تقدیس المسلمين غير العرب للعرب ، والايمان بهم ، والافتخار بالالتحاق بهم ، والانضواء تحت لوأنتهم ، ممجدين العرب من غير غل ، ومفتخرين بها من غير شك ، الا اثر هذه العروبة التي بلغت في ظل البعث الاسلامي كما اراده الله اآخر مرحلة من مراحل تطورها ، فكانت من قبل الاسلام قومية عربية عصبية كفيها : يجتمع اصحابها ليعيشوا لانفسهم ، فاراد الله لها بالاسلام

وهكذا لبى الاسلام في ذلك رغبات الانسان ولذاته الشخصية من غير عدوان على احكام العقل ، ولا حيف على طبيعة الانسان كاتسان ، ولم يشترط في الوصول الى الطيبات وزينة الحياة وما اتاه الله للانسان من منكية استخلفه فيها غير الطريق المشروعة ، والعمل الصالح ، وان يحسن فيما اتاه الله كما احسن الله اليه ، وان لا يبتغي الفساد في الارض .

وان كل مطلب خاص للانسان يتجاوز هذه الحدود فهو ممنوع عليه ، لانه يخرج الانسان من نطاق السلام الى نطاق البطلان والفساد ، وقد قال الله سبحانه وتعالى في ذلك (ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل) وقال ايضا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن اليك ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين) وقال ايضا (امنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وبذلك احتفظ الاسلام للانسان بمكانه في الوجود كاتسان ، وبحظوظه فيه ، واباح له ما شاء من الحظوظ ، وما اتاه الله من علك استخلفه فيه : بشرطين اثنين فقط هما الاحسان وعدم الفساد ، ولم يشأ ان يرتفع بالانسان من عالمه الى عالم ليس هو منه وهو عالم الارواح الخالصة ، ولا ان يهبط به الى عالم الشياطين

السلام في الصلوات فيما بين الناس عامة

واما في الصلوات فيما بين الناس عامة فقد فرض ايضا دستور الاسلام السلام فيما بينهم ، وقال في سبب جعلهم شعوبا وقبائل انها كانت وسيلة لتسهيل التعارف والتقارب فيما بين الناس ، لا وسيلة ليرتفع بعضهم على بعض ويتخذ بعضهم من انفسهم الهة من دون الله فوق الاخرين ، وقد قال القرءان الكريم في ذلك : وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) واستل بذلك من نفوس المسلمين ما رسخ في نفوس جميع الاقدمين والكثيرين من الحديثيين من رجحان شعب على شعب في الحقوق والكرامة ، وتجريد الكثيرين من بني الانسان من حقوقهم الحرة في الحياة والسيادة .

السلام في النظام العام

واما في النظام العام فقد فرض دستور الاسلام السلام ايضا ما بين الانسان واخيه الانسان : فلا

ان تتم مرحلة تطورها الصاعد ، فغدت قومية عربية انسانية ، يجتمع اصحابها ليعيشوا لهم ولغيرهم من الناس ، وبذلك جعلهم خير امة اخرجت للناس ، وبذلك ارتفعت قوميتهم الى عرش القوميات الخالدة بل انفردت به حتى الان دون غيرها من العالمين ، اذ لا نجد وراء العرب وعلى طريقهم من سار سيرتهم ، والله يؤتي فضله من يشاء ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته .

خاتمة البحث ووجوب المجاهرة بشخصية الاسلام السلمية

وبعد ايها القراء الكرام ، فهذا هو الاسلام في مبادئه الدستورية

فهو سلام في اسمه

وسلام في تحيته

وسلام في ليلة نزوله

وسلام في اسم ربه

وسلام في عقيدته ما بين العقل والايمان

وسلام فيما بينه وبين اصحاب الاديان

وسلام واحسان في مطالب الحياة الخاصة

وسلام وبر فيما بين الاخدين بمبادئه وبين سائر الناس ما لم يقاتلوه في الدين او يخرجوهم من الديار فانه عندئذ فقط حرب على الظلم والعدوان وذلك ايضا في سبيل السلام .

وهو سلام ايضا في النظام فلا طبقية ولا عرقية

ولا اجناس

وسلام في الحكم وعدل في الحق ما بين العرب وغير العرب ، وما بين المسلمين وغير المسلمين .

واخيرا وبكلمة واحدة : فهو سلام في سلام .

ونحن اليوم في عهد العلم ، وفي عهد سلطان العقل ، وهو عهد يرحب به الاسلام ، وتحية مبادئه الاسلام .

فما كان يضربنا بالامس من ضيق العقول ، وجهل المخاطبين ، ويحملنا على اخفاء شخصية الاسلام في شخصية المبادئ الديمقراطية عندما يسود اصحابها ، او يحملنا على اخفاء شخصية الاسلام في شخصية المبادئ الاشتراكية عندما تشتد سواعد اربابها ، او كما ذهب البعض الى تلوين شخصية الاسلام بالوان الزعامة في عهد انتصار الزعامة النازية اثناء الحرب العالمية الثانية .

فما كان يضربنا بالامس ويحملنا على اخفاء شخصية الاسلام لم يعد يضربنا اليوم ، فقد تفتحت العقول وانتصر العلم ، واصبح العالم اجمع في حضارته الحديثة كأنه اسرة واحدة ، وتشوقت النفوس بعد ما اصابها من مآسى الفرقة وتناحر المبادئ الى صوت السماء وصوت السلام ، فاعلنوا للعالم بمبادئ الاسلام وقواعده الدستورية ، كما اشرنا اليها ، فانها السبيل الوحيدة لضماد جروح الانسانية ، وانها السبيل الوحيدة لجمع الكلمة فيما بين ابناءها والتعايش فيما بينهم بسلام ، على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم واديانهم واغراقهم دون المساس بها واسمعوهم قول السما وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم فاستمسك بالذي اوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون .



موقف الإسلام من التطور الاجتماعي وفقاً لمقتضيات العصر

= للدكتور =

محمد البهي

هذه العلاقات السلم الا عند مواجهة ضعيف لقوي بين الافراد ، اما قاعدة التعامل فهي الاحتكاك عند السعي نحو ما يسد حاجة البطن او بنفس عن شهوة الفرج .

ليست هناك علاقات في واقع الامر بين افراد المجموع الا بمقدار ما يقع بينهم من احتكاك واصطدام من اجل تحقيق ما اشترنا اليه من هدف : ليست هناك علاقات اسرية . اي ليست هناك علاقات ابوة وبنوة وامومة ، واخوة .. الى بقية انواع القربى في الاسرة ، التي تقوم على الدم المشترك ، والوراثة العقلية والمادية ، والوضع الذي لهذه الاسرة . نعم ينسل الافراد بصلة الذكر بالانثى بحكم التفاعل الطبيعي بين الموجب والقابل . ولكن قلما يوجد الشعور بنوع القرابة الاسرية . بمعنى انه قلما توجد هناك رعاية من اب لابنه ، او رعاية من ذكر لانثى انتج منها ولدا . وعلى معنى انه قلما يوجد هدف هو المحافظة على الاسرة ، بالسعي في توفير العيش لها ، وبالدفاع عن افرادها ، ان احتاج الامر الى الدفاع عنها ، وصيانتها من الابادة او الافناء . بل كثيرا ما يضطدم الذكر الاب بالانثى الام ، او يضطدم الاب بابنه ، والاخ باخيه في سبيل الحصول على لقمة العيش . وكثيرا ما لا يعرف الذكر عند الاجتماع بالانثى حرمة لامه ، ولا لاخته ، ولا للاخريات اللواتي لا يقر « المجتمع » نكاحهن من افراد معينين لانهم محارم لهم . لهذا ليس هناك حد لتعدد الزوجات . وليس هناك اطار للحل وللحرمة في التزاوج . بل ربما لا يوجد رقم معروف يحدد الافراد الذين ينتمون الى نسل رجل واحد في علاقته بعدد من الاناث .

لكي يتضح الكلام في هذا الموضوع يجب ان يشرح اولا : معنى التطور الاجتماعي ، ويشرح ثانيا : معنى مقتضيات العصر .

معنى التطور الاجتماعي :

والتطور الاجتماعي هو تطور علاقات الافراد بعضهم ببعض ، بحيث يكون الجانب الاجتماعي ، او بحيث تكون النظرة الى رعاية الفرد للفرد لا تقل عن رعاية الفرد لنفسه . التطور الاجتماعي هو نمو علاقات الافراد في دائرة المشاركة الوجدانية والتعاون في سبيل العمل المثمر والخير العام للجميع ، بدلا من استمرار « الفردية » وتحكم الانانية التي توحى بها طفولة الفرد ، وطفولة المجتمع .

ولكي ندرك معنى التطور الاجتماعي ادراكا لا ليس فيه نعود الى الجماعات البدائية ، التي لم تنع بعد العلاقات المشتركة ، ولم تقر بعد بالوجود المشترك بين الافراد ، ولم تقر كذلك بالهدف المشترك الذي يصح ان يجتمع عليه فريق من الناس ، وجملة من الافراد ، ويقومون بسبب ذلك « مجتمعا » بينهم يسعون جميعا لتحقيق هدفه ، والتعاون جميعا في سبيل بقائه .

ان الانسان البدائي لا يكون مع انسان اخر بدائي مثله « مجتمعا » وانما يتكون منه ومن نظيره « مجموع » تخضع العلاقات بين الافراد فيه للانانية، ولغريزتي حب البقاء والدفاع عن النفس دون سواهما من الفرائض الاجتماعية الكامنة في الانسان والتي لم تبرز بعد بتأثير التوجيه والايقاز . ومن ثم لا تعرف

مقتضيات العصر :

وإذا كان التطور الاجتماعي هو التحرر من سيطرة الحيوانية ، والفرائز والطفولة البشرية ، أي التحرر من سيطرة الفردية والانانية - فمقتضيات العصر ان كانت دافعة على هذا التحرر تكون من عوامله ويكون التطور عندئذ ، أخذاً طريقه الطبيعي نحو غايته الاخيرة ، وهي الانسانية فيما تتميز به من محبة ، وتعاطف ، وتواد بين افرادها .

وبذلك تحدد مقتضيات العصر تبعاً لتحديد معنى التطور الاجتماعي نفسه ، وليس تبعاً لما يوضع من رغبات ، ويوجه المجتمع نحوها بعض الكتاب والمفكرين .

فالطائفية ، والحزبية ، والمذهبية ، والعصبية ، والقبلية ، لا تعد من مقتضيات العصر .

وتحرير المرأة ، على معنى تمكينها من اداء وظيفتها في الاسرة كام ، وفي المجتمع كعضو يقع عليه عبء تمليه طبيعته كائناً - من مقتضيات العصر .

والدعوة الى تعاون الزوجين ، والى منع التعسف ، والتحكم من القوي ضد الضعيف ، والى البر ، والتهديب في معاملة كل منهما للآخر من مقتضيات العصر .

والدعوة الى عدم اساءة استعمال الحق ، في الجوار والمعاملة - وبالاخص بين الزوجين - من مقتضيات العصر .

لكن الدعوة الى تحرير المرأة ، على معنى ان تكون رجلاً آخر في صورة امرأة ، فذلك ليس من مقتضيات العصر ، لانه ضد طبيعة المرأة نفسها ، وضد التطور الاجتماعي ذاته . اذ التآلف ، والتواد ، والمحبة بين الافراد ، التي هي نهاية التطور الاجتماعي ، لا تتحقق الا اذا وقع انسجام بين الافراد وتحول فيما بعد هذا الانسجام الى تآلف ، وتواد ، وتحاب ، والانسجام لا يكون بين متشابهين تماماً . بل كلما كانت هناك مفارقة بين الطرفين ، وكلما كان هناك خروج عن التشابه التام بينهما - كان ذلك ادعى الى الانسجام بينهما . اذ عندئذ تكون حاجة كل منهما

فاذا ما ابتدا الافراد يحددون علاقاتهم بعضهم ببعض . ويدركون الاطار الذي تدور فيه هذه العلاقات - هنا يتبدى قسام « المجتمع » وكلما تحددت علاقات الافراد بعضهم ببعض ، وكلما وضح الاطار الذي تدور فيه هذه العلاقات ، وبالتالي وضحت الاهداف والغايات التي يسعى اليها هؤلاء الافراد كلما برز المجتمع ، وكلما وضحت الامارات مع وجوده القوي .

فاذا ادرك افراد الاسرة فعلا علاقات بعضهم ببعض ، وارتبطوا فيما بينهم على اساس من التعاون والرعاية المتبادلة عند الازمات التي تجد بينهم ، او تطرا عليهم من غريب عنهم ، وعرفوا حدود ما يجب ان يفعل ، وما يجب ان يترك في سبيل هذا التعاون وفي سبيل تلك الرعاية ، ووقفوا على ان لهم جميعاً هدفاً واحداً هو ان تبقى اسرتهم ، وتبقى قوية عزيزة ، في مواجهة غيرها من الاسر - هنا يكون الوعي الاجتماعي قد تيقظ بين افراد هذه الاسرة واخذ طريقه نحو غايته ، ينتقل من مرحلة الى مرحلة اقوى منها ، حتى يصل الامر بينهم الى تكتل او وحدة .

وإذا ما تجاوزت اسرة مع اسرة في العلاقات ، وارتبطت معها في الهدف هنا يكون المجتمع الكبير قد تأسس . فاذا ما اتسع نطاق العلاقات المشتركة والترابط الى عدد من الاسر ، او الى كثير من الافراد - عندئذ يكون المجتمع الانساني قد قطع جملة من المراحل في سبيل وجوده ، وفي سبيل بقائه ايضاً .

وهكذا : النمو الاجتماعي يسير في اتجاهين : بينما يتجه نحو الامتداد والاتساع ، يتجه ايضاً نحو العمق والغور . اي في الوقت الذي يسعى فيه الى جمع افراد كثيرين ، يسعى ايضاً الى تعميق العلاقات بين هؤلاء الافراد ، وتقوية الروابط الانسانية المشتركة بينهم . وعمق العلاقات بين الافراد ، وقوة الترابط الانساني بينهم يبدو اولاً : في التعاون المستمر ، وثانياً : في المحبة والاخوة . وبعبارة اخرى يبدو هذا وذلك في تحقيق اهداف الانسانية وهي التحرر عن السيطرة الحيوانية ، وسيطرة الفرائز ، وسيطرة الطفولة ، على العلاقات بين الافراد .

على الاقبياد في اتجاه واحد ، وغاية واحدة ، وعندئذ يكون الاحتكاك والاصطدام هو السائد على العلاقات بينهم ان كانت هناك علاقات .

وهنا ندرك : لماذا يعبد الله ؟ ولماذا يجب على الناس جميعا ان يخضعوا لقيادة موجه واحد ، هو الله سبحانه وتعالى :

ان عبادة الله يفرضها هذا المبدأ الطبيعي للوجود ، وهو مبدأ « التقابل » الذي هو اصل الانسجام في الحياة ، ومطلوب الانسان في حياته ان يكون منسجما مع نفسه ومع من عداه في وجوده الخاص والعام .

والتطور الصناعي في وقتنا المعاصر اذا كان في خدمة الانسانية فهو في خدمة التطور الاجتماعي ، وعندئذ يكون من مقتضيات العصر .

ومعنى كونه في خدمة الانسانية ان يبقى الانسان ذا سيادة والا تكون الآلة هي السيد . معنى ذلك ان يستخدم الانسان الآلة في رفع مستوى معيشته ، وفي وضعه الاجتماعي وفي تخفيف المرض ، وفي ازالة الجهل والامية وفي التوير والتبشير بالحياة والكشف عنها لا ان يكون عبدا ذليلا لها تقرض عليه المرق والعبودية ويكون مسخرا لها . اذ عندئذ تصبح مصدرا للقلق والاضطراب ، وبذلك تكون معوقا له عن ان يصل الى الهدف الاخير للتطور الاجتماعي ، وهو التعاون والتواد ، والتحاب بين الناس جميعا .

الاسلام وموقفه من التطور الاجتماعي وفقا لمقتضيات العصر :

الاسلام هو رسالة السماء الى البشر على هذه الارض ، وهو رسالة الله للناس جميعا ، لا فرق بين عربي واعجمي ، اي لا فرق بين فرد وءاخر ، جاء ليهدي البشرية الى الطريق الذي يصل بها الى تحقيق معنى الانسانية في حياة الانسان .

فاذا كان معنى الانسانية الاخير - كما شرحنا - هو لقاء الانسان بالانسان ومودة الانسان للانسان ، واخوة الانسان للانسان ، وتعاون الانسان مع الانسان ومحبة الانسان للانسان - فالاسلام جاء ليوقظ في الانسان هذه المعاني وينميها فيه ، ويحثه على رعايتها وعلى ان يتمثلها في سلوكه وتصرفاته .

الى الآخر امرا واضحا ، وبذلك يكون « التعويض » والتعويض مبدأ دوري في الحياة ، لانه يتجاوب مع مبدأ آخر هو اصل الحياة نفسها ، وهو « الثنائية » : القائل والقابل . والموجب والسالب . فلولا هذه الثنائية ، ولولا هذا التقابل بين القابل والفاعل ، والموجب والسالب لما اجتمع امران ، ولما وقع انسجام في الحياة اطلاقا .

ان « التشابه » التام بين شيئين سبب من اسباب الاحتكاك والاصطدام وليس سببا من اسباب الالتقاء والانسجام . اذ عندئذ كلاهما لا يشعر بحاجة الى الآخر ، او كلاهما لا يرى ان به فراغا يسده الطرف الآخر . فتساوى الرجل والمرأة في الإرادة او عدم الإرادة مدعاة الى الفرقة بينهما وليس اللقاء والانسجام ، رغم ان هناك مفارقة اخرى بينهما هي الذكورة والانوثة . والتشابه في الصفات الجسمية وفي تكوين البدن ، وفي ملامح الوجه بين الرجل والمرأة . سبب من سبب الفرقة ، وان كانت هناك مفارقة اخرى هي الذكورة والانوثة ، فالمرأة تريد رجلا . اي تريد انسانا مقابلا لها في الخصائص النفسية والبدنية . والرجل يريد امرأة ، اي يريد انسانا مقابلا له في الخصائص النفسية والبدنية . عندئذ يكون اللقاء بينهما امرا طبيعيا ، ويكون الانسجام ظاهرة اللقاء الاول . اي رجل يريد امرأة تكون لها عضلات الرجل لا واي رجل يريد امرأة تتجرد من عاطفة الانوثة ، وتكون لها الإرادة الصلبة التي للرجل ، ذلك الانسان الذي مارس الحياة ، وارتاد صعابها وازماتها ؟ واية امرأة تريد رجلا له التكوين الرقيق الذي للانثى في عضلاتها ؟ واية امرأة تريد رجلا تسيطر عليه العاطفة فيكون مترددا في قوله وفي تصرفاته ؟ . يميل حسيما تتجه به الريح ، وحسيما يكون التأثير عليه ؟

وهنا تكون « الرئاسة » او « القيادة » في المجتمع امرا طبيعيا يقوم على طبيعة هذا المبدأ الضروري . على معنى ان يكون هناك راع ، وتكون هناك رعية ، وان يكون هناك قائد او رئيس ، ويكون هناك من يتوجهون بتوجيهه ، ويتبعون قيادته . ولو فرض ان الافراد جميعا ارادوا ان يكونوا رؤساء لما كان احتكاك بينهم . ولو فرض انهم جميعا مرؤوسون بدون رئيس لما كان هناك مجتمع ، ولما كان هناك سبب يحملهم

ورسالة الاسلام تكاد تنحصر في امرين : ضغط الانانية وكبت الفردية من جهة ، وانقاذ المشاركة الوجدانية وتنمية العلاقات الاجتماعية من جهة اخرى . رسالة الاسلام هي ابعاد الطفولة الانسانية عن تصرفات الانسان ، واحلال الرشد الانساني محل هذه الطفولة لبقى الانسان متميزا ، ولتبقى له الكرامة والسيادة .

فالاسلام اذ يقول : « ولقد كرّمنا بني ادم » . لا يقصد بتكريمهم الا انه ميزهم عن غيرهم بالخصائص الانسانية . والله اذ ارسل الرسل برسالاته لم يقصد الا ان يكتنهم من الطريق الذي يهديهم الى تحقيق هذه الخصائص في سلوكهم وتصرفاتهم .

وبهذا اذا فهم التطور الاجتماعي على نحو ما شرحنا ، وفهمت مقتضيات العصر في ظل التطور الاجتماعي - كان الاسلام مصدر دفع لهذا التطور ، مصدر تقدير لهذه المقتضيات التي من شأنها ان تدفع الى هذا التطور .

اما اذا اريد بالتطور الاجتماعي مذهب سياسي خاص ، او مذهب سياسي معين فالاسلام نظام مستقل يتلاءم مع ما يتفق معه في الهدف والخطوة ويتنافر مع ما يختلف معه في هذا وتلك .

واذا اريد بمقتضيات العصر ضروب خاصة من التصرفات في المجتمعات القائمة - فقبل ان يحدد موقف الاسلام : سلبا او ايجابا منها ، يجب توضيحها اولاً .

والاسلام على كل حال ليس الا ذلك النور الذي يهدي الى الصراط المستقيم . وليس الصراط المستقيم الا ذلك الطريق الموصل الى غاية الانسانية .

الاسلام جاء ليدفع الانسان الى الخروج من الطفولة البشرية الى الرشد الانساني ، اي انه جاء لتطوير المعنى الانساني في الانسان ، جاء لتطوير المعنى الاجتماعي في الانسان ، فليس المعنى الانساني الا ذلك الترابط الاجتماعي . والات تلك العلاقات بين الافراد التي تؤسس على التعاون ، وعلى شتى انواع الرعاية بينهم . وقد رأينا ان معنى البداية هو التفكك في العلاقات بين الافراد ، او هو سيطرة الانانية ، « والفردية » او بعبارة اخرى سيطرة الحيوانية والعرائز ، دون ما يتميز به الانسان من خصائص وينفرد به عن بقية الكائنات الاخرى الحية التي لها الحركة والتي لها السعي في سبيل حب البقاء .

الاسلام جاء يحث على التعاون فقال : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » حث على البر فقال : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وعانى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وعانى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباس والضراء وحين الباس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » حث على الاحسان في المعاشرة فقال : « ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها » وعلى الاخص بين الزوجين فقال : « فامسك بيمينك او تسريح باحسان » حث على العدل فقال : « واذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا » حث على رعاية البشرية وحياتها من الظلم والفساد فقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » .

كل هذا وغيره مما حث عليه الاسلام هو دفع لنمو العلاقات الاجتماعية ، والتطور الاجتماعي .



الموازين والضوابط

- 17 -

وكذلك خلق الله الضوابط والموازن لوقف كل نوع من المخلوقات عند القدر الصالح حتى لا يطفى بعضها على بعض .

لماذا لم تسيطر بعوضة الحمى الناقص (ملاريا) على اهل الارض فتجعل اسلافنا عبر الاعصار والقرون يموتون بسببها او يكتسبون مناعة ؟ ومثل ذلك يقال في بعوضة الحمى الصفراء التي انتشرت شمالا في احد الفصول حتى وصلت نيويورك ، والبعوض كثير جدا في المناطق المتجمدة ، ولماذا لم يتطور ذباب (تسي تسي) حتى يعيش في غير المناطق الحارة ، وحينئذ يقضى على البشر ويمحوهم من الوجود ؟ ، وهنا ينبغي لنا ان نذكر الطواعين والابئة القتالة التي لم يكن للناس ما يحميهم او يمنعهم منها الى امس القريب ، ويذكر ما كان عليه الانسان من الجهل التام بقواعد الوقاية الصحية ، ليعلم ان بقاء الجنس البشري مع كثرة اعدائه امر عجيب تحير فيه الالباب هذه الحقائق العجيبة من اسرار الطبيعة تستحق الذكر والاعتبار ، وان كانت لا تكون بالضرورة برهانا تاما على وجود العناية الربانية من طريق مباشر ، ولكنها تضاف الى البراهين السابقة فتزيدها قوة ووضوحا .

ان الحشرات ليست لها رثان كما للانسان ، وانما تتنافس بواسطة انايب ، فاذا نمت وكبرت اجسامها لا تنمو تلك الاناييب بنمو الحشرات، فيتوقف نموها بسبب ذلك ، فلا تجد حشرة تزيد في طولها على بضع بوصات (البوصة هي الانتش باللفظة الانكليزية ، وقد تقدم وهي تساوي ثلاث سنتيمترات الا قليلا) ولا تطول اجنتها الا قليلا ، وبسبب تكوينها الجسمي

ما اعجب نظام الضوابط والموازن الذي منع اي حيوان ، وان بلغ من الضراوة والقوة وعظم الجسم والمكر كل مبلغ ، من التحكم في اهل الارض والسيطرة عليهم منذ عصر الحيوان القشري المتجمد ، لكن الانسان وحده قلب هذه الموازين الطبيعية بنقله الاشجار وسائر النبات والحيوان من مكان الى مكان ، الا انه قد ادى ثمن تلك السيطرة وعوقب عقابا شديدا بسبب تطور الحيوان والحشرات والنبات وما نشأ عن ذلك من الآفات .

والحقيقة التالية مثال واضح يدل على اهمية تلك الضوابط وذلك التوازن بالنسبة لوجود الانسان ، قبل ستين عديدا زرع نوع من التين الشوكي (الهندية) في استراليا على شكل سياج (زرب) وقائي ، ولا توجد في استراليا حشرات مضادة لشجر التين الشوكي ، فلذلك نمت بسرعة غريبة حتى غطى مساحة واسعة تساوي مساحة البلاد الانكليزية كلها وضايق اهل المدن والقرى ، واثف مزارعهم ، وحال بينهم وبين الزراعة ، ولم يستطع اهل تلك البلاد ان يجدوا وسيلة لوقفه عن الانتشار ، واصبحت استراليا في خطر من جراء جيش من الزرع الصامت يكتسحها ، لاطاقة لها بدفعه . وعند ذلك اخذ علماء النبات يبحثون في جميع انحاء الدنيا عن وسيلة تقاوم انتشاره ، حتى عثروا في نهاية بحثهم على حشرة لا تعيش الا على التين الشوكي ، ولا تأكل شيئا آخر ، وهي سريعة النمو والتكاثر وليس لها عدو يقاومها في استراليا ، فاخذت في اكل التين الشوكي حتى قضت عليه ، ثم قل عددها ولم يبق منه الا القدر الكافي لوقف ذلك النوع من النبات عند حده الى الابد .

وطريقة تنفسها لم توجد قط حشرة ضخمة الجسم ، وهذا الحد من نمو الحشرات منعها من الطفيلان والسيطرة ووقفها عند حدها ، ولولا وجود هذا القانون الطبي ما أمكن وجود الانسان فتصور الانسان في اول اطواره يصادف زنبورا في حجم الاسد او عنكبوتا مثل ذلك .

ولم يكتب الا قليل من انظمة انواع الحيوان الكثيرة بتلك الانظمة الفيزيولوجية العجيبة التي بدونها لا يمكن وجود حيوان ولا نبات ايضا ، واذا وجد الم يمكن استمرارهما ، وتلك الحقائق بلغت من الاهمية غايتها حتى صار ذكرها واجبا حتما ، لقد انتبه العالم الى وجود هذه الحقيقة ، وهي ان هناك اشياء كالفيتامينات ، وكان الناس من قبل يجهلون لها وعرفوا ان فقد هذه الفيتامينات يسبب امراضا : نحو بلاكرا ، وبربرز وسكرفوي وسائر الامراض التي تعرف بامراض سوء التغذية ، ولا بد ان الانسان قد عاش ملايين السنين قبل ان يعرف هذه المواد التي هي ضرورية لاستمرار حياته ، فان الاسفار الطويلة في البحر بدون غذاء تام تقضي السى مرض (سكرفوي) وقد اكتشف ان عصير الليمون دواء نافع لهذا المرض، وكان الملاحون في السفن الكبيرة في الزمن القديم يسمون عاصري الليمون ، ولم يكن الملاحون الاقدمون يعرفون سبب مرض سكرفوي وهذا الدواء البسيط اكتشفه فاسكو دي عامبا لما كان ملاحوه يموتون في مدغشقر ، غير انه مضى قرن من الزمان او اكثر قبل ان تكتشف العلاقات بين الليمون وبين اختفاء مرض سكرفوي ، وقد زال هذا المرض الفتاك وانقطع عن المسافرين في البحار بسبب ما ذكرنا ، انقضى قرن آخر او اكثر قبل ان يعرف الانسان قيمة الفيتامينات التي توجد في الليمون ، ولكنه لم يكن يعرف حينئذ ما تشتمل عليه هذه الفاكهة ، كذلك عاش ملايين السنين ايضا قبل ان يعرف وظائف المعامل الكيميائية الصغيرة المعروفة بالفقد الصم ، التي تمده بالتركيبات الكيميائية التي هي جد ضرورية له ، وهي تصنعها وتسيطر على حركاته واعماله ، اصف الى ذلك ان تلك المواد التي هي جد ضرورية له ، وهي تصنعها وتسيطر على حركاته واعماله ، اصف الى ذلك ان تلك المواد التي بلغت من القوة ان جزءا من بلون منها يحدث اثارا بعيدة المدى ، هي منطقة ، ينظم كل منها غيره ويحفظ توازنه ، وقد علم يقينا ان هذه الافرازات المعقدة اذا اختل توازنها حدث اختلال عقلي وجسمي في غاية الخطورة ، ولو عمت هذه المصيبة لاضمحت

المدنية وانحط الجنس البشري الى حالة الحيوان الاعجم ، هذا ان امكن بقاؤه ، على اننا لو اعتمدنا على هذه الضوابط والموازن وحدها التي بدونها لا يمكن وجود الحياة كما نعهدها لواجهنا بقاء الانسان بمالة حسابية تستحق قدرا كبيرا من الاهتمام عند المدافعين عن عقيدة المصادفة .

تعقيبات :

1) تعجب المصنف من التوازن الذي جعله الله بين اجناس المخلوقات بسبب التضاد الذي فطرت عليه حتى لا يطغى بعضها على بعض ويستمر بقاء كل منها بالقدر الذي يصلح به نظام الحياة وعمارة الارض ، وكل ذلك سخره الله للانسان فهو السيد الحاكم المتصرف المستغل المستمتع ، وقد جاء في كتاب الله من التنبيه على هذه القاعدة ما فيه عبرة لاولي الالباب المنصفين الاحرار ، قال تعالى في سورة البقرة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) وقال تعالى في سورة الحج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الصوامع (معابد الرهبان والراهبات التي انقطعوا فيها الى العبادة وتركوا امور الدنيا يريدون بذلك التقرب الى الله والبعد عن فتنة الدنيا حسب اعتقادهم كما قال تعالى في سورة الحديد : (ورهبانية ابتدعوها) وقد امر النبي (ص) المسلمين اذا وقع بينهم وبين النصارى قتال ان يحترموا الرهبان والراهبات ولا يتعرضوا لهم بسوء الا اذا اشتركوا في القتال . والبيع جمع بيعة وهي في الاصل الكنيسة التي بنيت قبتها على شكل بيضة ، لان البيعة باللغة السريانية هي البيضة ، قلبوا الضاد عينا كما فعلوا ذلك في ضاد الارض فقالوا (ارعا) ومن المعلوم عند من يعرف اللغة السامية ان الضاد تصعب على السريانيين والعبرانيين فيقولونها ويبدلونها بحرف آخر ، ثم عم لفظ البيعة كل كنيسة للنصارى ، والصلوات جمع صلاة ، وهي معبد اليهود ويسمى في اللغة العبرانية المستعملة الى اليوم (بيت تفلأ) اي بيت الصلاة ، والمساجد معابد المسلمين وقد جاء الاسلام باحترام هذه المعابد وسلط على كل ظالم مقاوما يردعه ويرده عن غيه وما احسن قول الشاعر :

وما من يد الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيبلي بظالم

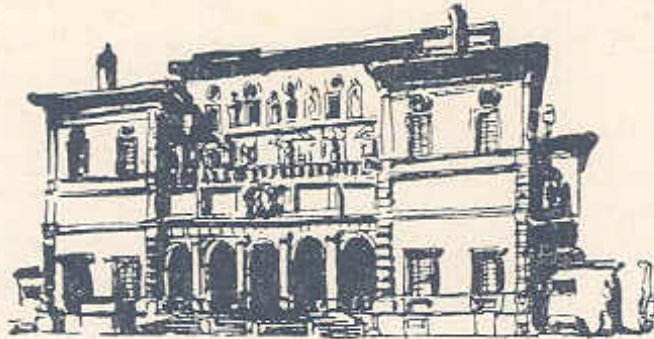
هذا فيما بين البشر وكذلك انواع الحيوان يأكل بعضها بعضا ، ولا ينقرض اي نوع من الانواع المقيدة الصالحة للنساء واذا انقرض يخلفه نوع اجود منه وقد يقع التصاول بين النبات والحيوان فيكون احدهما غذاء للآخر ، والاكثر ان يكون النبات هو المأكول .

(2) قوله : لكن الانسان وحده قلب هذه الموازين الطبيعية) ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ووزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وانما ساد الانسان وتحكم في نواصي غيره من الحيوان وان بلغ الغاية في القوة وغضامة الجسم بالعقل والتفكير والنطق الذي فضله الله به .

(3) في قصة شجر التين الشوكي ويسمى عند بعض المغاربة (بالهندي) وعند بعضهم (بكرموس) النصارى (والكرموس بالمغربية هو التين ، ويسمى في بلاد الشام (بالصبير) ، ويسمى في الحجـاز (بالرشوم وبابي برشوم) وله اسماء اخرى عند شعوب اخرى ، ومن العجيب ان المغاربة يسمونه الى الهند، مع انه لا يوجد في بلاد الهند ولا يعرف ، في هذه القصة عبرة تدل على تسليط بعض المخلوقات على بعض حفظا لبقاء كل نوع منها، وكنت اتحدث مع احد العلماء المفكرين فقال لي : ان الاستهلاك لا ينقص النـوع المستهلك ، بل يزيد ويوفره ، اذ على قدر الاستهلاك تكون العناية والعمل على تكثير ما يستهلك من حيوان ومزروعات وغيرها ، ففي كل يوم تذيب الاف من الغنم والبقر في كل بلاد يستحل اهلها اكل اللحم ولا ينقص

ذلك الغنم والبقر بل يزيدا اقول وهذا نظر صحيح لان بلاد الهند واسعة الارجاء يعد اهلها بمئات الملايين وماحتها واسعة جدا ، واهلها لا يأكلون اللحم الا المسلمين والنجاري ، وعددهم قليل خصوصا بعد انفصال الباكستان عن الهند ، فلم يبق في الهند من المسلمين الا اربعمون مليوناً وعدد النصارى بضعة ملايين فلو كان الاستهلاك ينقص الغنم والبقر لكانت بلاد الهند اكثر البلاد غنما وبقرا والواقع ان الغنم قليلة ، ونوع الضان منها لحمه رديء حتى ان الاغنياء هناك لا يضحون الا بالمعز او بالبقرة ان امكنهم ، لان ذبح البقرة في البلاد التي يكون سكانها خليطا من المسلمين والهندايك يكلف ثمنا غاليا ترهق فيه ارواح وتقع حروب اهلية لاجل ذبح بقرة واحدة والمقصود هنا الاستدلال على ان الاستهلاك لا ينقص الجنس المستهلك .

(4) قوله : على انا لو اعتمدنا على هذه الضوابط والموازنات وحدها .. الخ ، يريد المصنف ان يوضح انه مع استحالة بقاء الانسان والحيوان والنبات بدون تلك الضوابط وذلك التوازن فهي غير كافية وحدها لحياته ويقاله على ما هو عليه ، بل لابد من وجود العناية الربانية التي تتكفل بوجوده واستمراره الى ما شاء الله ، ويحتاج القائلون بان العالم وجد بالمصادفة وهو يسير بالمصادفة الى الجواب عن مشاكل حساية عبيرة لا قبل لهم بها ، وقد تقدم في هذه المقالات السبع عشرة من قيام الحجج عليهم واقامة البراهين الخائفة شيء كثير فله يقنع المصنف فضلا عن جله وبالله التوفيق .



القرآن وأصول اللغة

وباب القراءات من الأبواب التي كثر التأليف فيها لما شاع بين المسلمين من وجوها بحيث اضطر عثمان الى أن يجمع مصحفه المشهور ويوزعه في الامصار ليكون المسلمون على بيته من نصوص الكتاب الكريم ، وتدب لذلك زيد بن ثابت ، واستعان بالصحف التي احتفظت بها حفصة بنت عمر زوج النبي (ص) وبهذا سلم للقرآن وجه لغوي واضح تأثر أكثر ما تأثر به بلغة قريش ، وتدب عثمان لزيد بن ثابت من كتاب الوحي لهذا الغرض الجليل امر مهم ، ذلك انه اغفل غيره كابن مسعود الذي كان متأثرا بلهجته الهذلية ، ففي الاخبار ان عمر قد بعث اليه ان يقرئ الناس بلغة قريش ولا يقرئهم بلغة هذيل ، وذلك حين سمع احدهم يقرأ « ليسجننه عني، حين » ويريد بها « حتى حين » وكان عمر يقول « انا لترغب عن كثير من لحن ابي » والمراد باللحن هو اللغة او ما نسميه اليوم باللهجة ، ولم يسلم مصحف عثمان من هذه « الالحن » بالرغم من الطريقة التي تم بها ، وبالرغم من ابطال كثير من الصحف لما اشتملت عليه من وجوه القراءات الضعيفة او الشاذة ، التي رغب عنها عثمان ، فقد روي عن عامر القرشي انه قال « لما فرغ من المصحف اتى به عثمان فنظر فيه فقال قد احسنتم واجملتم ولكني ارى فيه شيئاً من « لحن » ستقيمه العرب بالسنتها » . على ان مصحف عثمان هذا قد خلا من النقط والشكل وكان ذلك دافعا للقراء على الاختيار في قراءاتهم وهكذا نشأ لكل مصر من الامصار قراءة خاصة به معتمدين في ذلك على نصوص المصحف العثماني وعلى المصاحف الاخرى التي منع عثمان ان يؤخذ بها الى ان جاء ابو بكر بن مجاهد سنة 322 للهجرة فاختر من هذه القراءات الكثيرة ما صح عنده فكانت القراءات السبع المشهورة اخذا بالحديث الشريف « اتزل القرءان على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه » ، على ان آخرين لم يستحسنوا اختيار ابن مجاهد ورجحوا قراءات اخرى فكان من ذلك القراءات العشر وربما زادت هذا العدد بكثير .

لقد بهرت لغة التنزيل المسلمين في عصورهم الاولى ، فاقبلوا عليها بتدارسونها فيجدون فيها كل جديد . ومن اجل ذلك فالقرءان بداية لنهضة فكرية للعرب تعكس مستوى عاليا للتفكير والحضارة ذلك انه لم يكن للعرب قبل الاسلام ، في ظلال الوثنية الاولى ، شيء حضاري كالذي جاء به الاسلام مفصحا به الكتاب المنير : فالعلوم الاسلامية اعتمدت اصولها في كتاب الله ، وظل الباحثون في مختلف العصور يجدون فيه المادة الجديدة والالوان المبتكرة فيقيمون عليها بحثهم ، ولم ينصرف المسلمون عنه في اي عصر من العصور الماضية ، فقد تمسكوا به حين يهرتهم الفلسفة الاغريقية فاقبلوا عليها واردين ، وظل الفلاسفة المسلمون متعلقين بآية الكريم واجدين فيه معينا لا ينضب ، مفيد من اعظم القائدة مترشدين به فيما اخذوا من سبل المعرفة الجديدة القائمة على الفلسفة الاغريقية وهكذا تم لهم شيء موحد منجم اقيم على الاسلام واتخذ له اطارا فلسفيا ، وبقيت الفرق المختلفة والتيارات الفكرية المتضاربة تجد في كتاب الله اساس دعوتها ومادة آرائها ، فلقد اعتمده اهل السنة كما عول عليه الشيعة ، واستند اليه الخوارج في آرائهم الجريئة كما اعتمده المعتزلة وتمسك به المتصوفة .

وقد نشأت علوم العربية نتيجة لاقبال المسلمين على كتاب الله يدرسونه ويتبينون اختلاف الصحف فيه بين اقليم وآخر ، وقد الف في هذا الباب المنصفان فكان من ذلك - « اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر » وكتاب « اختلاف مصاحف اهل المدينة واهل الكوفة واهل البصرة للكسائي » وكتاب « اختلاف المصاحف » لخلف بن هشام وكتاب « اختلاف المصاحف وجامع القراءات » للمدائني ، وكتاب « اختلاف المصاحف » لابي حاتم ، وغير هذا كثير نجد ذكره في الجامع الضخمة من كتب التراجم والطبقات ، وفي مادة « قراءات » في كثير من المصادر ولكننا لم نلاحظ من هذه الوفرة الكبيرة الا بكتاب ابي داود السجستاني ابن الامام ابي داود المحدث المشهور وصاحب السنن .

البحوث والدراسات نجد في ايامنا هذه وتقوم على ناحية من نواحي القرءان المتعددة .

وكتب القراءات والتفسير تعكس نماذج من هذه اللغة المتطورة كما هي تعكس لونا من الوان العربية التي ضاعت وعفى عليها الزمان ولم يهتم بها علماء اللغة انفسهم وذلك لاهتمامهم بالفصح والافصح ، ولان لغة الشعر الجاهلي ولغة القرءان قد فرضنا عليهم حدودا لا يستطيعون مباحثتها الا تراهم قالوا بالمولد والفصح ، وان الاصمعي من علماء اللغة الاقدمين انكر استعمال « زوجة » بدلا من « زوج » محتجا بقوله تعالى « امسك عليك زوجك » فقيل له ان الشاعر ذا الرمة يقول :

اذو زوجة بالمصرام ذو خصومة
اراك لها في البصرة اليوم ثاويبا

فقال : ذو الرمة ليس بحجة اذ طالما اكل البقل والمالح في حوائث البقالين ، وهكذا قد حصروا الفصح في حقة معينة لم يتجاوزوها الى غيرها ، الا ترى ان بعضهم قد اعتبر جريرا والفرزدق بداية لهؤلاء المولدين ، وانه لم يأخذ بشعر نفر من الشعراء الاقدمين لان هذا وذلك ممن نسب الى هذيل مثلا ، او انه اتصل بمواطن لم تسلم لها عربيتها .

وطبيعي ان هذا المنهج لا يعني بموضوع اللهجات بل قل ان كثيرا من معالم اللهجات اعتبر من الصفات المذمومة الحقيرة الا ترى ان ابن فارس من علماء اللغة الاقدمين يعقد فضلا عن اللغات في كتابه « الصحابي » . ولكننا لا نعلم ان نجد شيئا من ذلك في كتب القراءات ولا سيما ما كان منه في القراءات الشاذة ، فقد جاء في مختصر ابن خالويه في شواذ القراءات ان يحيى بن وثاب قرأ في سورة البقرة قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة » بكسر الشين وبإبدال الياء بالميم ومعلوم ان هذا الإبدال علامة مميزة للجهة من اللهجات الدارجة وهي ما زالت موجودة حتى يومنا هذا في كثير من الاقاليم القروية في جنوبي العراق مثلا واذا اضفنا الى ذلك كسر الشين اتضح الشكل الدارج الذي سرى في قراءة يحيى بن وثاب .

وقرأ مسلمة بن محارب « بعولتهن » من قوله تعالى « وبعولتهن احق بردهن » بجزم التاء من « البعولة » ، ومعلوم ان « البعولة » جمع « بعول » كالسهولة جمع سهل والفحولة جمع فحل ، وعندى ان اختلاف القوم في صيغ الجموع ولا سيما جموع

ولم يجد هذا الاختيار وهذه الجهود النافعة شيئا ، بل ظلت اللهجات الخاصة تؤثر في القراءات ، وهذا ما اصطلح عليه الاوائل بالقراءات الشاذة ، وقد اف في هذا الموضوع التصنيف الكثيرة كما تعرف ذلك من تاريخ القرءان مما تحدثنا به كتب التراجم والجامع الاخرى ، فقد كتب فيه كثير من النحويين الاقدمين كالقراء وابن خالويه والعكبري ، والداني ، ولم يصل اليها من هذه التصنيف الكثيرة الا الشيء اليسير مثل كتاب البديع لابن خالويه وكتب التفسير حافلة بهذه الوجوه من القراءات .

ومادة « القراءات » في مجموعها مصدر مهم من مصادر التاريخ اللغوي ، ذلك اننا لا نعلم كثيرا عن مراحل تطور العربية من اقدم عصورها ، وذلك لقلة المكتشف المكتوب من صحف ونقوش وغير ذلك من نصوص هذه اللغة القديمة على عكس ما حصل في كثير من اللغات السامية الاخرى التي دل التنقيب الحديث على تاريخها القديم ومراحلها المتعاقبة ، غير ان شيئا من هذا لم يتم في العربية ، فالذي نعرفه من نصوصها القديمة هو الشعر الجاهلي ولا نستطيع ان نعد ، النصوص الجاهلية مرحلة اولى او قريبة من الاولى في التاريخ اللغوي ، فهي نصوص تكشف عن مستوى عال من تاريخ اللغة وليس صحيحا ان تبدأ لغة ما بمثل هذه النصوص الفصيحة البليغة ، ومن هنا فلا بد ان نسأل انفسنا اين نجد معالم وءانار ذلك التاريخ اللغوي القديم ، والجواب اننا لا بد لنا ان نتوجه الى كتاب الله الكريم لتبين ذلك في لغة التنزيل ، ومعلوم ان القراءات على اختلافها تقدم مادة للباحث ، ثم ان لغة القرءان بخصائصها الخاصة مفيدة في هذا الباب ، ذلك ان القرءان حدث من اهم الاحداث في تاريخ العربية ، فهو انطلاقة بهذه اللغة لتعبر عن حضارة جديدة ذات مثل وافكار جديدة عالية ، وهكذا دفع الاسلام هذه اللغة خطوات الى الامام .

وقد بهرت لغة التنزيل جموع العرب وسيطرت على افكارهم وكانوا يقفون منها موقف السائل المتحير والمعجب الماخوذ ، فقد اثر عن عبد الله بن عباس انه قال : « والله ما ادري ما الحنان » وذلك من قوله تعالى « وحنانا من لدنا » ومثل هذا الخبر كثير تكشف عنه مصادر القرءان من كتب التفسير والقراءات . ومن اجل ذلك زخرت المكتبة العربية بالدراسات القرآنية منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا ، وربما لم يقيض لكتاب من الكتب ان تدرس نصوصه وتفسر وتحلل في طرائق مختلفة مثلما تهيا للقرءان الكريم ، وما زالت

او قل على لهجات الاقاليم ما يوجد في اللفظة الحبشية من صيغ جموع التكسير وانصرافها الى الموضوع نفسه .

والقراء يختلفون حتى في موضوع الاعراب الذي التزم به جميعهم فهذا يرفع ما ينصبه ذلك ، وذلك يخفض ما يرفعه هذا . وقد حمل هذا على انه خطأ من كتاب الوحي ، فقد روى ابو معاوية محمد بن حازم التميمي السعدي عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفى سنة 146 للهجرة عن ابيه عن عائشة انها قالت « ثلاث احرف في كتاب الله هن من خطأ الكاتب وهي قوله تعالى : « ان هذان لساحران » ، وفي قوله تعالى « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ، والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة » ، وفي قوله تعالى « ان الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئون » ، وقد حقق النحويون في حديث عائشة حول غلط الكاتب ، وحديث عثمان في قوله « ارى فيه لحنا » فاعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا بالشعر فقالوا في « ان هذان لساحران » هي لفة يلحارث بن كعب ، واسارة النحويين الى هذه اللفة نكتة لطيفة ذلك ان النحويين واللغويين كانوا كثيرا ما يصدقون عن موضوع اللغات الخاصة التي هي في اصطلاح اليوم اللهجات السائرة ، فقد وسموا العننة والمعججة والفحفة وغير ذلك باللغات المذمومة وهي اشكال للمألوف الدارج من الاستعمال نظقا وتركيبا .

وقد اكثر هؤلاء من الاستشهاد بالشعر وربما كان ذلك اكثر من استشهادهم بالقرآن والحديث ، ولعل الاصمعي اشد هؤلاء في اجتناب الخوض في مجاز القران قال ابو حاتم سالت الاصمعي عن « الصررف » و « العدل » فلم يتكلم فيه ، وقلت له هل معنى « الرية » الجماعة من الناس فلم يقل شيئا لان في القران (ريون) .

وهكذا فلغة القران تقدم نماذج لغوية جديدة ربما جهل اسرارها المسلمون الاولون كما اسلفنا في قوله تعالى « وحتانا من لدنا » فقد جهل ابن عباس ما المراد بالحنان « ومثل هذا « التسنيم » في قوله تعالى : « ومزاجه من تسنيم » وحر المفسرون في رد هذه الكلمة الى اصولها فقالوا فيها اشياء كثيرة ، وهذه الاستعمالات هي التي حفزت الاقدمين على الكتابة في موضوع المجاز القرآني والالفاظ الاسلامية .

وهكذا يتبين للباحث الصابر ان القران من مصادر اللغة الاولى التي تكشف صورة عن التاريخ اللغوي الذي انقطعت عنا حلقاته الاولى .

التكسير راجع الى اللهجات الاقليمية ، ومعنى ذلك ان جماعة ما الفت صيغة من صيغ الجمع لاسم معين ، في حين ان الجماعة الاخرى جرى استعمالها لصيغة اخرى ، وربما وجدنا صدق هذا في استعمالنا الحديث ، الا ترى ان عربية المغرب الفصيحة قد تستعمل صيغا في الجموع لم يؤلف استعمالها في عربية المشرق مثلا فانت لا تجد من يجمع « الحمار » على « احمر » في المشرق في ايامنا هذه ، ولكنك تجده على السنة التونسيين في كتاباتهم ، والمألوف في استعمال المشاركة هو « الحمير » اما جمع « الحمار » على « حمر » فلم يعرف في لغتنا الحديثة وهو فصيح جاء في لغة التنزيل في قوله تعالى « حمر مستفجرة » ومثل هذا كثير .

وجاء في شواذ سورة الاعراف « الجمل » في قوله تعالى « حتى يلج الجمل في سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهي قراءة ابن عباس ، ومعلوم ان صيغة « فعل » من صيغ جموع التكسير بضم الفاء وفتح العين وتشديدها ، لا يكون مفردة الا « فاعل » مثل « راعع » وجمعها « رقع » في حين ان مفرد « جمل » هو « جمل » بضم فاسكان ومعناه الحبل ، وقد قرأ ابو السمال بفتح الجيم واسكان الميم .

ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » بالسين في قوله تعالى : « اهس بها على غنمي » .
ومن شواذ سورة الانبياء قراءة ابن عباس « حضب » بالضاد في قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » وقرئ « حصب » باسكان الضاد ، وقرئ « حطب » بالطاء .

ومن شواذ سورة الحج ما جاء في قراءة « صلوات » من قوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات » فكلمة صلوات قرئت في احدى عشرة صورة وهي « صلوات » بفتحين و « صلوات » بضمين وهي قراءة ابي العالية والكلبي والضحاك و « صلوات » بضم واسكان وهي قراءة جعفر بن محمد و « صلون » بضم الصاد فلام وواو ونون ، و « صلوب » بالباء ، و « وصلوات » بفتح فاسكان ، و « صلوات » بضم الصاد واسكان اللام وناء مثلثة في الاخر و « صلوقا » بقاء في الاخر من الف للاطلاق ، والكلمة جمع صلاة وهي تعني الكنيسة في السريانية بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من انها عبرانية في « الكشاف » وغير ذلك من الصور .
والذي يثبت هذا الذي نذهب اليه من دلالة هذه الصيغ على اختلاف استعمال الجماعات المختلفة،

القيادَةُ الجَدِيدُ

للماستاذ
عبد السلام
المرزوقي

بطبيعة المرض ، ومكانم الداء ووسائل العلاج وتلك رسالة القيادة الجديدة التي ابتدأت ملامحها تبدو في الافق المغربي ، واصبحت عناصرها تتلاقى صدفة أو تديرا لتحتمل المسؤولية الثقافية والاجتماعية عن وعي وتبصر وايمان .

ومما يساعد مهمة تلك القيادة ان بلادنا غنية بمنابع الخير والقوة والانتاج وتوفر على سواعد قوية، وكوادر متينة ، ونفوس صابرة ومصابرة ، وعزائم صامدة ، وعناصر بشرية لا ينال منها الكلل ، ولا يفت في عضدها ونشاطها جامة العمل ، وضخامة الواجب ... وهنا استعداد للتطور بشكل سريع ومتقن ، وهنا نيات طيبة ، تحسن الفن بالملخصين ، وتثق بكلمة (الرجال) ، وهنا مزاج عقلي يؤمن بالفكرة ويعمل لها ، ويضحى في سبيلها ، ويكره الصنمية ويقاومها ، وهذا حب للوطن واعتزاز بالتاريخ ، وتمجيد للسلف الصالح، وتطلع للمستقبل الياسم ، ورغبة جامعة في القيام بدور جديد في المحيط العالمي ، يتيح لهم ان يتمموا رسالة اجدادهم ، وان يستأنفوا مهمة دينهم المعطلة في الداخل والخارج .

وهذه الظاهرة استيقظت في النفوس نتيجة عوامل مختلفة منها افلاس تجارب سابقة حاولت ان تنتكر للماضي ، وان تزور المستقبل ، ولهذا فاني اكاد اعتقد ان هنا شبه اجماع شعبي على ان خير ما يؤلف القلوب ويوحد الاهداف ، ويلهم الشعب ، ويبعث على الجد ، هو الاسلام ، تلك حقيقة اقتنع بها حتى اولئك الذين لم تح لهم ارادتهم الضعيفة ان يطبقوا اخلاق الاسلام في حياتهم ، وان كانوا يتظاهرون به كلما دعت الضرورة لذلك ، وكان من الممكن ان يقتنعوا بغير ذلك لولا ان

الظاهرة التي اصبح يشعر بها كل واحد منا في هذه البلاد هي اننا نعيش في فراغ روحي خطير ، واننا نمر ازمة روحية وفكرية غامضة لا ندري نتائجها العمياء ، وان مستوى الاخلاق يتداعى شيئا فشيئا ، والناس يساقون في حياتهم سوا لا اهداف لا يتبينون فيها معالم واضحة ، ولا يحسون لها نتائج سارة ، ولهذا اصبح الشعور ينتشر ويقوى بالحاجة التي استعادت الفكرة التي ستعزز السلوك الاخلاقي الذي يستطيع وحده ان يجدد العلاقات الفردية والاجتماعية على نحو اتمن واجمل ، وان تدركي في النفوس الشعور بالقيم والمثل العليا ، وتربط الوجدان بمعنى الواجب نحو هذه الامة النائية .

ولا اكاد اجتمع بفرد او جماعة الا والمس ذلك لسا ، واجد الحديث يدور حول انتقاد الهيكل الثقافي الذي بناه الاستعمار واصبح يغذيه بمراكزه الثقافية، والوسائل القوية التي يمتلكها والاجهزة الفعالة التي يتوفر عليها ، وذلك من اجل الابقاء على القيادة الفكرية والثقافية والروحية التي تتجاوب وافراضه وتسير بنا وفق رغباته ومراده ، وهذه القيادة هي التي تعمل على اعاقا النمو الطبيعي لشعب يؤمن بالاسلام ويعمل على تحسين صلته بالله وبالرجوع الى منابع الدين الحق والتزود منها لخلق مجتمع متحضر كفيل بالقضاء على اسباب المرض وبالتالي على القضاء على الاستعمار بجميع اشكاله والوانه ، وقطع دابره ، واجتثاث عروقه ، وقتل عناصر وشروط حياته .

ولهذا كان تدمير هذا الجهاز وسحق كل معوق لنمو الشخصية المغربية ونضجها من الاهداف التي تستدعي الاسراع بالتنفيذ ، ثم ان الضرورة تقتضي تخطيطا ثقافيا اسلاميا من اجل بناء اجتماعي متين ، وان يضعه ابناء البلاد الذين يشعرون اكثر من غيرهم

تلك الحقيقة واجهتهم عند ممارسة العمل والاتصال
بلاوساط الشعبية المختلفة ، ومن شعورهم بنفور
المغاربة من كل دعوة لا تمت الى الدين ، ولولا (رد
فعل الظهير البربري ما كانت الوطنية بتلك القوة ولعل
التفسخ الذي نشاهده في الحياة السياسية هو نتيجة
لغياب (العامل الديني) .

ولكن المشكلة القائمة الان هي : كيف ستكون
القيادة الجديدة التي ستقود هذا الشعب الذي اصبح
اكثر ايمانا من ذي قبل بان الاسلام هو الخلاص الوحيد
من قبضة الازمات الاجتماعية والانحرافات الخلقية
التي ترجع اليها المسؤولية الكبرى عن الامراض
المتزايدة في مجتمعنا وعن كثير من المظاهر المؤلمة
والسلوك المخجل .

انا في اشد الحاجة الى قيادة عقائدية ثقافية
تتوفر فيها شروط الايمان والاخلاص والعفة والنزاهة
والتدبير والصرامة ، والزهد والايثار وتكران الذات ،
والوعي الصادق والعقل العلمي المنهجي ، واذا كانت
الصين قد استطاعت ان تخلق من شعب دوخه
الافيون ، وانهكه الفقر ، واعتزته عوامل الانحطاط ،
وتسلط عليه الاستعمار والاقطاع والظلم - اذا
استطاعت ان تخلق منه قيادة مكونة من امثال سن يات
سن ، وماوتسي تونج وامثالهما ، فان الشعب المغربي
المسلم لمتوفر على امكانيات وخامات تستطيع ان تمدنا
- لو توفرت بعض الشروط - بقيادة من طراز رفيع
لا توفر اسباب السعادة لشعبها فحسب ، وانما تساهم
في اسعاد البشرية بحظ كبير .

وقد حاولت مثل هذه القيادة ان تظهر بالشرق
الا ان عوامل ذاتية واخرى خارجية تعاونت على
اخمادها وعرقلة دورها ، غير ان الفكرة الاسلامية التي
لها الفضل في ابراز تلك القيادات في فترات مختلفة
من التاريخ ما تزال حية ، نابضة بالقوة ، خالدة خلود
الانسان ، لا تعرف الوقوف ولا الجمود ، فهي في حركة
دائبة ، تتطير انوارها من هنا الى هنا ، ولن تعرف
الرجوع الى الوراء ابدا ... لانها فكرة متجسمة مع
نفسها ، منطقية مع عناصرها ، لا تحتوي على تناقض
ذاتي ، او تخلف عن تزويد البشر بما يحتاجون من
المبادئ الانسانية الثابتة ، والتنظيم الرائع للمجتمعات
على اسس من الاستقرار والثقة والفضيلة

واذا كان معظم تلك القيادات التي ظهرت في
الشرق قد منيت بالفشل في بعض الميادين الرئيسية ،
فان القيادة الاسلامية في الغرب يجب ان تتجنب عوامل
الفشل ، واسباب الانحراف او الاضطراب ومع ذلك
يجب ان تستفيد من التجارب الناجحة لتلك القيادات
التي كان لبعضها اكبر الاثر في تحويل تاريخ المسلمين
فيما بعد الحرب العالمية الثانية تحويلا افضى بهم الى
كثير من التحرر والاستقلال .

وقيادتنا الجديدة يجب ان تقدر رسالتها حق
قدرها ، وان تعي الدور الخطير الذي ستقوم به في
مغرب يعيش في عصر اللدرة والصاروخ ، عصر
التخطيطات الاقتصادية والانظمة العممية ، والتصميمات
الثقافية ، والاتجاهات الاشتراكية ، وفي قارة عذراء
تتطلع لمستقبل يضمن لها الحياة الحرة الكريمة ،
ولمبادئ تستلهمها في سيرها ، وتستمد منها العون
على تحقيق آمالها ، وهي تبحث عن تلك المبادئ ، وان
اصحاب التيارات العقائدية في العالم - ما عدا اصحاب
الاسلام - ليحاولون ان يظفروا بتلك القارة ويسلكوها
في افكارهم وثقافتهم ، وان صراعا دينيا وثقافيا يشتد
يوما فيوما في افريقيا السوداء ولعل الاوضاع
المريرة والفراغ الروحي في بعض المناطق ، وعدم
وجود دعوة للفكرة الاسلامية ، يعمل كل ذلك على
تهيئتها لامتناع نزعات خطيرة تهدد الفكرة الاسلامية
في القارة كلها ، ولهذا كانت القيادة الاسلامية الثقافية
ليست ضرورية لانقاذ المغرب المسلم فحسب ، وانما
لانقاذ افريقيا المتخلفة والمهددة باستعمار من نوع جديد
واقوى .

ومن اهم ما يحقق للقيادة الجديدة النجاح
- زيادة على التقوى والفظنة والكياسة والحزم - ان
تتجنب الاساليب السياسية البالية التي تسرف
في الوعود ، وتمني بالحقوق ، وتخطب الشهوات ،
وتشتري الضمائر ، وتتعلق بالمظاهر ، وتكفي بالكم
دون الكيف ، وبالتكديس دون البناء ، ولهذا يجب
ان تربي نفسها على الصراحة في الحق ولو على نفسها ،
وعلى العمل الجدي المتواصل الذي لا تصرفه عن
اهدافه كراسي ، او تززع نشاطه امانتي ، ويجب
ان تربي المجتمع تربية جديدة اساسها القيام بالواجب
وبدل الجهود ، والشعور بالمسؤولية ، وتقدير عظمة
الرسالة ، تلك التربية التي كان يسلكها الرسل مع
اصحابهم ، ويطبقها قادة الشعوب التي تلمع في

ثم ان اي اعوجاج يصيب القيادة الاسلامية فانما هو طامة كبرى ، وعرقلة خطيرة للفكرة الاسلامية ذاتها ، من ذلك ان اعداء الاسلام الذين يترصبون به سرا سيقعون على الحجة الدامغة لاعلان قتل الاسلام في حل المشاكل الاجتماعية ، وسيهتبلونها فرصة لاذاعة الامر بين الشاكين والمذبذبين ، مع ان الذنب في الفشل ليس ذنب الاسلام وانما الامر يتعلق بجريمة المنتفعين به ، والمجتريين باسمه . زيادة على الآثار السيئة التي ستركه في نفس الراجين ، والضعفاء من المؤمنين ، وسيؤخر الدعوة الاسلامية في البلاد الافريقية مثل ما قرانا من ان بعض المسؤولين في تركيا عرضوا الاسلام على قادة يابانيين فرد عليهم هؤلاء بانة لو كان في الاسلام خير لانتقد المسلمين الذين يعتقدونه .

ولهذا كانت مسؤولية انصراف الناس عن الاسلام وعن مجرد التعرف عليه ليست واقعة على عاتق الاسلام بل على اولئك الذين يزعمون انهم اصحابه ، اولئك الذين اهانوا الاسلام فاهانهم الله ، وحاولوا استغلاله فاذلهم الله ، ونسوا الله فانساهم انفسهم ، اولئك الذين يقيمون الدليل نلو الآخر بسلوكهم الذي يصادم اخلاق الاسلام وعقيدة التوحيد بان الاسلام دين قد انقضى دوره في الحياة ، وانه لا يليق بانسان متحضر ناضج قد تجاوز طور العقل الديني والمواطف المتأفريقية ، وان كان الاسلام - في الحق - اسما من ان يكون ذلك الذي يشاهده السطحيون في سلوك المجتمعات (الاسلامية) الحاضرة ، واعظم من ان يكون وسيلة للطامعين ، ومطية للجبابرة المتسلطين .

ولهذا كانت رسالة القيادة الاجتماعية الجديدة لا تنحصر فقط في الترويج للفكرة الاسلامية بوسائل المحاضرات والاذاعة ، والتمثيل والمقالة وانما اكثر من ذلك يجب ان تقيم من سلوكها القويم اعظم داعية ، للخير ، واعظم طريقة تربوية عملية ، اما الكلام والشعر والخطب ، والموعظة فقد اصبح كل ذلك عديم الجدوى ، ميت الاثر ، مسلوب النتائج .

الدياجي الحالكة لتخرج اممها من انحطاط الى رقي ، ونحن نشاهد ذلك في التجربة الصينية الخارقة ، وفي اصلاح الياباني الجبار ، لان التربية التي تقوم على التمني والتهريج ، والتبشير بالحقوق الكثيرة ، والاستزادة منها ، ومخاطبة الاغراض الخاصة هي اعظم الوسائل لتخريب كيان الهيئة القائمة ، وتدمير وجودها وتحويلها من اداة اجتماعية بناءة الى اداة هدامة مخربة ، ويتبع تلك التربية - تربية التهريج - من يريد تحقيق اغراض شخصية بحتة ، والوصول الى الحكم من اسهل طريق ، يحقق اهدافه البسيطة تلك ، وقد يصل الى غايته التي يسعى اليها ويحمد ، ولكن المشاكل الاجتماعية تظل كما هي بل تستفحل دون ان يمسه احد بسوء ، لان الامراض الاجتماعية ليست من السهولة كما يتصور اصحاب نزعة (الحكم) و (القلة) ، بل ان وجود مثل هذه النزعات في مجتمع ما ليكون مضاعفة مرضية خطيرة اذ ان هذه النزعة غالبا ما تكون مكونة من انزام الثقافة ، ومشوهسي الضمائر ، ومتعفسي الباطن ، ومستهترسين بالقيم الاخلاقية ، وهكذا تتضاعف - بهم - الامراض الاجتماعية ويصبح من شروط العلاج استئصال هذا الميكروب الخطير ، وبما ان المرض قد استسرى فعملية الاستئصال في اعظم مظهرها يجب ان تكون تغييرا جذريا في التركيب النفسي والثقافي ، واعادة التربية عن طريق التخلية ، ومن لم تنفع فيه تلك الطريقة فيجب ان يعالج بطريقة العزل الاجتماعي ، حتى لا يؤدي المجتمع بجذام خلقه ، وسرطان كيانه

والقيادة الاسلامية الجديدة - بما انها تتسب الى الله يجب ان تدرك حق الادراك قيمة المصدر الذي تعتمد عليه ، واي قوة تتحدث باسمها ، فقد يستطيع الشخص ان يخدع الحاكم او الشعب - ولو الى حين - ويبيدي له انه يتفاني في حبه ويعمل من اجله ، ويسير في طاعته ، ويستطيع ان يستغل ضعفه وغروره وغباوته فيقوم باسمه بادوار انتفاعية انتهازية ، ولكن هذا الشخص كائنا من كان لن يستطيع ان يخادع الذي يعلم السر واخفى ، فان حاول ذلك فان ربك لبالمرصاد .

ان مجتمعنا يجب ان يصاغ صياغة جديدة على اساس من الروح الدينية المتنورة الواعية لينقذ من التفسخ والتردي الذي يعيش فيه ، والانحلال الخلقي الذي اخذ يستشري بشكل يبعث على التشاؤم واليأس، وان هذه الصياغة لهي رسالة القيادة الجديدة ، فهل يا ترى حان الوقت لتنبثق هذه القيادة في المغرب ؟ هل ستبزغ شمس المثالية من جديد ؟ ان الارهاصات لتشير الى ذلك ، وان الشروط لتتداعى لتلتئم على ايجاد الحق وازهاق الباطل ، ولتبرز للوجود طائفة الموحدين التي على الحق ولا يضرها من خالفها ، وان

النفسية المغربية الاصيلة لتتعطش لتلك القيادة لتسير بهذه الامة نحو غزوات وفتوحات ثقافية واجتماعية في افريقيا ، ولتحقق انتصارات جديدة في عالم اصبح يمقت (القوة) لانها تدفعه دفعا نحو الخراب الشامل ، وامن او هو يحاول ان يؤمن بان خلاصه لن يكون الا بالفكرة الشاملة والقيم الاخلاقية السامية و (ان هذا القرءان يهدي للتي هي اقوم) .

فان كانت تلك الارهاصات صادقة فبشرى نزفها للمنتظرين لعهد الفضيلة ، والا فقد اقترب للناس هلاكهم بفتن تدع الخليم حيران .



لله استأذ
حسن بغدادى القادري



- 2 -

قال تعالى : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كبيرا) .

نعم ، كانت تأويلاتهم بعيدة عن فهم كتاب الله
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) .

نقول هذا ونكرره ، وحجتنا القرءان نفسه ،
ودليلنا كلام العرب الذين نزل بلسانهم المبين وكفى
بالله حجة ودليلا .

ومما يزيد المعنى وضوحا - في الآية الكريمة -
من ان المراد غير ما ذهب اليه بعضهم من الفهم
والتأويل : هو عود الضمير - في قوله تعالى : (لا
يمسه الا المطهرون) الى (كتاب مكنون) وهو اقرب
مذكور ، حسب القاعدة المعروفة) ولا قرينة هنا تصرفه
الى البعيد ، فيكون من الأسبق بل من الاولى والاحق
ان يعود الضمير الى القريب وكفى . وذلك ما
يتبادر الى الفهم ، فان الباطل يخصص ، والقرينة
حاكمة : ان المراد من الآية الكريمة هو نفي وصول
الشياطين الى هذا « الكتاب » ومسه يكون بالتلقي عن
الله ، وبالاخذ والانزلاق من السماء ، وهذا الكتاب عند
الله مكنون مصون « لا يمسه الا المطهرون » وهم
الملائكة ، اما الشياطين الانجاس فما ينبغي لهم ذلك وما
يستطيعون ، (انهم عن السمع لمعزولون) كما جاء في
آخر سورة الشعراء .

عودا على بدء لانتهاء بحثنا المنشور بالعدد
السالف ، تحت العنوان اعلاه حول الآيات الثلاث من
سورة الواقعة - وذلك قول الله عز وجل : (انه
لقرءان كريم في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون
تنزيل من رب العالمين) - وكيف فهمها بعض المفسرين
وطائفة من الفقهاء المقلدين ، فهما لا يتفق وما عناه
الله في كتابه المبين ، وهو الساطع نوره ، تكشف
اضاؤه المنبثقة من الآيات الاخرى في اللفظ والموضوع
فتزيد المعنى وضوحا واشراقا .

ان القرءان لا يتجزأ في معانيه بتناقض او اختلاف
وكثيرا ما يفسر بعضه بعضا ، فما تجد منه مجملا في
آية فهو مفصل في آية او آيات اخر ، وما اسهل
ذلك على من يستقرى آيات التنزيل ويتبناها بتدبير
وامعان .

ولكن ، كيف غاب كل ذلك عن هؤلاء واولئك ؟
فذهبوا يتخبطون ويشطون عن الصواب ، مبتعدين عن
الفهم القريب السليم ، بل أخذوا يتكلفون ما لا لزوم
له ، فجاء تأويلهم مجحفا ، وتفسيرهم مخلا بالمعنى
المراد ، اخلاا بتنزه عنه القرءان - وهو اعظم سفير
واجل كتاب فصاحة وبلاغة ، لا يتضارب ولا يتناقض ،
ولا يختلف في مبناه ولا في معناه ، يؤيد آخره اوله ،
ويوافق لاحقه سابقه ، من غير انتقاض ولا اختلاف ،

ولم يخص بعضا دون بعض ، فالملائكة من المطهرين ، والرسل والانبيا من المطهرين ، وكل من كان مطهرا من الذنوب فهو ممن استثنى .

هذا ما قاله الامام ابن جرير الطبري ، وما اتى به من الروايات من دون ان ياتي برواية واحدة - ولو ضعيفة - تقول بنهي المحدثين عن مس المصحف القرآني ، فما السر في ذلك يا ترى ؟

اما المفسرون الآخرون - قديما وحديثا - فالكثير منهم ياتي « بالوجهين » وبعضهم ينتصر لهذا والبعض الآخر ينتصر لذلك ، حسب الاطلاع والتعمق ، او تبعا للميول الخاصة ، والتأثر بالمذاهب .

على انه قليل - وقليل جدا - من اقتصر منهم على ان التهي في الآية يراد به الخبر ، وان « الكتاب المكنون » هو القرآن نفسه ، « والمطهرون » هم المطهرون من الاحداث ، كما قاله جلال الدين المحلي في التفسير المشهور بالجلالين ، وهو التفسير المتداول بين عموم القاصرين ، ويكاد يكون عند هؤلاء هو الحجة القاطعة ، والقول الفصل .

وماذا عسانا ان نقول في اقتصار هؤلاء على هذا الوجه القاصر ، فهل كان ذلك اختصارا ؟ وتبعا للمذهب الخاص ؟ - كما ذهب اليه بعض من الف في احكام القرآن - قد يكون هذا او ذلك ، مجتمعين او منفردين .

ولك - ايها القارئ الكريم - ان تراجع ذلك بامعان واتصاف - متجردا من كل تأثر - وقابله بما اتى به الامام ابن جرير الطبري في تفسيره الكبير ، وما ساقه الامام ابن حزم من الأدلة والشواهد والردود في كتابه القيم « المحلى » فانك تحق على فوائد جلية وعلم غزير .

وانظر - كذلك - فيما روي عن قتادة في آية « لا يمسه الا المطهرون » انه قال : ذاكم عند رب العالمين « لا يمسه الا المطهرون » من الملائكة ، فاما عندكم فيمسه المشرك النجس ، والمنافق الرجس .

وقد روي عن الامام مالك رحمه الله ، انه قال احسن ما سمعت في الآية « لا يمسه الا المطهرون » انها

وعلى هذا يكون عود الضمير - المتقدم في الذكر - على (كتاب مكنون) بعيدا كل البعد لتقرير حكم من احكام الطهارة من الاحداث - كما ذهب اليه بعضهم - في مقام يقتضي الرد بالتوكيد البليغ ، والقسم العظيم العظيم من الله ، وذلك ما يتعثر به الفهم ، ولا يكاد يسيغه الذوق السليم الا بتأويل بعيد ، وتكلف شديد وهيهات .

ايها المفسرون .. ايها الفقهاء .. ان آيات سورة الواقعة قد نزلت لتقرير امر عظيم ، ورد زعم باطل افتراه المشركون وتقولوه على الرسول الامين ، الذي هو تنزيل من رب العالمين ، وذلك من شأن القرآن المكي في تقرير اثباته من عند الله ، وبيان حقيقة من حقائق النبوة ، وصدق الرسالة ، ورد مزاعم المشركين ومفتريات المحدثين ، على ان الامر لو كان المراد به في هذه الآيات نهي المحدث من الناس عن مس القرآن لكان الاسلوب غير هذا كما هو الشأن في القرآن المدني لدى تقرير الاحكام ، وهي على كثرتها ما عهد فيها يمين ولا اقسام من الله كما جاء في آيات الواقعة التي لا علاقة لها بشاتا بنهي المحدثين - سواء اكانوا مؤمنين ام غير مؤمنين - عن مس المصحف المعهود ، وهو يومئذ لم يكن تاما ولا مجموعا في كتاب ، وان يكن هناك نهي عن مسه ولو جزءا منه - كما يقول الفقهاء - فنص الحديث الشريف ، لا ينص القرآن الكريم ، كما ياتي ذلك قريبا في هذا البحث .

وعلى هذا جرى مفسرو السلف من الائمة الهداة الثقات ، وفي طليعتهم الامام محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى ، فقد اتى في تفسيره الكبير (جامع البيان) بعدة روايات لهذه الآيات الثلاث : (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون) عن الصحابة والتابعين المعتمدين من اصحاب ابن عباس وغيره ، كمجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وابي نبيك ، وابي العالية الرياحي . وعندما ختم ابن جرير هذه الروايات المتفقة كلها على ان المراد بالكتاب المكنون : هو الذي في السماء ، و (المطهرون) هم الملائكة وامثالهم من عباد الله المكرمين - عقب على ذلك بقوله - كعادته - مما يصح عنده ويرجحه ويختاره من الروايات ، فقال :

والصواب من القول في ذلك عندنا : ان الله جل ثناؤه اخبرنا انه لا يمسه الكتاب المكنون الا المطهرون

بمنزلة الآية - في سورة عبس - (فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة)

وهذا النوع من تفسير القرآن بالقرآن هو أجل تفسير ، وأبلغ بيان ، باتفاق جميع العلماء .

وكذلك هذه الآية من سورة الواقعة (انه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون) هي بالضبط نظير قوله تعالى في سورة البروج (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)

فالآيتان متشابهتان في اللفظ والمعنى ف (قرآن كريم) هنا ، مثل قوله (قرآن مجيد) هنا و (في كتاب مكنون) مثيله : في لوح محفوظ ، سواء بسواء ، فكل واحدة من الآيتين تفسير للآخرى تماما وكاملا من غير تناقض ولا اختلاف .

وخلاصة القول : ان (سورة الواقعة) هي في الواقع نزلت لامر هام من تقرير حكم يطلب شيء أو تركه ، وقد ساقها الله تنزيها للقرآن ان تنزل به الشياطين ، وردا لافتراء المبطلين من اهل الشرك والالحاد ، فحاء سبحانه وتعالى بالقسم العظيم : ان هذا القرآن لكريم ، وان محله لفي اعلى عليين ، لا يصل اليه ولا يمسه الا المطهرون ممن عباد الله المكرمين . فيستحيل على اخايب خلق الله وانجسهم ان يصلوا اليه فضلا عن ان يمسوه او يتنزلوا به (وما ينفي لهم وما يستطيعون) كما جاء في آخر سورة الشعراء وما ورد في اول سورة الزخرف من قوله تعالى : انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم) وكذلك في سورة عبس : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) فوصفه تعالى ومحله بهذه الصفات بيانا ، ان الشيطان لا يمكنه ان يتنزل به ، وتقرير هذا المعنى اهم واجل وانفع من بيان كون المصحف لا يمسه الا طاهر ، وانه ابلغ في الرد على المكذبين ، وابلغ في تعظيم القرآن من كون المصحف لا يمسه الا طاهر .

وزيادة على ذلك : فان قوله تعالى : (لا يمسه) (برفع السين) هو خبر لفظا ومعنى ، ولو كان نهيا لكان منصوبا (شان المضارع المضاعف) ومن حمل الآية على النهي ، احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي ، والاصل

في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته ، وليس هنا ما يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي .

وهناك نظرة اخرى في المستثنى حيث قال تعالى : (الا المطهرون) بتخفيف الطاء وتشديد الهاء المفتوحة (اسم مفعول) - ولو اراد به منع المحدث من مس المصحف لقال (الا المتطهرون) - (اسم فاعل) - كما قال - في سورة البقرة - : (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وفي الحديث (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) فالمتطهر فاعل التطهير والمطهر الذي طهره غيره ، فالمتوضيء متطهر والملائكة مطهرون .

وهناك - ايضا - وجه آخر من الوجوه المرجحة فيما ذهب اليه المحققون ، وذلك انه لو اريد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنونا كبير فائدة ، اذ مجرد كون الكلام مكنونا في كتاب ، لا يستلزم نبوته ، فكيف يمدح القرءان بكونه مكنونا في كتاب ، وهذا امر مشترك ، والآية انما سقت لبيان مدحه وتشريفه وما اختص به من الخصائص التي تدل على انه منزل من عند الله ، وانه محفوظ مصون لا يصل اليه شيطان بوجه ما ولا يمسه محله الا المطهرون ، وهم السفرة الكرام البررة .

وعليه ، فبحسب هذه الوجوه المقررة ، وما اتينا به من الدلائل قبل ، يتضح المعنى لمن يتدبره بادراك حر ، وفهم نزيه - بعيد عن التقليد والتعصب الذي يحجب الفهم ويغلق باب الادراك - انه لا دليل من الآية الكريمة على مس المصحف كما هو السائد الشائع عند اكثر الناس ، فان الآية في ناحية ، وفهم المقلدين في ناحية اخرى ، وان ما يذهب اليه بعضهم من كتابة قوله تعالى - على جلدة المصحف الشريف - بارزة او مزخرفة - هم في ذلك مخطئون كل الخطا ، ولا دليل لهم من الآية الا التقليد .

على انهم لو رجعوا الى السنة لوجدوا بها الذي يطلبون ، فقد روى اصحاب السنن من حديث الزهري عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان في الكتاب الذي كتبه النبي (ص) الى اهل اليمن في السنن والفرائض والديانات) الا يمسه القرآن الا طاهر) وقد رجح العلماء صحة ما رواه ابن حبان في صحيحه ومالك في الموطأ ، ثم الاتار بعد ذلك كثيرة .

الى هرقل عظيم الروم ، وفيه شيء من القرءان ،
والمبعوث اليهم نصارى ، والنبي (ص) يثيقن انهم
بمسونه من غير طهارة .

وشيء آخر ان هناك رواية - لم اتمكن من
صحتها بعد - تقول : ان الآية (لا يمسه الا المطهرون)
وهي من سورة الواقعة - قد نزلت بعد سورة طه في
رواية جابر بن زيد التابعي المشهور - وهو ثقة
جليل ، وقد جاء ذلك في تحقيق الامام ابراهيم البقاعي
في كتابه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور »
مخطوط .

وكذلك قول اخت عمر له : (انك مشرك نجس)
وهذا ما عرف - بين المسلمين - الا بعد الهجرة وفي
آخر ما نزل من القرءان في سورة براءة : (انما
المشركون نجس) فليتأمل المتأملون .

وعليه ، فاذا تحقق لديك هذا ادركت الصواب
من القول ، والراجع من الوجوه المذكورة ، وما بعد
البيان الالهي من بيان (ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب)
ومن يتدبر كلام الله ويعتصم به (فقد هدى السبيل
صراط مستقيم) نور على نور يهدي الله لنوره من
يشاء .

وختاماً - نضع هذا - وكل ما ذكر قبله - في
هذا البحث من اوله - تحت اضاء الكتاب والسنة
وبلاغة العرب - امام اخواننا العلماء المتضلعين من
علوم القرءان والحديث ، متشوقين الى زيادة ما عندهم
من تحقيق او مراجعة في الموضوع بكل ما له او عليه
مع كامل القبول ومزيد الترحيب ، تنويراً للاذهان ،
وخدمة للحقيقة المنشودة التي هي ضالة الجميع ،
وفقى الله واعان .

والى اللقاء في بحث آخر ان شاء الله .

يتبع

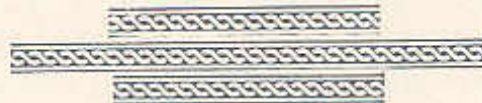
وقد يعجبني ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية
رحمه الله ان الاستدلال بالآية على ان المصحف لا
يمسه المحدث بوجه آخر ، فقال : هذا باب من
التنزيه والاشارة ، اذا كانت الصحف التي في السماء
لا يمسه الا المطهرون ، فكذلك الصحف التي بايدينا
من القرءان لا ينبغي ان يمسه الا طاهر ، والحديث
مشتق من الآية .

هذا ، وقد يقول قائل : ما قولك في الرواية التي
تحكي عن اسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
حين دخل على اخته وزوجها مقتحما عليهما الباب وهو
في غضب وهيجان لاسلامهما - او صبيهما كما يقول
المشركون ، ومنهم عمر قبل اسلامه وقد وجدتهما
يقراء في صحيفة (سورة طه) فقال لاخته ناوليني
الصحيفة ، فاجابته : انك مشرك نجس ، والقرءان لا
يمسه الا المطهرون ، فامثل عمر وتوضأ .

اقول : الله اعلم بثبوت هذه الرواية - او
بصححة بعض ما جاء فيها - وفي نفسي منها شيء ، منها
امثال عمر ولينه لقول اخته - بهذه السهولة -
واستجابته لامرها فيفتسل فوراً ليقرا هذه الصحيفة
وهو لا يزال باقياً على شركه وعناده ، وفي ذلك ما
يخالف المعهود من طبع عمر ، وشدة بأسه ومراسه ،
واذا سلمنا ان الله عندما اراد هدايته ، ان قلبه
واسلس قياده .

فما قول ساداتنا الفقهاء في صححة طهارة الكافر
المشرك ؟ هل تصح منه الطهارة ؟ او هي مشروطة
بالايمان والدخول في الاسلام او لا ؟ ليصح منه
الغسل او غيره من انواع العبادات .

وعلى تقدير ثبوت هذه الرواية - بكل ما جاء
فيها - وبصححة هذا الحكم - فهناك شيء يتعارض
معها . وهو مكتوب النبي (ص) الذي بعث به مع دحية



سلامتاز
رشيد نجار

التلقائية في انتشار الإسلام

- 2 -

وفي اعتقادي ان اهم الظواهر في توقف حركة التلقائية ، او روح الاشعاع الاسلامية ترجع في اساسها الى حالة المسلمين من جهة ، ثم الى تفهم اللغة العربية من جهة ثانية ، وعجزها عن متابعة الدعوة الاسلامية ومصاحبتها الى الاقطار النائية ، واخيرا الى طغيان الحركات الاوروبية الاستعمارية وما صاحبها من مذاهب وحركات وافكار منحرفة ، وفي مقدمه تلك المذاهب او الحركات نجد المذاهب المسيحية او حركات التبشير ، وهي التي وطدت للقوات الاستعمارية المادية والفكرية بجميع مظاهرها ، وهنا ايضا نلاحظ الاساس الاول في نجاح تلك الحركات ، فاللغات الاوروبية التي انتشرت بين الشعوب المستعمرة وانشأت بينها وبين الدول المستعمرة نوعا من الرابطة الضرورية او الاجبارية ، منحتها اسلحة حادة ستظل الشعوب المستعمرة تعالي من سمومها اجبالا طويلة .

حالة المسلمين : كانت اهم نقط الارتكاز للاستعمار الاوروبي الحديث بالنسبة للشعوب الاسلامية ثلاثة : اولها السيطرة على جزر الهند الشرقية منذ بداية القرن السابع عشر من قبل هولاندا ، وذلك بعد السيطرة الاقتصادية التي قامت بها شركة الهند الشرقية الهولندية منذ سنة 1609 ، اما نقطة الارتكاز الثانية فكانت بلاد الهند حيث تأسست بها ايضا شركة الهند الشرقية البريطانية سنة 1600 ، وعملت على السيطرة على جميع مقدرات وامكانيات البلاد اقتصاديا ، ثم انتهت العملية باحتلال الهند سياسيا ، وتم ذلك رسميا في سنة 1857 ، وكانت نقطة الارتكاز الثالثة للاستعمار هي محاولة النزول في افريقيا : ولما فشلت حركة السيطرة على مصر في حملة نابليون اتجهت انظار الاستعماريين في فرنسا الى الجزائر التي تم لهم النزول فيها منذ سنة 1380 ، وبعد مقاومة عنيفة من طرف الشعب

فسي الحديث السابق عاجنا باجمال بعض المظاهر والمراحل الهامة في تطور انتشار الاسلام تلقائيا ، وعرفنا بشكل مجمل ايضا كيف ان هذه التلقائية قد توقفت نسبيا في الاغصن الاخيرة ، بعد ان كانت حركة واسعة النطاق ، ادت الى نتائج باهرة ستظل خالدة في تاريخ التطور الانساني .

لقد ثبت لي من خلال ملاحظة تعداد السكان في جزر الهند الشرقية مثلا او جنوب اسيا بشكل عام ، ان حركة التلقائية في الاسلام قد كسبت كثيرا من الكتل البشرية ، بعد ان توقف سيل الاسلام ، ولا شك ان لهذه الظاهرة علاقة بالروح السلمية التي جاء بها الاسلام من جهة ، وروح المسالمة التي تمتاز بالتشبث بها شعوب اسيا الهادئة من جهة اخرى ، ويودي ان تعرض لبعض الظواهر التي اعتقد انها ستفسر ولو بعض الشيء الاضطراب والتوقف احيانا في انتشار الاسلام ، بالاضافة الى ركود هذا الاشراق والاشعاع الروحي في الدعوة الاسلامية داخل الاقطار العربية على الخصوص : هذا الركود الذي يجب ان نحاربه باعصاب هادئة وقلوب مؤمنة ، لان الحقيقة الساطعة هي ان فاقد الشيء لا يعطيه كما يقال .

والعالم العربي هو الذي كان المركز الاول لاشعاع الاسلام بلا مراء لا لانه يحتكر الدعوة الاسلامية التي جاءت هدبا للعالمين ، بل لان هناك عاملا اساسيا لا يمكن التفاوضي عنه في امور الديانات والدعوات او في نشأة الامم بصفة اهم ، ذلك هو عامل اللغة ، واللغة العربية هي التي تلقت احكام الاسلام في نصوص بلغة واضحة يعجز عن مثلها حتى العرب الفصحاء انفسهم ، وهو مضرب المثل في الفصحاء ، وهذا يعني ان طالب القوة والوضوح في الدعوة الاسلامية لا بد له من تعمق العربية ، او الاخذ منها بنصيب وافر .

الجزائري دامت نحو العقدين من السنين استطاع المستعمرون احتلال البلاد الجزائرية حتى اعماق الصحراء وذلك سنة 1857 .

وهكذا ظلت حركات التسرب الاستعمارية مستمرة طيلة القرن التاسع عشر في افريقيا واسبيا وعلى الرغم من محاولات البرتغاليين احتلال الشواطئ المغربية فقد وقف الشعب المغربي ، وكان وحده في المعركة ، ان يرد كيد الغزاة ، لكن الضربات المتوالية من قبل الاسبان ثم الفرنسيين ادت الى انهلاك قوى البلاد والزج بها في حالة مزرية من الفوضى والاضطراب انتهت باحتلالها واقتسامها من طرف الدول الكبيرة المستعمرة .

وكذلك مرت بالتجربة كل الاقطار الاسلامية في الربع الاخير من القرن الماضي حسب التسلسل المعروف لدى الجميع ، وكانت الظاهرة الهامة في هذا الاحتلال هي التجزئة لتلك القنالم ، واخذ الاقاليم او المناطق الاسلامية كل على انفراد مما سهل مهمة المستعمرين المقامرين .

لكن هذا التدهور السياسي للعالم الاسلامي لم يكن نتيجة بلا سبب ، فقد حلت بهم الكارثة حين تفرقوا في المذاهب ، وحين انقسموا شيعا في النواحي الفكرية والفلسفية ، ثم حين عجز الفكر الاسلامي عن مسايرة التطور في البحث فجمدت القرائع واغلق باب الاجتهاد واقفلت ابوابه حيث لم يعد هناك من هو في استطاعته ان يبحث ويحقق في الدين ويأتي بجديد ، هذا الجمود في التفكير ، صاحبه ايضا روح التواكل والقدرية مما ادى الى التثبث بالقشور وترك اللباب وهو الذي عمت به البلوى حيث سمح للجهل ان يتفشى في جميع اقطار الاسلام بلا استثناء . الامر الذي ادى بدوره الى انتشار الخرافة والفوضى الدينية التي لا تزال الدعوة الاسلامية تعاني منه في كثير من اجزاء الوطن الاسلامي .

وهكذا وقع الاختلال في الحياة الاجتماعية للبلاد الإسلامية التي كانت مصدر الإشعاع ، لقد اختل بين هدف الدعوة الإسلامية وبين الوضعية التوازنية .

الاجتماعية ، ذلك ان الاسلام دين القوة بكل مظاهرها دين النظر في الكون دين البحث والعلم ، دين الثقافة والوعي الانساني ، لا دين الخرافة والسطحية .

لقد كانت الدعوة الاسلامية في العصور الاسلامية الزاهرة تنتمي ، لمدة قرون ، الى دولة قوية ذات فعالية بمجتمعها الحي اليقظ ، وذات تأثير هام في حركة التقدم الانساني ، وقد اتضح ذلك على الخصوص في عهد الامبراطورية العربية ، ثم العباسية ، ثم بعد قيام الدولات الاسلامية في الشرق والمغرب حتى منتصف القرن الثامن الهجري .

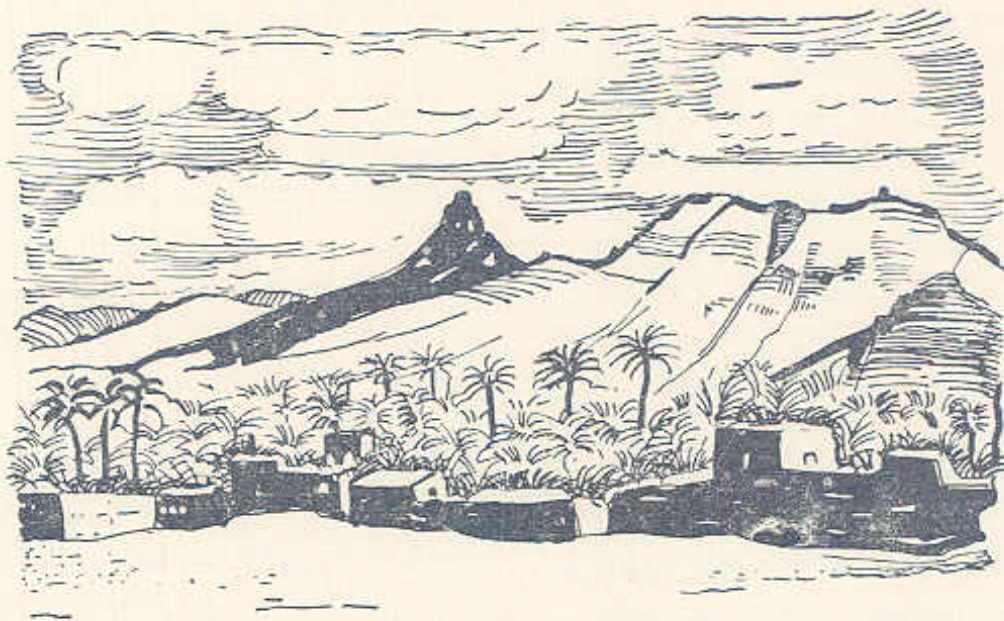
ومهما كان تأثير الانقسامات السياسية التي فتت وحدة الامبراطورية الاسلامية بعد العباسيين فان تلك الدولات كانت في الواقع تتنافس على الحكم وعلى العمل الجدي من اجل التقدم الحضاري ، كان تنافسها في صالح خدمة العلوم المعروفة وانذاك واستجلاب العلماء الافذاذ والادباء الفطاحل واکرامهم والافتخار بهم ، وكان ذلك عاملا من العوامل المشجعة لروح النشاط والوعي وقوة العالم الاسلامي لكن الخلافات المذهبية قد ادت الى نوع من القطيعة والتنافر الشديد بين الطوائف الاسلامية وطالت تلك الخلافات وتشعبت منذ القرن السابع والثامن ، فاصبح هناك فقهاء ، وفلاسفة ، ومتصوفة ، الى جانب الشيعة واصحاب السنة ، واهل الرأي والمحدثين ، وكل طائفة من هذه اتقمت على نفسها فذهب المسلمون شيعا متناحرة ، وكان لهذه الانقسامات الفكرية والعقائدية الى جانب الانقسامات السياسية ، كان لذلك كله آثار سيئة بعيدة المدى في الرابطة الاسلامية فحل الضعف والانحلال في معازل الاسلام وفي تلك الانثناء خلال القرن السابع قام بعض علماء الاسلام يدعون الى الوحدة والتسامح والبعد عن التناحر ثم الرجوع الى الدين الصحيح الصافي في اصوله ومتابعه الاولى وهي القران والسنة ، كان زعيم هذه الحركة هو ابن تيمية ومن بعده ابن القيم الجوزية صاحب الارجوزة المشهورة ، لكن الواقع هو ان الكارثة حلت ولا محيص عنها ، فقد توجه ابن تيمية الى جميع الطوائف المتناحرة فلم يجد منها طائفة تريد ان تسير على حواب ،

الإسلامية فيما قبل ، لكن هناك عامل أهم من كل ذلك قد أدى إلى سيطرة العجمة والجهل في الإقطار الإسلامية ولاسيما العالم العربي ، وذلك هو التأخر المخزي الذي حل بلغة القراءان على عهد الخلفاء العثمانيين ، فما هي أسباب ذلك ؟ وما هي نتائجها المباشرة على الدعوة الإسلامية ؟

ذلك ما سنراه في البحث القادم عن اللغة العربية وتخلّفها عن مصاحبة الدعوة الإسلامية ، ثم ضغط اللغات المسيحية الأوروبية وأثره في الصراع بين المسيحية والإسلام .

بل كل يسفه الآخر ويتنقده ويصمه حتى بالكفر ، وهكذا اتهم المصلح الكبير ابن تيمية بالخروج عن الجادة ، لأنه لم يترك أحدا لم يهاجمه ، فكاد له الجميع ، وانتهى أمره إلى السجن حتى مات .

هذه هي الحال المزرية التي حلت بالمسلمين وأدت إلى طمس معالم الدعوة الإسلامية : انقسامات في الميدان السياسي ، وانشقاق في الناحية الفكرية ، وجمود بعد ذلك في التفكير فكان لا بد من أن تتوقف تلك الأشعاعات الروحية الخالدة التي عرفتها الدعوة



داخل مجموعة من الشروط اللازمة للسلوك ، ازاء المواقف الحالية .

ينطبق هذا التعريف على الناحية من الانا التي لها من بعض الوجوه وحدة واستقرار يشبهان الوحدة والاستقرار اللذين نطلقهما على الموضوعات . ويصبح هذا التعريف غير صالح بمجرد ما يريد ان يدخل فيه ما ليس هنا - الآن ، ويجاوز «الحاضر» ، اي كل ما لا يمكن ان يتصف بـ « الحضور » حالا او استقبالا) لانه دائما يحيا ، سابقا على حاضره اي يحيا في المستقبل . فلطالب ، مثلا ، شخصية حالية ، هي الشخصية المحددة في ورقة هويته ، والتي تملأ حقل وعيه في « الآن » . بيد ان الطالب يشعر بتوتر داخلي ، اي بقوة تدفعه الى « الشخصية » التي يرمي لان يصبحها ، وهذه الشخصية - النزوع ليست حدا نهائيا ، فمن الممكن تجاوزها ، لان امكانيات الطالب لا تعطى ، برمتها ، دفعة واحدة ، انها تبرز حسب تتابع تصاعدي ، كسلسلة من الشخصيات يمكن تصورها . من الجائز ان تنضب امكانيات الطالب ، فيبقى دون ما كان يصبو اليه ، على أن الشخصية التي يرمي اليها غاية ، بالنسبة للوضع الحالي ، ولو استحال تحقيقها في المستقبل .

اذا صح ما تقدم ، جاز ان نقول بان الشخص ليس بشخصية واحدة ، ولكنه عدة شخصيات ، فهو في كل فترة من حياته ، ما لم يكن من قبل ، وسيصير ما لم يكن ابدا . ذلك أن الامكانيات تستطيع ان تذهب الى ابعد مما يتوقع منها ، كما ان التشخيص يمكن ان يتخذ سرعة تتعدى نزوع البداية . ولنضرب لذلك مثلا : (باستور) حينما كان طالبا ، عوضا من ان ينطلق على ذاته ، فينحصر تشخيصه في النزوع الى شخصية استاذ ، دفعته امكانياته الى مرحلة اصبح معها ، يشعر انه ملك لمجموع البشرية ، لا لذاته فحسب . ويقال مثل هذا عن اعلام الانسانية ، مثل طاليس وابن سينا . . . ففوة التفتح التي اكدت شخصيتهم وفرضتها ، جعلتهم ملتزمين بالعمل على تحقيق اهداف تتعدى نطاق اشخاصهم ونزوعاتهم الاولى . فالفعل الذي يؤكد وجود الشخص ويفرضه ، هونفس الفعل الذي يفتح له مجال التعالي . كل نشاط تقوم به ، يحدث تغيرا فينا . كانت (ماري كوري) ، وهي ما تزال طالبة ، تصبو الى ان تصير استاذة ، ولكن تشخيصها ذهب بها الى ابعد مما كان يخطر

ببالها ، فقامت ببحوث خطيرة لتقدم العلم ، ولصالح الانسانية . فاحترقت اصابعها وتعرضت لاطوار اخرى ، ولكن ذلك لم يحدث اي فتور في عزميتها : فالتغالي ، في خدمة العلم ، يحدث حماسا لا يضاهاى ، ينسى معه العالم ذاته ، كالفناء الذي يدعيه الصوفية ، فيصبح الباحث او الفنان في عالم يتعدى حدود الاسرة والوطن وتمتزج نزوعاته في الحياة بأهداف الانسانية جمعاء : اسرته هي البشرية ، ووطنه هو المخبر ، لقد جاوز مستوى الشخص ، وحقق الانسان .

في هذه المرحلة ، ينفصل الانا عن الانانية ، فيندمج مصيره في مصير النوع البشري ، مما يكسبه ثروة وحرية لا حد لهما . فالشخص لا يكتمل في الانسان ، الا بقدر ما يشعر انه هو مجموع الآخرين ، يتكون الشخص ابتداء من شخصيات ، وكل شخصية لا تتأكد الا باستنادها على الارادة والنشاط : النشاط يظهر الارادة ، والارادة تخلق في الوعي الانارات الاولى التي تطبعه بطابع الحيوية ، فلقد كان الرواقيون على صواب بحصرهم كل الشخصية في الفعل الارادي .

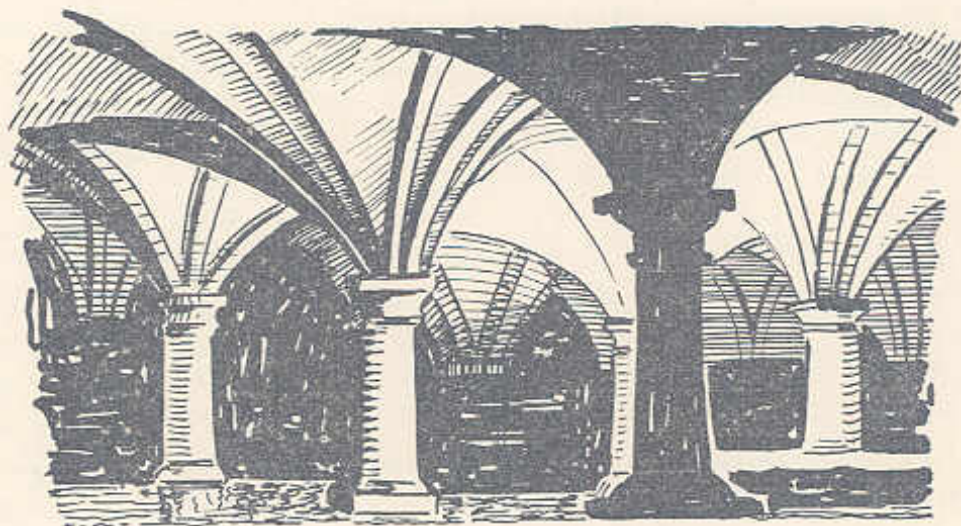
فالشخص ، على هذا ، سلسلة من الافعال الازارية ، اختلط بعضها ببعض ورممها مجهود وحد بين مراحل الحياة المتتابعة ، كما وحد بين الاهواء العديدة ، والاشارات والفعاليات الماضية ، وبين الواثنا العاطفية ، وتجارب النجاح والفشل ، والاهداف المختلفة التي يرمي اليها الانا . كل هذا يتضامن مع نزوعات حالية ، يلتزم فيها «الآن» و « البعد » . فالشخص ، اذن ، « حاضر » في مجموع الميادين ، وليس في اي ميدان .

هكذا ، ليست الشخصية الا فترة من التشخيص ، نرتمن في الحال ، الكائن البشري . وعلى عكس ذلك ، ان الشخص ، قبل كل شيء ، هو كل الشخصية الحالية ، بما فيها من ماض ونزوعات للمستقبل : انه مجموعة شخصيات . لكن كل شخصية حالية شيء مستغرب ، اي مشكلة . ذلك ان كل شخصية ، من حيث انها فترة من فترات الشخص ، ليست مسلكتا تمر به الحركة المشخصة ، وليست بالحد الاخير ، ان كل لحظة من حياتنا توازي النزوع الذي نعمل على تحقيقه ، اي الطاقة الحيوية لوجودنا . بيد ان اللحظة ، هي ايضا ، مشكلة كما تفتنت لذلك

فلسفة برجسون ، فلسفة التطور والحركة ، فالديمومة لا تقبل الا استرسال المطلق . فالكائن ملقى ، في تتابع لحظات ، يجاوز بعضها البعض ، دون انقطاع . من هنا انقلبت مشكلة اللحظة الى مشاكل التتابع ، ففي داخل الشخص ، تمتد الشخصيات وترسل ما دام كل شخص يحمل ، في صميمه ، كل الشخصيات الممكنة ، ويحتفظ بمجموع الشخصيات الماضية ، فلنفرض اننا نستطيع ان نرجع الفقهري في تاريخ شخص لنكشف عما انتجته ضرورته من شخصيات ، فخصيته الحالية ستكون الحلقة الاولى في سلسلة مراحل التشخيص ، تنقلنا من شخصية لآخرى ، حتى نصل الى نقطة البداية ، اي اللحظة التي ليس وراءها شيء ، اللحظة التي ظهر فيها الكائن الخام ، لقد صدق (وليام جيمس) في قوله ، ان الذي يملك الانا الاخير : يملك كذلك الانا الذي قبل الاخير ، اذ ان الذي يملك المالك يملك المملوك » (١٠)

الفلسفة المدرسية : فاللحظة موجودة ، وغير موجودة في ان واحد ، فهي من هذه الوجة ، تماثل النقطة في الهندسة ، توجد النقطة ، ما دمنا نتحدث عنها ، وما دمنا نرسمها على الورقة وعلى السبورة ، ولا وجود لها ، اذ انها لا تخضع لاي وضع من الاوضاع ، اللحظة تنطبق تماما مع الشخصية ، نقول « هذه اللحظة » كأننا نتكلم عن موجود ، ولكننا لما انتهى من الكلام عنها حتى تكون قد انعدمت . فالفاصل بين الوجود والعدم ، غير ثابت ، ولا محسوس ، ولا دقيق . فالماضي ما لم يبق ، انه ما قد كان . لقد اصطلح (برجسون) بمشكل اللحظة ، وعبر عنها معتمدا على ما كان له من نظريات حول الماضي . اللحظة في نظره ، هي في نفس الوقت ، ما يقوم ، حاليا ، بنشاط ، وما تجرد ، نهائيا ، عن النشاط ، انها تحيا ، وعند الآونة التي تحيا فيها ، تكون قد جاوزت حياتها وبما ان

* W. James, Précis de psychologie, p. 265 (2^e édition de la trad. fr., Paris, 1910).





الالتزام الفكري بين الواقعيين والمثاليين

الكتاب السوفياتيين ، وتعرضه لحملات نقدية شديدة ذات طابع أدبي ثارة ، وسياسي ثارة اخرى ، وذلك كله كنتيجة حتمية للتجربة التي ساقته طبيعة تفكيره الادبي الانساني الى خوضها .

وهناك من يمكن ان يجد بعض عناصر المقارنة والموازنة بين القضية التي تكونت فصولها حول باسترناك وبين القضية الادبية والسياسية الكبرى التي لمع فيها اسم الكاتب الروسي المضاد للشيوعية « كرافسكو » صاحب كتاب « اثار الحرية » تلك القضية التي اثارها بالفعل ومنذ سنين عديدة ضجة كبرى في الاوساط الغربية والشيوعية على السواء .

وقد يكون ثمت بعض اوجه المقارنة بين القضيتين المتماثلتين في بعض الجوانب المعينة ، الا ان هناك - مع ذلك - اساسا للملاحظة الفروق الجوهرية التي توجد بينهما ، والتي لا تبيح الاعتماد على نتائج هذه المقارنة اعتمادا صحيحا ، ومن بين هذه الفروق ملاحظة نسبة الارتباط بين كل من القضيتين وبين العوامل الادبية والسياسية التي توجد كامنة وراءها ، فقد كانت بادرة « كرافسكو » ذات صبغة سياسية مذهبية اكثر بروزا واشد وضوحا ، على الرغم مما يمكن ان يقال عن دواعيها الفكرية والادبية المحتملة ، اما قضية « باسترناك » فقد كانت اهم العوامل التي اسهمت في حبك خيوطها - كما يبدو - لا تلتصق بالافراض السياسية الصرفة التصاقا قويا ملموسا ، وشخصية « باسترناك » وظروف حياته وعيشه وطريقته في السلوك والتصرف ثم الاسلوب البسيط الذي احتذاه في الزج بروايته الى عالم النشر خارج الاتحاد السوفياتي ، هذا الى طبيعة الموقف الذي

كانت سنة 1956 بداية القصة المثيرة التي استأثرت باهتمام الاوساط السياسية والادبية في العالم ردحا طويلا من الدهر ، وربما لا تزال لها فصول لم تفض الى نهايتها بعد ، كان ذلك يوم ان استطاع الكاتب الروسي الكبير (بوريس باسترناك) ان يهرب) روايته الشهيرة (الدكتور جيفاكو) خارج الاتحاد السوفياتي بواسطة احد الصحفيين الايطاليين، ويضعها بين يدي احد كبار الناشرين (السيد فلترينيلي) في ايطاليا ، البلد الغربي العريق ، والعضو الهام المرموق في منظمة حلف الشمال الاطلسي .

وبلغت الازمة التي احدثها « باسترناك » اوجها سنة 1958 وذلك حينما « تطوعت » الاكاديمية السويدية بمنح جائزة « نوبل » للكاتب الكبير كتقدير عالمي رائع لروايته التي كان قد رفض نشرها من قبل اتحاد الكتاب السوفياتيين ، والتي تشكل في جوهرها - بحق - شبه ادانة غير مباشرة لطبيعة الظروف التي اكتشفت الثورة الشيوعية الكبرى في روسيا ، والملابسات التي رافقتها من قريب او بعيد .

وفي شهر مايو من سنة 1960 ختمت انفاس الكاتب النائر الصامت ، والاديب اللاند بحمي العزلة والانفراد ، ذلك الذي استطاع ان يحدث في العالم ضجة ادبية وسياسية مدوية ، على الرغم من انه لم يكن يتحول عن ملاذه الهاديء الوديع ، ولم يتنكر يوما ما لاسلوب حياته اليومية الرتيبة ومنهاج سلوكه البسيط المتواضع وافضى باسترناك الى نهايته بعد ان عاش تجربة فكرية ووجدانية عميقة اصيلة ، وبعد ان عانى من خطورة البادرة الانتاجية التي قادته اليها هذه التجربة ، وبعد ان شاهد اقصاده من حظيرة

يستبين وجه الصواب فيه بكل وضوح عن طريق الاعتماد على بعض التحليلات المقتضية ، والركون الى جملة من الاستنتاجات السريعة المتسرة .

وعلى كل ، وبالأغضاء عن قيمة المدلول الحقيقي لتفكير باسترناك وحقيقة المشكلة التي أثارها ، وموقفه من الاحداث التي انتهت اليها هذه المشكلة ، بغض الطرف عن كل ذلك ، فان هناك - على وجه العموم - مجالاً للملاحظة بعض الظواهر الهامة التي بدأت جوانبها تتضح أكثر فأكثر ، وتأخذ سبيلها الى التبلور داخل المعسكر الاشتراكي ، وتتجلى هذه الظاهرة في تطور موقف بعض الاوساط الادبية والثقافية من قضية الالتزام الفكري المطلق ، وجنوح البعض من الكتاب فعلاً داخل بلاد اشتراكية معينة الى التخفف من شدة الاستمسك بمبدأ هذا الالتزام ومقتضياته .

لقد تراءى في افق الادب الاشتراكي المعاصر ارهاصات نزوع حقيقي نحو احتضان بعض الاتجاهات الليبرالية في التفكير والتحليل والانتاج ، وهذا الاتجاه - وان كان يبدو فردياً محدوداً - فانه - مع ذلك - يؤذن بانفتاح بعض الامكانيات التطورية في مناهج واساليب التفكير الادبي الاشتراكي قد تبيح له - في بعض الحدود المعينة - ارتياد آفاق أكثر رحابة وسعة مما كان عليه الامر في ظل العهد الستاليني المدبر ، والذي يبدو واضحاً ان اللاستالينية « Déstalinisation » التي تكاد تصبح من بين المميزات الاساسية لاوضاع الحكم والاتجاه في اقلية اقطار اوربا الشرقية الشيوعية - توجد متلائمة - الى حد ما - مع إمكانات هذا التحول الاتجاهي على صعيد الادب والفكر ان لم تكن هي نفسها من بين عوامل هذا التحول وفي اساس التيارات الحتمية الحاسمة التي قد تكون عجلت بحدوثه .

وقد شهدت الاسابيع الاخيرة في الجمهورية الشعبية البولونية مظهراً جديداً ومثيراً من مظاهر الاتجاه « الفردي » نحو التحلل من موجبات الالتزام العقائدي في نطاق الاشتراكية ، كان ذلك يوم ان بوغمت الاوساط الادبية في « وارسو » (10 أكتوبر الماضي) بظهور آخر كتب الناقد الادبي الشيوعي البولندي « اندري سطافار » الذي كان قد توفى خلال الربيع الماضي بباريس ، والذي احتفت السلطات البولندية بوفاته احتفاءً رسمياً ومهيّباً باعتباره احد الرواد الاشتراكيين البارزين في شرقي اوربا ، واحد رجال الطليعة في عالم النقد الاشتراكي الحديث .

التزمه حيال التعقيدات السياسية والدولية التي نجمت عن الافكار والآراء المنطوية عليها هذه الرواية ، كل ذلك يمكن ان يحمل على الزعم بان المقاصد السياسية البحتة كان لها دور ثانوي في المبادرة الفكرية التي اقدم عليها الكاتب الروسي الكبير ، بل انه من الجائز ايضاً الا يكون لهذه المقاصد جود على الاطلاق ، لكن ماذا يجوز ان تعني في هذه الحالة رواية ذات مضمون سياسي انتقادي كالدكتور جيفاكو ؟ ما هو المفهوم الذي يمكن ان يتحلل في هذه الحالة للرواية التي غدت شهرتها ذات صبغة عالمية بعد ان غدت - لفترة ما - عنصراً ملحوظاً من عناصر الحرب الباردة بين الشرق والغرب ؟ ان المضمون الفكري لرواية الدكتور جيفاكو بالرغم من المظاهر ، لا يعكس - كما يبدو - روحاً ثورية نضالية حقيقية ، ولا يعبر عن ارادة الكفاح السياسي المنظم المستند الى قوة الاصرار والتصميم والتنسيق ، فالواقع ان المفاهيم التي يمكن استخلاصها من ظروف وضع الرواية قد لا توحى باشياء جوهرية من هذا القبيل ، ومع ذلك فان الدكتور جيفاكو يجب ان تعتبر روايته هادفة تنطوي فعلاً على مقاسز عميقة لها مدلول واسع بعيد المدى ، وهي - وان لم تكن تعكس ارادة الكفاح السياسي المنظم فانها - مع ذلك - تدل على اتجاه حتمي نحو الانطلاق العقلي غير المقيد ، وتنم في جوهرها عن وجود ميل شديد كان يحتمل في نفسية باسترناك ويحدوه الى مقارنة التمسك الشديد بمقتضيات الالتزام الفكري المتصق بحرفية المذاهب أكثر من ارتباطه ببواعث نموها واستمرارها، هذا النوع من الالتزام الذي يمكن ان يترادف « الدوكتماية » « Dogmatisme » او المذهبية في بعض الجوانب المعينة ، ولا حاجة للتأكيد بان هذه الدوكتماية قد اصبحت تلقى كل صدود واعراض من كافة الاوساط العقائدية الماركسية سواء داخل الاتحاد او خارجه وتوجد في اساس النزاعات الجديدة الناشئة بين الاتحاد السوفياتي ونزعة انور خوجة في البانيا ، وسواء اكان علينا ان نفسر تفكير باسترناك على انه تعبير عن الميل الى مجانبة المذهبية - وليس هناك ما يؤكد ذلك تأكيداً مطلقاً ، فقد تكون هناك عوامل دقيقة اخرى اقل جلاء وبروزاً - او كان من اللازم ان يفسر هذا التفكير باعتباره مظهراً لاتجاه انحرافي Revisioniste او نزعة تراجعية Reversioniste .

سواء كان علينا ان نراه بهذا المنظار او ذلك فان هذا التفكير - مهما كانت الحال - نوعاً من الاتجاه الى عدم الالتزام الفكري الناشئ عن خطأ او استقامة في الرأي وذلك جانب من القضية يعسر على المرء ان

لقد كان لسطافار سجل حافل في مضمار الكفاح الأدبي - السياسي من أجل الاشتراكية ، وقد عانى طويلا من النظام الستاليني الذي كان يعم بلاده مثل ما كان يعم غيرها من الجمهوريات الشعبية الاوربية ، ولكنه استطاع - بعد ذلك - ان يسترد مكانته الطلائعية المرموقة غداة نجاح الثورة اللاتالينية في وارسو وانتقال ازمة الحكم الى الزعيم الشيوعي المعتدل « كومولكا » وشيعته سنة 1956 .

والى الايام الاخيرة من حياة سطافار - تلك الحياة التي افضت الى نهايتها في جو عادي وظروف طبيعية - فقد كان هذا الكاتب يعتبر - كما كان من قبل - كابرز النقاد الاشتراكيين المعاصرين في بولندا ، واحد الكتاب العقائديين المرموقين ، ولا شك ان اتجاهاته الفكرية العامة ، وطبيعة المقاصد الايدولوجية ذات الطابع الاشتراكي التي كانت تنضح بها كتاباته المختلفة ، لا شك ان كل ذلك كان من شأنه ان يضمن لانتاجه كل هذه المنزلة التي ينعم بها في مضمار الادب الاشتراكي الحديث ، ويضفي على آثاره الفكرية بصورة عامة قدرا من الاعتبار بعيد المدى وعميق الحدود . وعلى الرغم من ان نهاية حياة « سطافار » كانت نهاية طبيعية عادية ، الا ان المصير الذي عالت اليه افكاره الادبية والانتقادية كان مصيرا غريبا حقا يتطوي بالفعل على كثير من العناصر المثيرة للاهتمام ، اما صورة الغرابة في هذا المصير فتتمثل فيما خلفه هذا الكاتب الماركسي من آراء ونظريات تدور كلها حول هذا الواقع الاشتراكي الدولي الذي كان يتبناه ويتولى المناقشة عنه وتتناول هذا الواقع وحتى بعض المبادئ التي يقوم عليها - بعبارة النقد والتفنيد ، التي يذهب بعضها الى مدى بعيد جدا ، وقد عبر عن هذه الآراء والنظريات التي كانت مفاجأة مذهلة لكثير من المراقبين والملاحظين - عبر عنها في كتاب جديد صدر له حديثا في فرنسا ، وكان من ابرز الاحداث الفكرية التي شاهدها اقطار اوربا الشرقية وبولندا بالاحص خلال الشهور الاخيرة .

وضع الكاتب تأليفه بين (وارسو) و(باريس) وفي عاصمة بلاده اتم القسم الاول من الكتاب حيث ضمنه كثيرا من الانتقادات الصارمة (للاستالينية) كسياسة ومنهاج ، والحق ان جملة هذه الانتقادات تبدو كظاهرة عادية مألوفة بعد ان اصبح النهج الستاليني موضوع عديد من المؤاخذات الجورية سواء داخل الاتحاد السوفياتي او في غيره من الاقطار الاوربية التي تسودها

انظمة الجمهوريات الشعبية باستثناء البانيا والصين ، بل ان مناوأة الستالينية قد غدت بالقفل في مجموع هذه الاقطار قاعدة انطلاق لكثير من المواقف السياسية والعقائدية التي يكتسي بعضها طابعا رسميا ودوليا بارزا ، اما القسم الثاني من الكتاب فقد سوده (سطافار) في (باريس) العاصمة التي عاثر الحياة فيها فترة من الوقت قبيل نهاية حياته ، والنظريات التي يحويها هذا القسم هي - بحق - مثار المفاجأة في انكتاب بمجوعه اذ ان هذه النظريات تنطوي - كما يبدو - على مدلولات عقائدية مختلفة فيها من الغرابة - كما قدمنا - قدر غير قليل فالى جانب انتقاد الكاتب لنتائج المؤتمر العشرين الشهير للحزب الشيوعي الروسي الذي ساعد على تعديل ملامح الوضع السياسي والعقائدي سواء في الاتحاد السوفياتي او في كثير غيره من اقطار الجمهوريات الاشتراكية الشعبية وخاصة بولندا - الى جانب انتقاد نتائج هذا المؤتمر فقد انطلق الكاتب الاشتراكي البولوني ايضا الى تعييب بعض مظاهر الحكم وصور الحياة في اقطار العالم الاشتراكي ، بل انه عدا ذلك الى حد ابداء آراء تشاؤمية مفرقة ، وذلك فيما يتصل بمستقبل الماركسية كفلسفة ومنهاج ، ومدى فاعليتها في التأثير على وجدان الانسان المعاصر ، وتوجيه افكاره وعقائده ، وتنظيم سلوكه وتصرفاته في الحياة .

والواقع ان القضايا التي يثيرها (سطافار) في كتابه المثير هذا لا تعيننا كثيرا من حيث المضمون السياسي والمذهبي الذي تعبر عنه ، فالاعتبارات السياسية والعقائدية - في هذا المضمار - هي من التعقد والالتواء بدرجة كبيرة جدا ، والنظر في هذا التعقد ومحاولة معالجته على الصعيد النظري امر لا يثير عنائتنا كثيرا ، لانه لا يمس اي جانب هام من جوانب اهتماماتنا القومية - الانسانية الملحة ، هذا بلاضافة الى ان الحالة المائلة في قضية « سطافار » لا تدل - بالضرورة على وجود انقلاب جوهرى في الخط السياسي الذي كان يتبناه الكاتب البولندي الكبير ويحتضنه بمزيد من الايمان والحماس ، فالآراء (التمردة) التي عبر عنها في كتابه قد لا تكون - في الواقع الا انعكاسا بسيطا لحالة من عدم الالتزام المذهبي كما هو الامر بالنسبة لكثير من الحالات من هذا النوع ، ولكل ذلك فالذي يبدو واضحا ان هذه الآراء لا تشكل بالفعل موقفا سياسيا معينا بقدر ما تدل على واقع فكري متحول يصعب تحديده اهميته ومدلوله ، وهذا الواقع الفكري ذي الصبغة (المباغتة)

هو الذي كان دائما لاستغراب المراقبين واندعاشهم ،
وتساؤلات الكثير من الاوساط الادبية والفكرية سواء
داخل البلاد الغربية او غيرها وخاصة في بولندا ،
وطن الكاتب ومستقرة الاصيل .

وعلى الرغم من بروز كتاب سطاغار في ظروف
مثيرة حقا ، انطبعت بها الحياة الفكرية في بولندا
خلال الشهور الاخيرة ويتمثل البعض من هذه
الظروف في قضية الكاتب البولندي جيرزي كوناركي
Zerzi Konarcki الذي داب اخيرا على تحرير بعض
الكتابات الانتقادية المستغربة ، وترويجها بصورة
رومانتيكية مثيرة ، وقضية الاديبة السيدة هيلينا
راسزينسكا Héléna Rassynska امينة سر الجمعية
الادبية البولندية « الدائرة الموترة » وقد ارتبط اسم
هذه الكاتبة اخيرا بجملة قضايا ادبية ذات طابع
سياسي بارز على الرغم من ظهور كتاب سطاغار في
مثل هذه الظروف المثيرة فانه - مع ذلك - لم يؤد الى
نشوء حالات من رد الفعل الحاد شبيهة بتلك الحالة
التي افضى اليها كتاب باسترناك « الدكتور جيغافكو »
ولعل منشأ ذلك ان كتاب سطاغار كان يعكس - كما
قدمنا - مجرد حالة عابرة من حالات عدم الالتزام
الفكري اكثر مما يدل على حقيقة اتجاه سياسي
متناسق العناصر ، وواضح الاهداف ، هذا بالاضافة
الى ان تأثيراته في العالم لم تكن في اهميتها وسعة
مداها من نوع تلك التأثيرات التي احدثتها رواية
الاديب الروسي الكبير ، ويجدر بنا - بعد كل هذا -
ان نتساءل : ماذا يعني لنا من كل هذا اذن ؟ وما هو
المفهوم الحقيقي الذي يجب ان نقيم على اساسه
مثل هذه القضايا الفكرية المتمثلة في حالة باسترناك
وسطاغار وغيرهما ؟

انا اذا كنا قد استبعدنا العنصر السياسي من
هذه القضايا لان مدلولاته لا تعيننا عمليا في شيء
- فان ذلك لا يصدنا عن اعتبار الجوانب الاخرى من
نفس هذه القضايا .. تلك الجوانب التي تتصل بقضية
الفكر على العموم ، والتي هي اقرب ما تكون الى طبيعة
الاهداف والمقاصد الحاضرة لنا في الحياة نحن ابناء
السعوب المتحازة ، ان الفكر يكتسي - بالنسبة الى
وجودنا الدولي والعالمي اهمية بالغة وعميقة المدلول
لانا نستند الى هذا الفكر كاداة - .. كاقوى اداة
تعتمدها - بعد الله - في تأكيد وجودنا الحيوي امام
عوامل القوى المادية التي تستأثر بمقاييد كثير من
الامور في عالمنا المعاصر ، وبالتالي فان هذا الفكر يرداد

ارتباطا - مع مرور الايام - بطبيعة مصيرنا ومستقبلنا
وكذا مستقبل الازمات الحياتية التي تكتنف وجودنا
من قريب او بعيد .

ومن هنا كان مصدر هذا الاهتمام الذي يجب
ان يحدونا الى مراقبة وقع الفكر وتطوراته في عالم
اليوم ، هذا الفكر الذي لا بد ان تتوافر له الشروط
الضرورية والكفيلة بتحريره وتوسيع نطاق تأثيره
على ما جريات الامور في حياتنا العالمية المعاصرة ، ومن
البدوي ان هذا التأثير الذي يفترض للفكر على حياة
الانسان المعاصر لا يمكن ان يكون فعلا وذا جدوى الا
اذا تمكن هذا الفكر والمصادر التي ينبثق عنها من
التلاؤم مع مدلول المبادئ التي تحدد رسالته في
الحياة . ان القضايا الناشئة عن حالة باسترناك
وسطاغار ربما لا تكون - كما اسلفنا - ذات اساس
فكري « تمردى » بعيد المدى وعميق الدلالة ، الا ان
الذي يجب ان يستأثر بنظرنا - في الاساس - هو
اعتبار مجموع الحالات الفكرية على العموم التي قد
تكون متقاربة مع حالة الكاتبين الشيوعيين البولندي
والسوفيياتي ، وقد تكون متباعدة عنهما بشكل او
بآخر ، هذه الحالات لا بد ان تثير اهتمامنا جميعا
- وبصورة جدية - وذلك لما يتمثل فيها احيانا من
مظاهر الاصطدام بين مثالية الفكر السوي وواقع
الحياة المنحرف تارة نحو « اليمين » وطورا نحو
« اليسار » هذا الاصطدام بين مثالية الفكر المجرد
وانحراف الواقع القائم يعكس - في الواقع - مظهرا
اساسيا من اشد مظاهر الخطورة التي تكتنف سلامة
الفكرة الانسانية العامة في عالمنا الحاضر . وقد يفضي
هذا النوع من التصادم الى تفوق الواقع السياسي او
الاجتماعي القائم ، وبكل ما ينطوي عليه من عناصر
الربح والانحراف ، وحينذاك ينزع هذا الواقع - بالقوة
او بالفعل - الى الاستكمال من مصادر الفكر الانساني
المتحرر ، وترويضها على التلاؤم معه ، واستدراجها
بالتالي الى مصانعه وممالاته ، وتعبيد الطريق امامه
بشكل او بآخر .

ان السبل التي يتم سلوكها لتحقيق حالات
السيطرة المباشرة او غير المباشرة على مصادر الفكر
والنظر ، هذه السبل هي من التعدد والكرثرة بدرجة
كبيرة وتختلف صفاتها باختلاف الاتجاهات التي
يتبناها الواقع المسيطر ، ودرجة تلاؤمه فعليا مع
مثالية الفكر او تميزه عنها ، ومن بين هذه السبل :

(1) التحكم تحكما مباشرا في نفسية رجل الفكر ،
والتأثير على منابع وعيه وادراكه وذلك عن طريق
العمل على احاطة حياته باجواء نفسانية ذات مفعول
سلبى عميق المدى .

(2) مصادرة ضمير المفكر ، والاستيلاء على
مواطن احساسه بالمثل والقيم وغيرها ، وتحويل هذا
الاحساس نحو سبيل التكيف مع اتجاهات الواقع
القائم ، ولو كان ذلك على نقيض هذه المثل والقيم ،
وكل هذا عن طريق اللجوء الى وسائل من الاغراء
الرخيص ، والاسترضاء المتذل ، المستند احيانا الى
دغدغة الفرائر واشباع النزوات .

(3) اضطراب الفكر - بحكم بعض الضرورات
القومية والانسانية الملحة - الى النزوع للتلاؤم مع
كثير من الحالات الواقعية التي ربما يكون بعضها
على درجة من المناقضة للمبادئ ذاتها التي يجب ان
يقوم عليها وجود هذا الفكر .

وهذه الحالة الاخيرة هي اكثر حالات التبعية
الفكرية واعظمها اعتبارا ، ذلك ان مظاهر السيطرة
على الفكر عن طريق التأثير السلبي (كالترهيب) او
الاجابى (كالاغراء) لا يجب ان تلتفت الانتباه كثيرا ،
لان مثل هذه المظاهر تعتبر - بالفعل شيئا عاديا
بسيطا يسهل الحكم عليه في الغالب ، وكثيرا ما ينتهي
الى ثورة الفكر ضده حالما يتم ارتفاع الظروف المجبرة
القاهرة والوسائل المفرية الجاذبة ، انما الذي يستلقت
النظر اكثر من ذلك هو الحالة المتمثلة في وقوع الفكر
بصورة او باخرى تحت تأثير بعض الضرورات القومية
والانسانية الخاصة ، واضطراره الى مسايرة كثير
من المقتضيات الناشئة عن هذه الضرورات - مع ما
قد يكون في هذه المسايرة من محاذير عقائدية ومبدئية
ربما تكون عظيمة الاهمية والخطر احيانا .

وهذا ما يمكن ان ندعوه في بعض الحالات بالالتزام
الفكري او المذهبي الذي يتمثل - كما تمكن ملاحظته -
في هذا النوع من الترابط الجزئى او المطلق بين
الفكر وواقع الحياة السياسية او الاجتماعية التي
تسود بلدا ما ، وتتحكم في توجيه امكانياته ومقدراته ،
وهذا الترابط الذي يتسم احيانا عن طريق القسر
ويحصل احيانا اخرى عن طريق الاقتناع ، هذا
الترابط يستقطب - كما رأينا - كثيرا من الصور التي

تترأى عن خلالها بعض مشاكل الفكر المتحرر في عالمنا
الحديث ، وخاصة بالنسبة لبعض البلاد التي تجتاز
الحياة العامة فيها مراحل محرجة واستثنائية

والالتزام الفكري - كالتخطيط الاقتصادي قد
يكون - مبدئيا - وفي كثير من الحالات - ضرورة اكيدة
من بين الضروريات التي تستوجبها مراحل التطور
الجدري الحاسم في مختلف البيئات والمجتمعات
النامية ، الا ان التركيز على هذا الالتزام واعتبار
المقدرات الفكرية والادبية - على اساسه - كمجرد قيم
عادية تندمج في مجموع قطاعات التخطيط العام بمختلف
فروعه وامتداداته - ان ذلك - وان كان له محاسنه
وموجباته في بعض الحالات ، غير انه يؤدي - حتميا -
في حالات اخرى - الى مجرد تعرية التجارب الفكرية
والاختلاجات الوجدانية من مضامينها العبقريّة
الخلاقة ، واحالتها فقط الى مطلق ايحاءات وابعازات
موجهة وعاطلة - في جوهرها - عن كل مفهوم انساني
جدير بالاعتبار ، ان هذه الحالات من الالتزام الفكري
المتجمد توجد لها مظاهر مختلفة وصور عديدة في كثير
من انحاء العالم سواء بالنسبة لبعض الدول التي
تبنى قوما عقائدية ذات طابع عالمي او بالنسبة لبعض
الدول الاخرى التي تحتضن مبادئ التفكير القومي
المحلى او التفكير القومي الترابطي او بالقياس ايضا
لبعض الاقطار التي تعتنق - واقعا او نظريا -
مبادئ النظام الديمقراطي البرلماني ، وسواء في هذه
الحالة او تلك فان الفكر الملزم قد يكون موجها احيانا
الى خدمة بعض العقائد والمبادئ التي تمتزج بجملة
من الاهداف الانسانية النبيلة ، ويقضي تطبيقها الى
اقرار اوضاع صحيحة ومشروعة ، ولكن هذا الفكر
الملزم ايضا قد يوجد احيانا اخرى - مسوقا -
بالقوة او بالفعل - الى مظاهر مبادئ وعقائد معينة
لا تنسجم - كما قدمنا - في جوهرها ونتائجها مع ما
يجب ان يستهدفه الفكر الانساني - في نسقه الاعلى -
من خدمة مثل الخير والصدق والجمال ، وتجسيم
هذه القيم الخالدة في اشكال حية وواقعية .

ان قضية الالتزام الفكري الادبي هي اذن قضية
- وان كانت بسيطة واضحة من حيث المبدأ ، الا انها
باعتبار النتائج المنبثقة عنها تبدو على درجة ما من
التشابك والتعقيد ، ومنشا التعقيد في هذه القضية
يعود - في الاساس - الى مشكلة الاختيار بين الالتزام
الخير الهادف وبين الالتزام السلبي المتجمد المرادف

مدلول التبعية البليدة ، والناجم احيانا عن حالات
وضيعة من الارثشاء في شكل مادي او معنوي وعلى
اساس هذا الاختيار يتوقف الحكم على ما قد يكون
هناك من حالات التزام فكري عديدة تختلف صورها
ونائجها باختلاف الظروف والملابسات التي تتصل
بها والنتائج المستهدفة منها بوجه او بآخر .

ان من المعقول جدا ان يلتزم الفكر الادبي او
الفلسفي - في كثير من الحالات - بالدفاع عن نهج
معين من السلوك في مجال السياسة او الاقتصاد او
الاجتماع او غير ذلك ويتقيد به الى اقصى حدود
التقيد ، بل ويتجرد في سبيل ذلك عن ضروريات
حريته وانطلاقه وتلقائيته ، وان من المقبول كذلك ان
يتقيد الشعور الفني الجمالي في ميادين الموسيقى
والنحت والرسم بمثل هذه الانواع من القيود
والالتزامات ، ويخضع لمقتضياتها وموجباتها بوجه او
بآخر ، ان التقيد والالتزام الادبي والفني قد
يكون - اذن - وفي كثير من الحالات معقولا وضروريا
الى حد بعيد ، الا ان التجربة الفكرية او الشعورية
التي تتطور في حدود هذا الالتزام المتقيد يجب ان
تكون منبثقة عن وعي انساني حقيقي ومتحررة من
قيود الصناعة والارثشاء وعلاوة على التصاقها
بالمعطيات الماثلية النبيلة ، فانها يجب ان تكون ماثرة
دائما بواقع الانسان كإنسان يحس ويتالم ، يسعد
ويكره ، يتفاعل مع الحياة ويتفاعل مع حقائقها
وظواهرها .

ان الواقع الانساني سيبقى باستمرار اساس
الحكم على قيمة التجربة الفكرية والفنية للتمزمة ،
ومن الضروري ان يكون علاج هذا الواقع واصلاحه من
بين المحاور الرئيسية التي يجب ان تدور حولها مثل
هذه التجربة وذلك على اساس ان يكون هذا الاصلاح
اكثر انطباقا على صالح الفرد والمجموع ، واقل تعرضا
لاسباب التناقض والاصطدام بين المصالح المعقولة ،
والمصالح الجماعية المقدسة .

والواقع ان الحرص على التخفيف من هذه
التناقضات الاجتماعية والاجتهاد في ذلك قد يؤدي
احيانا - كما تم في بعض البلاد الطامحة لسرعة
التطور - الى اتباع بعض المناهج والسبل المتشددة ،
كما يقتضي اتخاذ عدد غير محدود من المواقف قد
تبدو قاسية غير انسانية من حيث الظاهر ، ولكنها

ذات مضمون اصلاحي حقيقي لا تظهر نتائجه الا في
الامد البعيد ، وفي احوال من هذا النوع يكون من
المقبول ان يساير الادب المتترم بعض اساليب التشدد
والقسوة ، ويتقيد احيانا بتبريرها وابرار مشروعيته
الى مدى بعيد وذلك وان كان يشكل مظهرا ما من
مظاهر التحدي لبعض الاعتبارات الانسانية الفردية الا
انه - وهذا هو الالم - يلتقي في صعيد واحد مع
كثير من المعطيات المبدئية الاخلاقية التي تقر مصلحة
الجماعة اذا كانت تتناقض ومصالح الافراد - ولو انه
من الضروري بذل العناية بالتخفيف من هذا
التناقض - كما قدمنا - طالما كان ذلك ممكنا وميسورا
اما اذا كان الامر يتصل بمواقف لا يستطيع تصور
اي مفهوم انساني لها سواء اكان قائما على اعتبار
واقعي او كان مرتكزا على مبدا اخلاقي مثالي وذلك
كمشاهد التقتيل الجماعي بالجزائر او الاجتراء على
تفجير اجهزة حرارية نووية من صنف الخمسين
ميكاتون في غير ما مقصد سلمي او شبه سلمي ،
والتطويع بقيم مالية ضخمة في ميادين سلبية غير
انسانية كالاستعداد لحرب عالمية محتملة ، والتهيو
لصراع ذري وهيدروجيني متوقع ، اذا كان الامر
يتصل بمواقف وحالات كهذه ، فان التزام الفكر بها
يفقد حينذاك مدلوله المبدئي ، وصفته المبررة ، ويصبح
مجرد ظاهرة ناشئة تترأى من خلالها صور من
التبعية الرخيصة ، والذنبية المرتسية والتهافت
الذبابي الوضيع ، وحينذاك يفقدو من العسير جدا ان
يحافظ الفكر الادبي والفلسفي على قداسة رسالته
التوجيهية ، ونجاعة مهمته القيادية الطلائعية ، وليس
من الممكن - في احوال مثل هذه - ان نجد للكلمة او
اللعن او الرسم كل ذلك المظهر الناصع الذي تكتسيه
حينما تكون مجرد انعكاس لما يتفاعل به الضمير الواعي ،
وليس من الجائز في هذه الاحوال ايضا ان نلمح في الفكر
او الشعور تلك الصورة البهيجة المشرقة التي يتجلى
فيها عند ما يفقدو مجرد سبيل للانطلاق نحو الحق ،
ومجال استكشاف لمواطن الخير ونقطة ارتداد لافاق
البهجة والجمال .

ان هناك مجالا واسعا لتبادل الاسداء الفكرية
والشعورية بين الكتاب والفنانين الانسانيين في مختلف
انحاء العالم ، وليس يعنيننا من امر الاوضاع الفكرية
في العالم الاشتراكي والراسمالي او غيره ، الا بقدر
ما يساهم به ذلك في توفير اسباب التجاوب والتصادي
بين هؤلاء الكتاب والفنانين وتواطؤهم على استبعاد

عوامل التدمير الذاتي التلقائي التي باتت تزلزل ضمير الإنسان ووجدانه في كل مكان، فليس من الحتمي مطلقاً ان ينهزم الفكر الإنساني الواعي امام عوامل الصناعة الضخمة التي انطلقت من عقالها عن طريق هذا الفكر ذاته ، وليس من اللازم ايضاً ان تتضاءل العقلية الإنسانية المفكرة وتتصاغر تجاه الحقائق المادية الرهيبة التي يزخر بها عالم اليوم ، والتي ينبتق بعضها عن اجتهاد هذه العقلية واتساع افاق نشاطها.

على انه لكي يمكن بالفعل تلافى هذا الانهزام والتصاغر فلا بد - لذلك - من ازدياد الشعور بالمسؤولية التاريخية عند هؤلاء المصدرين لشؤون الفكر والابداع الفكري في مختلف انحاء العالم ، ولا بد ايضاً من اقتناعهم جميعاً بضرورة الحفاظ على قدر من الالتزام الإنساني في صور انتاجهم ، ومظاهر تفكيرهم وشعورهم لانه - وان كان من الواجب ان يتقيدوا - في حدود معينة - بما يتفق وحاجيات

ذلك هو الالتزام الفكري الحق : تفتح على ما في المثاليات الاخلاقية من سمو ونبالة ، وتقيد الواقع الإنساني المائل ، وبكل ما يعبر عنه هذا الواقع من حقائق اساسية ، وما يعكسه من ظواهر وصور مختلفة ، وفي ذلك جماع المقاصد الرفيعة التي يجب ان تعطي للالتزام الفكري العقائدي مدلوله المبدئي المقبول .

على انه لكي يمكن بالفعل تلافى هذا الانهزام والتصاغر فلا بد - لذلك - من ازدياد الشعور بالمسؤولية التاريخية عند هؤلاء المصدرين لشؤون الفكر والابداع الفكري في مختلف انحاء العالم ، ولا بد ايضاً من اقتناعهم جميعاً بضرورة الحفاظ على قدر من الالتزام الإنساني في صور انتاجهم ، ومظاهر تفكيرهم وشعورهم لانه - وان كان من الواجب ان يتقيدوا - في حدود معينة - بما يتفق وحاجيات



مسئلة العبدري الحامي

- 2 -

ثم يمر على مكناسة ويأخذ عن بعض شيوخها ..

وإذا تذكرنا ان العبدري خرج من بلاده في ذي القعدة من سنة 688 اي بعد قيام المرينيين بنحو العشرين سنة .. وإذا تذكرنا تلك الاحوال والفواجع التي حلت بالبلاد المغربية وهي تعاني حروبها الداخلية والخارجية .. وإذا تذكرنا الصراع بين الموحدين والمرينيين من جهة .. والصراع بين المرينيين وبنو عبد الواد وبنو الاحمر من جهة اخرى .. وإذا تذكرنا انهيار الامبراطورية الموحدية وقيام دولة بني الاحمر في غرناطة .. وبنو عبد الواد في تلمسان .. وبنو مرين في فاس .. وبنو حفص في تونس وبجاية - علمنا اي ظروف كانت تحيط بالمغرب واي عصر كان يعيش فيه صاحب الرحلة .

فالتشاؤم والانقباض وسوء الظن بالحياة والاحياء كانت سيطرة على صاحبنا الى ابعد حد حيث يقول : « وقد تعطل في هذا العصر موسم الافاضل وتبدد في كل قطر نظام الفضائل .. وقد صار الملك الذي هو نظام الامور وصلاح الخاصة والجمهور في اكثر الارض منقوص الدعائم ، مهدم القوائم ، يدعيه كل غوي كالملكيشي (*) وعبد القوي (*) .. او ليس من الامر الخارج عن كل قياس ان المسافر عند ما يخرج عن اقطار مدينة فاس لا يزال الى الاسكندرية في خوض ظلماء وخبيط عشواء ، لا يأمن على ماله وعلى نفسه ، ولا يؤمل راحة في غده ، اذا لم يرها في يومه وامسه » .

* تعرف الرحلة العبدرية باسم الرحلة المغربية ، ولكن هذا الاسم لا يطابق المسمى ، فليس فيها من اخبار المغرب ، وما كانت عليه حواضره وبواديته ، الا النزر اليسير ، نجده في صدرها عندما حدثنا في ذهابه عن بلاد سوس وماحل بها من خطوب مجتاحة .. وبلاد - القبلة - ويعني بها ما كان شرق سوس ، من الجنوب المغربي ، في درعة وتافيلالت .. فيقول عنها : « وهي بلاد مات فيها العلم » ، ويصف حصونها وانهارها وعوائد اهلهما في الحرب والسلام ، ويشي على اخلاقهم .. كما نجده في خاتمها وقد وصل السى تلمسان ، فاختر الرجوع الى حاحة عن طريق وجدة وتازة وفاس ومكناسة وازمور وواسفي .. وكان المنتظر ان يجرّد قلعه لوصف هذه الحواضر ولكنسه ءآثر السكوت ومر عليها مر الكرام كما يقولون .. ولم يفته ان يصف خراب وجدة واطلالها .. كما لم يفته ان ينشد هذه الابيات وقد ادركه عيد الفطر بمدينة فاس :

مانوا نعيد في فاس فطب فرحا
فقلت مالي بها دار ولا عطن

فاس ومكناسة ووطنجة وسلا
عندي كزديك (*) لا اهل ولا وطن

بغداد ففر اذا لم تحولي سكننا
والقفر بغداد ان اهلي بها قطن

- * راجع البحث الاول في العدد الثاني من دعوة الحق لهذه السنة
* هدمها يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 670 هـ
* من المغازات التي مر بها العبدري في طرابلس .
* كلاهما من رجال القبائل المتمردة ايام حروب المرينيين مع بني عبد الواد .

ولا يسعه الا ان يستنجد بملك البرين يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب اذ ذلك لينشر الامن ، ويرفع الظلم ، ويرفع اليه قصيدة ميمية طويلة يضمها شكواه مما شاهده من تعسف وانتهاك للحرمات وتطاول الاقوياء على الضعفاء .

في تلمسان : « ثم وصلنا مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت به زمانة الزمان ، واحلت به حوادث الحدثن فلم تبق به علالة ، ولا تبض في ارجائه للظمان بلالة »

ويستمر صاحبنا في هذه السجعات الخاقانية فيصف البلاد عمرانيا وعلميا وصفا لا يخلو من نقد جارج واسف شديد على انحطاط المستوى العلمي بين طبقة القضاة والمدرسين هناك ، ولا يرى من اهل العلم بها الا الشاعر ابن خميس فيركن اليه ويذكره في اللغة والادب والعروض ويسجل بعض شعره في الرحلة مع التعليق عليه .

ويقادر تلمسان بعد ان مكث بها طويلا الى مليانة ثم الجزائر ثم بجاية التي يقول عنها (بقية قواعد الاسلام ومحل جلة من العلماء الاعلام) ، والحقيقة ان بجاية كانت مدينة لامعة الشهرة في الشمال الافريقي وكانت ماوى كثير من عابرة العلم والادب وكتب المعاجم طافحة باعلامها .. وكتاب الفبريني - عنوان الدراية - شهير مطبوع .. وكانت تابعة لتونس ايام وحدة الدولة الحفصية ثم انفصلت عنها ايام انقسام الدولة ..

ويفتنم العبدري ايام مقامه القصير في بجاية فيأخذ عن شيخها محمد بن صالح الكتاني الشاطبي(*) .. ثم يتابع السير الى قسنطينة فيصف معالمها واثارها العمرانية ويذكر شيخها ابن باديس ويسأله عن قصيدة ابن الفكون البائية وصاحبها .. ثم يأخذ طريقه الى عنابة ثم باجة .. وهو لا يفتأ باحسا عن الشيوخ والزواة ليروي حديثا .. او يستفيد خيرا .. او يسمع اثرا .

في تونس : « ثم وصلنا الى مدينة تونس مطمع الامال ومصيب كل برق ومحط الرجال من الغرب والشرق ، وملتقى الركاب والفلك ، والعبدري معجب بتونس وبجمالها الطبيعي وازدهارها العمراني وتقدمها

العلمي .. وكثرة شيوخها واعلامها فشم عن ساعده لاقتناص الشوارد واغتنام الفوائد ، ولم يترك شيئا الا اخذ عنه واستجاره لنفسه ولابنه محمد ، ويطول بنا الحديث لو سطرنا قائمة هؤلاء الشيوخ الذين اخذ عنهم العبدري في ذهابه الى الديار المقدسة ثم في اوبته منها ، وكانه لم يرو ظماده في المرة الاولى ، فاردفها بثانية .. والحق ان تونس كانت اذ ذلك عاصمة الحفصيين وقد ورتوا مجد الموحدين ولجا اليهم كثير من اعلام الاندلس وازدهرت الحركة العلمية بسببهم ازدهارا تلمس اثره واضحا في مؤلفات ذلك العصر ، وكانت عناية العبدري متجهة الى مزيد من رواية الحديث والشعر واللفظة والفقه والنحو فوجد ضالته هناك .

ومن تونس توجه الى القيروان وهناك رأى مدينة ذهب الدهر بجمالها ، وخلف مزيدا من ذكرياتها واثارها فاتصل بالشيخ عبد الرحمن الدباغ صاحب معالم الايمان كما قدمنا في القسم الاول من هذا البحث ومن القيروان بعث بقصيدة الى ابنه محمد ينصحه فيها ويتشوق اليه ، وتظهر في القصيدة روح العبدري المتصوفة المتزهدة المتبرمة بالحياة والاحياء .

ويودع القيروان ويودع معها لهجته المعتدلة المتزنة ويصل قاس - ذات الخبر الخبيث والمحيا العابس - ومنها الى طرابلس ومسراته وبرقة وقد اطنب في وصف اعرابها وعواندهم ولغتهم وقاسى الامرين في اجتياز تلك الصحراء التاسعة الى مدينة الاسكندرية .

في الاسكندرية : « مدينة الحصانة والوثاقة ، وبلد الاشراق اللامع والطلاقة ، وطلاوة المنظر وحلاوة المذاقة كل عنها ظفر الزمان ونابه ، ومل منها جيش الحدثن واحزابه » .

وكان وصف العبدري للاسكندرية رائعا جامعا فلم يترك شاذة ولا فاذة الا سجلها وابدى رايه فيها بصراحته المعهودة التي تبلغ احيانا حد الانتقادات المرة والسب الصريح الذي تسمنر منه النفس . ولكن العبدري هكذا خلق .. ولا تبدل لخلق الله .

والشيء الذي اثار حفيظته في الاسكندرية هو نظام الجمارك في تفتيش الصادر والوارد واستخلاص

* انظر ترجمته في عنوان الدراية ص 48 .

ومن العقبة يتابع طريقه صحبة الراكب فيصف الطريق وصفا جامعا مفيدا يتعرض فيه لضبط الاعلام وتقدير المسافات ووصف البيئة وغيرها .. ويدخل مكة يوم التروية وهناك يطلق لعاطفته الدينية العنان فيسطر قلمه ما شاء من ابتهاج وسرور بالوصول الى هذا البلد الامين مهبط الوحي .. وكعبة الدين .. وقبلة المسلمين ويصف المعالم والمآثر والاضرحة والمناسك .. ولا يفوته انتقاد بعض اعمال الجاهلين باقامة المناسك .. ويتأسف لكثير من مظاهر الفوضى عند زمزم .. والمقام .. والحجر الاسود .. وكان عازما على « المجاورة » بمكة والاقامة بها فاكترى دارا للسكنى وصرف بعض ما كان معه من الاسباب ليتفرغ للعبادة .. ولكن حال دون ذلك نزاع شب بين الراكب وامير مكة ادى الى اصطدام وقتال وقوضى .. فخرج العبدري مع الراكب يذرف دموع الحسرة واملى علينا فصلا فقيها طويل الدليل في الحج والمناسك يدلنا على باعه الطويل في هذا الفن .

وبعرج على المدينة المنورة فيزور قبر المصطفى عليه السلام ولا يقيم الراكب فيها الا يوما وبعض يوم ولكن رغم ذلك فقد رأى العبدري كثيرا من المعالم والبقاع ، ووصف المسجد والروضة الشريقتين وتأسف على خلو مدينة الرسول من العلم والعلماء .. وانشد قصيدة دالية يمدح فيها سيد الكائنات .

وكان رجوعه الى مصر عن طريق فلسطين فزار حرم الخليل وبيت المقدس وشاهد مقابر الانبياء وسطر كل ما يعلمه من تاريخ هذه البلاد .. وما شاهد من آثار الحروب الصليبية هناك وقد كان وصفه لمشاهدته طريقا مفيدا مركزا حول اهم الاخبار والاثار .. وبالمقارنة التاريخية يظهر انه استفاد كثيرا من رحلات من قبله ولا سيما ابن جبير .. وبعد زيارة قصيرة لعسقلان وغزة وذكره للعلاج في بيت من بيوت المدرسة الظاهرية عند شيخه شرف الدين الدمياطي .

ومنها يقصد الاسكندرية فيمكث بها سبعة ايام عند شيخه ابن المنير ومنها يقطع تلك المغازة التي عرفها في صحراء بركة وطرابلس ولكنه هذه المرة لا يسخط ولا يفضب لان ثورته النفسية قد انطفأت جمرتها وسكنت حداثها ..

الواجبات الجمركية ، فقد انفجر هناك انفجار البركان ورفع عقيرته بالنهاي عن هذا المنكر .. كما انفجر سلفه الرحالة الاندلسي ابن جبير الذي رفع قصيده في الموضوع للسلطان صلاح الدين الايوبي ..

بعد هذا الانفجار اخذ في البحث عن الاشياخ والاخذ عنهم فاتصل بالشيخ ابي الحسن بن المنير وغيره من اشياخ الاسكندرية وملأوا صابه عن الروايات والاسانيد والاخبار والشعار وسطر جميع ذلك بقلمه في الرحلة ..

في القاهرة : للقاهرة وسكانها صورة قائمة في ذهن العبدري وقلمه لا نناقشها لانها اقرب من المسائل الشعورية التي لا تخضع للمنطق .. ولانها ثانيا سجلت باسلوب صياني سخيف ..

ورغم ذلك فقد اقبل العبدري على اشياخها ليستفيد منهم ولكنه نعى عليهم اشتغالهم بعلم المنطق فقال اولاً : « ومن الامر المنكر عليهم ، والتكر المألوف لديهم تدارسهم لعلم الفضول وتشاغلهم بالمعقول عن المنقول » .

ومكث العبدري في القاهرة في بيت من بيوت مدارس الطلبة كانه طالب من الطلاب .. لا عالم من العلماء يستحق الاكرام وحسن الضيافة .. ومزيد الاهتمام .. ولعل في ذلك ما يفسر لنا بعض اسباب ثورته النفسية بالقاهرة ..

واخذ عن ابن دقيق العيد المحدث الشهيد صاحب المدرسة الكاملية .. كما اخذ عن الدمياطي ولقي منها برا وعطفا واهتماما .. كما اخذ عن غيرهما من اعلام ذلك العصر وحشر مروياته في الحديث والفقه والشعر واللغة كلها في الرحلة ..

ثم وصف مصر وصفا جغرافيا وعمرانيا وتاريخيا يدل على اطلاع واسع ودقة في الملاحظة .. واثني مرارا على السلاطين الايوبيين الذين يسميهم ، الاتراك .

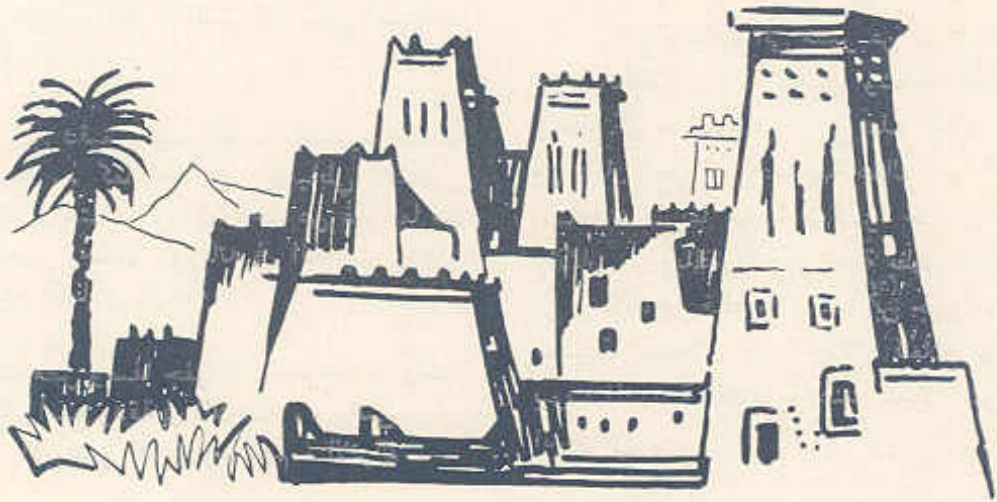
ويخرج في شوال من سنة 689 من القاهرة صحبة الراكب المصري ويقطع صحراء سيناء التي العقبة وهناك يسطر معلوماته الجغرافية فينقل عن الجغرافي الاندلسي ابي عبيد البكري بعض المعلومات وينتقدها ، وقد قدمنا نموذجا لذلك في القسم الاول.

القرطاجتي وغيرهما واثنى على ادبه وعلمه واطلاعه ..
كما استفاد من آخرين ..

وعلى طريق بجاية وتلمسان ووجدة يرجع الى
وطنه بعد ما فارقه نحو السنتين ..
ورغم ان اسلوب العبدري يبدو فيه كثير من
التكلف والاهتمام بالمحسنات .. فقد استطاع ان يكتب
رحلة تقيية خلدت صاحبها وشرفت عصره ..
واحتلت مكانتها كترات مفربي جدير بالدراسة والبحث
والنشر .

وفي تونس تشرّح نفسه من جديد للمدينة التي
احبها واحبته فجلس الى شيوخها من جديد ، وجدد
العهد باسائدهم ومروياتهم .. كما اتصل بشيوخ
آخرين عرفهم في اوبته كابي العباس الفماز الخزرجي
البلنسي (*) ، وابي الحسن بن ابراهيم التجاني (*)
وهو ابن عم التجاني صاحب الرحلة التونسية الشهيرة
.. وقد استفاد العبدري من ابي الحسن التجاني
كثيرا وروى عنه بعض قصائد ابن الابار وحازم

* انظر ترجمته في عنوان الدراية ص 70
* انظر ترجمته في الرحلة التجانية ط تونس ص 11



للاستاذ
عباس الجري

للموسمحات

- 3 -

تطور الموسمحات ونشأة الزجل :

يظن باستيقية الزجل حين قال (فالمعقول ان يكون الزجل قد نشأ معه (أي مع الموشح) مباشرة ، وربما سبقه ويمكن ان نقول انهما جميعا فن واحد ذو شعبتين شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة) (*) .

ولكننا اذا عرفنا ان نصوص الازجال الاولى لم تصل اليها كما لم تصل اليها توشيحيات الفترة الاولى من نشأة هذا الفن ، واذا عرفنا ان اول زجال وصلتنا نماذج صحيحة النسبة اليه هو ابن قزمان المتوفى سنة 554 هـ وان اول وشاح هو عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة 419 هـ انتهينا الى ان الموسمحات سبقت الازجال وبالتالي الى ان الازجال تفرعت عن الموسمحات ، وان ذلك كان في القرن السادس اسام حكم المرابطين الذين كانوا قليلي المحافظة على التقاليد العربية ، اذ كان مستعبدا جدا ان ينشأ هذا الفن في ظل ملوك الطوائف الذين كانوا يقصدون كل ما هو شرقي ، ويحاولون تقليد الخلفاء العباسيين في ممارسة كثير من الوان الحياة وفي تهيم بلاط ادبي يجتمع فيه الشعراء لمدهم ، ولو لم يلتزم الوشاحون في نظمهم لغة عربية فصيحة لا يتجاوزونها الى العامية الا في الخرجات لما تسنى لفن التوشيح ان يسير في طريقه منذ هذا العصر قبل ان يصل الى عهد المرابطين حيث اكتمل وازدهر في ظله وربما كان هذا الالتزام الذي عمل في نفاقه الوشاحون سببا في استقلال فنهم عن اصله الغنائي الشعبي .

راينا في تطور الموسمحات في القرن الخامس على يد ابن ماء السماء وابن بقي والطيطلي الذين عملوا على اكتمالها ورفع مستواها الى مكان القصيدة العربية التقليدية ، ويذهب كثير من الباحثين الى ان تطورا آخر حدث لهذا الفن بظهور الزجل الذي اعتبروه فرعا منه . يقول ابن خلدون : (ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على متواله ، ونظموا طريقه بلفتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيها اعرابا ، واستحدثوا قسا سموه بالزجل) (*) ، في حين يرى غير هؤلاء ان الاصل واحد في نشأة الموسمحات والازجال ، فقد ذهب الدكتور الاهواني الى اوجود اصل مشترك ظهر في البيئة الاندلسية منذ عهدها القديمة كان له الفضل في ظهور التوشيح وكان له اثر في استقلال الزجل وتطوره ، ذلك الاصل هو الاغنية الشعبية (*) وقد سبق الى هذا الرأي المستشرق الاسباني بالنشيا الذي يرى ان الزجل والموشحة في واقع الامر فن شعري واحد ولكن الزجل يطلق على السوق الدارج منهما اذ لا بد ان يكون في اللغة الدارجة فقد كان يتفنن بها في الطرقات ، اما الموشحة فلا تكون الا في العربي الفصح واسمها كذلك عربي كما هو واضح (*) وعلى هذا القول يوافق الدكتور شوقي ضيف الذي كاد ان

* المقدمة ص 548

* الزجل في الاندلس ص 2

* تاريخ الفكر الاندلسي ص 143

* الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 356

واذن فاننا نذهب الى ان الرجل تفرع من
الموشحات وان ظهورهم كان نتيجة لاستقلالها عن
الاصل العامي بل هو رجوع اليه .

اما بعد هذا فالزجل كبير الشبه بالموشح في
تنوع الوزن والقافية وفي اعتنائه بالخرجة التي هي
في الزجل ابط واقل اجزاء ، وربما اتخذت مطلقا له
او لزجل اخر غير .

مثال هذا زجل ابن قزمان الذي يبدها بقوله :

ماع معشوقا مليح ووفى

جيد يكون ان لم تجبه طزع

حتى قال اذا بلغ الفصن الاخير قال :

معني زجيل معلم الطرفين

كالدنار الثقر من جهتين

والخرج دو مشن عطلين

ماع معشوقا

وواضح بعد هذا ان الفارق الاكبر بين الفنين
هو اللغة التي تستعمل في كل منهما فالموشح يلتزم
اللغة العربية الفصيحة ، في حين ان الزجال ينظم
باللغة العامية التي يتحدث الناس بها في الشوارع
والاسواق .

ولا ينبغي ان يبالغ في الظن بان جمهور هذا
الفن كان محصورا في طبقات العامة من الناس ، فقد
كان الى جانب حياته في بيئة يعيش في بيئات خاصة
وعند طبقات بعيدة عن السوقية والعوام كطبقة
الصوفية الذين كانوا ينشدون الازجال في حلقاتهم
يرقصون على الحانها، وطبقة شباب المدن الارستقراطية
العاطل الذي لم يكن يشغل باله بغير ما يمس لهوه
ولذته وما يكون في مجالسها من شراب ورقص وغناء
وقد وجد الزجل في كل هذا بيئة صالحة اكتسب منها
كثيرا من خصائصه ومميزاته لا بالنسبة لروحه
الخفيف فحسب ، وانما كذلك بالنسبة لموضوعاته
وخاصة المدح حيث تراه يمتزج بغزل مكشوف لا
يتخرج فيه المادح من رسم كثير من الصور المادية
للممدوح .

ويعتبر ابو بكر بن قزمان القرطبي اول زجال
يتقن فنه وينظم فيه ديوانا كاملا ، يقول في زجل له
معبرا عن فلسفته في الحياة :

دنيا هي كما تراها فاجتهد واربح زمانك

كل يوم وكل ليلة لا تخلى مهرجارك

واشتفى عليه من قبل ان يجرى الموت في شانك

لس ذي عندك مصيبة ان تموت والدنيا حي

ساع دون شريب عندي لا شكل ولا ملامة

لس نعد اللذ لذة ولا يد الراح راحة

حتى تدخل شفة الكاس بالشراب بين شفتينا

ولعل اهم زجال بعد ابن قزمان هو ابو عبد الله
احمد بن الحاج المعروف بمدغليس فقد كانت له عناية
خاصة بتنقيح اسلوب ازجاله التي حاول ان يصلها
بالقصيدة العربية رغبة في الوصول الى بلاط الخليفة ،
اذ ان الموحدين على عكس المرابطين الذين عاصروهم ابن
قزمان كانوا متشبهين بتقاليد الشرق العربي
يحاولون التشبه بالخلفاء العباسيين ، فلا غرابة ان نرى
الزجال في هذا العصر يقتني الاساليب البلاغية ومعاني
القصيدة العربية يدخلها في ازجاله
متعدا عن البيئة الشعبية والبيئات الخاصة التي
ازدهر فيها الزجل على عهد المرابطين الذي يعد بحق
ازهى عصور الزجل .

وهذه مقدمة غزلية لزجل مدح به احد الوزراء
جعلها حوارا بينه وبين النسيم يقول فيها :

لقد اقبلت يا نسيم السحر

بروائح قد بورت للمسوك

توقد انفاسك الذكية شمع

في قلوبنا متى ما نستنشقوك

انما حقا لش وصلت ضعيف ؟

قال لي دراما دار لك اذ ودعوك

لما جالى الفراق وودعتهم

لبسوني النحول كالبسوك

ذكر الله من قد ذكرت بخير

كذا يصنا سمعتهم يذكروك

قلت من حق يذكروني الملاح

قل لي كيف لا نعم وينتظروك

قلت ان كان ترجع لهم عن قريب

قل لهم عني يصنا ان يسالكوك

* الزجل في الاندلس ص 40

غزر شوقي لهم ووفى وزيد

في ضماني اش ما تقول صدوق

انا لس يتهموني في جهنم

ولات في الرسالة يتهموك

ولا يرموني في الهوى بالملل

ولات يصنا بالكذب يرموك

اي زمان بعد قل هو قد كان يجي

انما هو في قرطبة مملوك

لابو يحيى سيد الامرا

وفريد الزمان وزير الملوك (*)

في اقبال الملوك والامراء عليها ، وقد سبق ان قلنا انه لولا هذا الاقبال لما تسنى لهذا الفن الجديد ان يقف على قدميه . وكان اصحابه كانوا يهدفون من وراء طرق الموضوعات التقليدية الى اظهار قدرته ومرونته ، ولعلهم حاولوا تجاوزها الى موضوعات اساسها الحوار كان يمكن ان تكون بداية للشعر التمثيلي والقصصي في الادب العربي ولكنه ليس لدينا نصوص عن ذلك ، وقد يكون قرن من الزمن وهو مدة الحكم المرابطي الذي ازدهر في ظله فن الموشحات غير كاف بان يطورها ولم تكن قد استقرت بعد .

وربما كان في امكان المشاركة ان يضيفوا شيئا الى هذا الفن الجديد ولكنهم جمدوا عند ما قننه ابن سناء الملك لم يحاولوا غير اظهار قدرتهم على النظم بتميق وتحسين الاسلوب منصرفين عن اي ابتكار وتحديد فجاءت موشحاتهم متكلفة خالية من اي روح ابداعي ، وربما كذلك كان كتاب ابن سناء الملك سببا في هذا الجمود الذي وقف عنده المشاركة ، فهو ان عرفهم بموشحات الاندلسيين وبطريقة نظمها محمدا لذلك تحديدات دقيقة ، فقد حصر افقهم ومنعه عن اي انطلاق .

ومهما يكن فقد استطاع الاندلسيون ان يحدثوا فنا جديدا يضاف الى فنون الشعر العربي وان يظهروا فيه شخصيتهم متميزة عن غيرها ، وقد غالى بعض الباحثين فانكروا ما في التوشيح من جديد وبالغوا في القول بضعف الشخصية الاندلسية فيه ، والدكتور شوقي خفيف ، وقد سبق ان اوردنا قوله في نشأة الموشحات ، من الذين يمثلون هذا الراي ، فهو يقول (والحق ان الموشحات وما تفرع عنها من ارجال لم تحدث ثورة واسعة على الاوضاع القديمة في الصياغة الفنية للشعر القصيح وخاصة في صياغة التفكير (**))

اما عن صياغة الشكل ففي فصول هذا البحث ما يدل في وضوح وكفاء ، على ان التوشيح ليس فنا مشرقيا طوره الاندلسيون ، وان ظهوره كان ثورة على قيود الشعر العربي لا بصورها غير قول المرحوم كامل كيلاني بانها حطمت (الكر قيد رزيء به الشعر العربي وهو التقييد باوزان وقواف خاصة لا يتخطاها احد ولا يجسر انسان على الانتقاص عليها بل ولا يؤذن

وواضح في هذه القطعة ان صاحبها نسج على منوال القصيدة العربية في التزامه الوزن والقافية لا لا يميزها غير الفاظها العامة الملحونة .

واذا تركنا ابن قرمان ومدغليس وجدنا اسماء عدد كبير من الرجال والرجال نذكر من بينهم ابن الزاهد الاشبيلي ، وام الكرام بنت المعتصم بن صمادح ، ونزهون بنت القلاعي الغرناطية ، وعلي بن جحدر ، وابن حبيب الجزري ، لم يحفظ لنا من انتاجهم غير نصوص قليلة متفرقة في بطون الكتب تحتاج قراءتها وفهمها الى معرفة اللهجة التي نظمت بها وما كانت تمتاز به من صفات صوتية وخصائص في النطق .

وانتشر الزجل في مختلف البلاد العربية التي اخذت تنظم بلهجاتها الى ان اصبح اليوم يطلق على الوان من النظم العامي لا حصر لها ، لا تحدها موضوعات الفناء والمدح التي ازدهرت في الاندلس وانما تنوع لكل فنون القول من سياسة واجتماع وقصة وتمثيلية .

قيمة الموشحات واثرها في الادب العربي :

يبدو واضحا مما سبق ان الموشحات بتغييرها في الوزن وتنوعها في القافية تحررت من المنهج التقليدي الذي سارت عليه القصيدة العربية في شكلها ، دون ان تحاول التحرر من الموضوع الذي لم تكن ظروف نشأتها ولا ظروف ازدهارها تسمح بالخروج عليه ، وربما كان التزام الموشحين للموضوعات السائدة في الشعر العربي وخاصة الفناء والمدح سببا

* الزجل في الاندلس ص 109

* الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 357

بموسيقى عذبة خفيفة تجعلنا نحس في شعره رشاقة تكاد تسيطر عليه في الفاظه ومعانيه وذوقه وغير هذا مما يميز اغلب الشعر الاندلسي ولم يكن يعرفه المشارقة .

وربما كان هذا الجمال المبسوط في كل مكان وما يزدحم في ذهن الشاعر من رسومه وصوره سببا في صرف الشاعر عن اطالة النظر واعمال التفكير اذ لم تترك له وقتا للتركيز والتعميق .

واذن فللموشحات قيمتها واثرها في الادب العربي مهما انكر ذلك المنكرون ، ولولا عوادي الزمن التي جارت على فنها وعلى موطنه ، ولولا التقليد الجامد الذي وقف عنده المشارقة لكان لهذا الفن مكانته في الادب العربي غير ما هي عليه ، وربما صادفت فترة انحدار فن التوشيح ان الادب العربي عامة كان قد بدأ يتخذ طريق الاحتفاظ .

ولعل مما يزيد في الدلالة على قيمة هذا الفن اثره في ادبنا العربي تلك المحاولات التي قام بها لاجيائه بعض الشعراء المعاصرين في البلاد العربية والمهاجر الامريكية الذين يسعون الى التجديد والتحرر من قيود القصيدة التقليدية فقد وجدوا انه يساير اذواقهم العربية وميولهم في التطوير والتجديد .

الموشحات واثرها في الادب الاوروبي :

ولا نريد ان نختم هذا البحث دون ان نشير الى تأثير فن الموشحات في الادب الاسباني وغيره من الاداب الاوروبية التي اتصلت به منذ اواخر العصر الوسيط .

ففي فرنسا كان التروبادور les troubadours

وهم شعراء بروفانس (Provence المتجولون) يرحلون من منطقة الى اخرى في فرنسا واروبا عامة ينتقلون من قصر الى اخر ويمدحون الملوك والامراء في اشعار خالية من الوزن والقافية ليس فيها ما يبعث الموسيقى غير اتخاذ الحروف الصوتية Assouance ولكنهم لم يلبثوا بعد انتشار الموشحات ان اسرعوا الى تقليدها فاصبحت اشعارهم اكثر ايقاعا واعذب لحنًا

له ان يفكر في ذلك . . . وليس يستطيع ان يقدر اهمية هذا التطور الذي نشأ عن اختراع الموشحات او يتبين خطورته الا من تتبع الحركة النقدية عند العرب وعرف ان التقليد الاعمى كان رائدها في اغلب الاحايين وان شدة تفانيهم في المحافظة على محاكاة من تقدمهم من العرب وتبع اساليبهم في التفكير قد وصلت الى حد يدعو الى الحيرة (**) .

واما عن صياغة التفكير ففي كلام الدكتور غير قليل من المبالغة والاسراف ، واول ما نقول ان الشعر حين وفد الى بلاد الاندلس كانت لا تزال صفتيه بدوية جافة فيها كثير من سمات الابل والصحراء ، ولكنه لم يلبث ان تحرر منها ليستبدلها صبغة متأثرة بالبيئة الاوروبية الجديدة ، حقا ان الشعراء كانت تأخذهم شدة الحنين الى موطن اجدادهم في الشرق فيلجأون الى ادب يستقون منه بعض اساليبهم وافكارهم ويتخذونه نموذجا لهم ينسجون على منواله، ولكن هذا لم يكن ليعدهم عن الوطن الجديد الجميل الذي يعيشون فيه فيفلقوا عن طبيعته الخضراء بازهارها المزرقة المتمايلة واشجارها الباسمة المثمرة وجداولها المترققة ونوافيرها السالية وحدائقها الغناء ومنتزهاتها الليلية وقد انعكست على شلالاتها اشعة القمر ، او يغفلوا عن سمائه الصافية حينما والممطرة احيانا وما يلجأ الناس اليه من مجالس سودها الانس والغناء والشراب ، او يغفلوا عن آثار الفن النصراني المنتشرة في كل مكان من كنائس وتمائيل وغيرها مما يسترعي النظر في البلاد الاوروبية.

جال الشاعر الاندلسي في كل هذا او كثير سواه فتأثرت به نفسه وانفعلت قريحته فوصف كل ما وقعت عينه عليه ، لم يترك شيئا في بيئته الا اتخذه موضوعا لفنه واصبح يتحدث عن الطبيعة وجمالها عنده مدخلا لكل فنون القول في الشعر .

وهو اذا وصف لا يحاول انتقاء صورته وانما هو يريد ان يصف كل مشاهداته يحشد لها الصور المتراحة والتشبيهات المتنوعة لا يتردد ان يشبه اي شيء باي شيء اخر مهما كانت الرابطة قوية او ضعيفة وهو في اغلب ذلك يعتمد الى الخلق والابتكار وابداع المعاني الرقيقة والصور الجميلة يمزج ذلك كله

* نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص 246
* في جنوب فرنسا

وربما طوروها عن قصد الى ما نجد في قصائدهم اليوم من تشابك في القوافي لم يكن يعرفه الشعراء في الاندلس. وفي شعر لوكت دي بواتي *le Comte de Poitiers* وراهب *Le moine de Montandon* ومجريت *Magret* منظومات الحان التروبادي *Rondet* التي كانت شائعة في القرن السابع عشر دليل على هذا التأثير الذي كاد ان يختفي بعد عصر النهضة حيث كانت الغلبة للغة الشمال التي كان شعراؤها يعرفون بالتروفير .

وفي ايطاليا كان التأثير ظاهرا الى ابعد الحدود بسبب اتصالها عن قرب بالمسلمين في صقلية وقد اهدى المستشرق الاسباني ميلاس فيكروزا (ب) *Millas Villiorosa* الى الشبه الكبير بين موضوعات التوشيح وموضوعات شعر العجريات ، ويمن قالب الكنتراستو *Contrasto* والبالاتا *M. Ballata* وقالب الموشحات .

ولعل التروبادور البروفانسيين هم الذين نقلوا هذا الفن الاندلسي الى ايطالية ، ففي كتب التاريخ ان الامير برنجر حين ذهب الى مدينة ميلان الايطالية ليقابل الامبراطور فريدريك الاول ليتسلم منه ظهير توليته رئاسة عمالة بروفنس ، صحب معه عددا من هؤلاء التروبادور ففتن بهم الامبراطور لما كانوا ينشدون من اشعار يغلب عليها الطابع الاندلسي، وعن هؤلاء مباشرة اخذ الشاعر الايطالي الكبير بطرارك قوالب فن الموشحات .

اما عن اسبانيا فقد بحث الكاتب الاشبيلي *Argote de Molina Gensalo* ارجوتي دي مولينا (ب) مدى تأثير التوشيح والزجل في الشعر الاسباني و اشار الى ان الايام التي سبقت سقوط غرناطة وتلتها كانت بعيدة الاثر في خيال الادباء الاسبانيين ، وربما كانت القصائد الموريسكية التي تحكي قصص المسلمين، ترجمت لبعض الاغاني العربية التي كان ينشدها الاندلسيون والتي كانت من نظم التوشيح والزجل كما ذهب الباحث الاسباني بيدال *Menendez Pidal* الى ان منظومات الشاعر الاسباني فيسيس هيتا *Hita* التي كانت تتغنى بها الجماعات الاسلامية التي ظلت تعيش بعد الحكم العربي في الاندلس كانت على نمط الاغاني العربية .

* انظر تاريخ الفكر الاندلسي ص 619

* انظر تاريخ الفكر الاندلسي 228 .

ولا شك ان المغنين والمشددين المسلمين الذين اضطرتهم ظروف الحياة الى البقاء تحت الحكم المسيحي ساعدوا الى حد بعيد على بقاء فن العرب ، فقد حكى المؤرخ رامول بيدال انه في بلاط سانشوا الرابع ملك فشتالة كان عدد المشددين الذين يتقاضون مرتبا من القصر سبعة وعشرين من بينهم ثلاثة عشر مسلما منهم امراتان .

وربما كان ينظم هؤلاء اغانيهم بلغة عربية قد تكون فصيحة وقد تكون عامية ثم ينقلونها الى اللغة الاسبانية قبل انشادها في مواسم الاسبان وحفلاتهم ، وقد كانوا فيما بينهم يتناشدون موشحات وازجالا يحنون فيها الى مجد الاندلس العربية يضمنونها ابتهالات الى الله وتوسلات برسوله كقول احدهم :

كن في عون المسلمين يا اله العالمين
انت هو فرد صمد لم يكن قبلك احد
لا رتضا خير العباد

وكقول اخر :

نزور قبر النبي صلى الله عليه
الجبال افتتن من جمال ان اعطاه
رب انعم عليه وتزلزله طيبوا
يا عارفين به وصلوا عليه

وقد ضاعت كل هذه المنظومات كما ضاعت نقائس التراث العربي في الاندلس ولعل اصحابها هم الذين دمروها حتى لا يقعوا في قبضة محاكم التفتيش التي انتشرت في مختلف انحاء البلاد تبحث عن مبطني الاسلام لتتكلم بهم وتعذبهم .

وسرعان ما ضعفت عربية هذه الجالية الاسلامية فلجا شعراؤها الى الاسبانية ينظمون بها في نفس الموضوعات التي كانوا يعالجون من قبل من مدح للنبي وتوسل اليه .

اما بعد هذا فمن شعراء الاسبان الذين ساروا في نظمهم على طريقة الزجل والتوشيح الفريز جاتو وجمزدي اوريا *Jimmez Diunea* وهرنسدو دي كاستيو ودييجو دي فلنسيا *Diego di Valencia* وجارسيا فرنلنز وغيرهم (ب) من الشعراء الذين ظلوا حتى القرن السابع عشر يقلدون في نظمهم شعر الموشحات والازجال .

للأستاذ
جمال بغدادري القادري

فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي

سبيل له الى الابداع الفني او الاختراع العلمي الاصيل مع ان التاريخ الحضاري يثبت ان الشرق لم يكن جامدا مقلدا في كل حين وان الغرب لم يجد الجهالة سبيلا اليه .

ومن الخطا ايضا الظن بان المخطط البياني لتطور الحضارات يسلك الخط المستقيم بدون انحراف او اعوجاج ، فالواقع ان التطور سلك دواما مسلكا « لولبيا » ، فتارة يرتفع وتارة اخرى ينحدر وينخفض المستوى - وليس صحيحا ايضا ان مصر ، هي ام الحضارات كما نجد هذا الزعم عند اغلب من اهتموا بدراسة الحضارات لان الحفريات تكشف لنا كل حين عما وصلت اليه شعوب ما قبل العهد الفرعوني من تقدم مادي وفكري .

ومفهوم التصنيف الحضاري عند توينبي يقوم على اساس ما لهذه الحضارات من قوة حية ديناميكية او مالها من صحة الجمود والانقطاع ، ولهذا نراه يقسم الحضارات البشرية حسب هذا الرأي الى احدى وعشرين حضارة منها خمس عشرة حضارة استطاعت ان تنقل من حالة الجمود الى طور ديناميكي خلاق ، وست حضارات بقيت على حالتها البدائية الجامدة .

وبعد هذا التقسيم ندخل مباشرة في صميم المذهب التوينبي حينما نتساءل عن الاسباب التي جعلت هذه الشعوب البدائية تنسلخ من حالتها الجامدة الى طور حي فعال هو الطور الحضاري الحقيقي وما هي الدوافع الفعالة التي كانت العامل الاساسي في هذا العبور .

مفكر انجليزي معاصر اتي بنظريات جريئة في مجال الدراسات الحضارية واستطاع بذلك رفع الستار عن بعض الحوافر الخفية التي دفعت شعوبا ابتدائية الى ازدهار الحضاري واخرى انحدرت الى التقيفر والعقم - انه لسؤال حير كسل من اشتغل في حقل الحضاريات وهذا السؤال الكبير يدور حول العوامل الاساسية التي خلقت هذه الحضارات الشهيرة ، وهل حدث ذلك عفويا ام بفضل العناية الالهية ام لامتياز عنصر عرقي وهل للظروف الطبيعية الجغرافية دخل في هذا الاعتبار ام ان الثورة الاقتصادية هي الشرارة الاولى التي حفزت الهمم .

ان تاريخ الفكر الفلسفي اعنى - في جملة ما اعنى - بهذا اللغز وتصدى له بعزم مفرط في التحيز متواضعا حينئذ اخر ، وعاخر هذه المحاولات ما كتبه الفيلسوف الانجليزي « ارنولد توينبي » في كتابه « دراسة في التاريخ » حيث عرض باسهاب نظريته الشهيرة حول العوامل التي جعلت الشعوب البدائية تنشئ الحضارات الخالدة وكيف تنحدر بعضها الى الجمود والموت .

وقد بدا كتابه بانتقاد المفاهيم الشائعة في هذا الموضوع فهو لا يقبل ربط الحضارة بالامة لان مدلول الحضارة اوسع مجالا واشمل رقعة فانتجرتا تدخل في حقل الحضارة الغربية او الحضارة المسيحية ولم تكن هي بنفسها حضارة خاصة بها - ولهذا امكن تقسيم الحضارات المحلية - ان صح هذا التعبير - الى وحدات اجتماعية ذات سمات حضارية مشتركة مع الحضارة الام - وهو ينتقد بشدة تلك الاسطورة التي تزعم ان الغرب شعب الله المختار ، وان الشرق لا

هل كان ذلك بسبب امتياز العرق كما يزعم جل علماء الاجناس الذين يعتبرون المميزات الفيزيولوجية النفسية هي المحرك الاول ، فكان هنالك امتيازاً لجنس خاص (هو الابيض) على الاجناس الاخرى ، وجواب تويني ان استقراء بسيطاً لتاريخ الحضارات يثبت انها لم تكن منحصرة في عرق واحد بل نرى كل الاجناس لها نصيب واسهام . اذن هل للبيئة الطبيعية والظروف المناخية شان في نشوء الحضارات على اساس ان الاقليم المعتدل والموقع الجغرافي المواتي هما من جملة الحوافز البيئية على الازدهار الحضاري ؟ ان تويني يرفض مرة اخرى هذا الرأي لان البيئة وحدها عاجزة عن تفسير هذا الانتقال من طور جامد الى طور حي ، لان وحدات اجتماعية كانت عديدة موجودة في ظروف جغرافية متشابهة ولكنها مختلفة كل الاختلاف من حيث السمة الحضارية المميزة .

ان التفسير الوحيد الذي يشرح لنا تماماً فكرة النشوء الحضاري تفسير نفسي النزعة قائم على مفهوم التحدي والاستجابة : تحدي من الطبيعة والظروف البيئية والاجتماعية الصعبة واستجابة ناجحة من طرف الانسان اي رد التحدي الخارجي بالتحدي البشري النفسي على هذه الصوارض في طريق الانطلاق الحضاري .

وهناك ادلة « تاريخية » تؤكد رأي تويني في مفهوم التحدي : قبل فجر المدينة كانت البوادي الافريقية الاسيوية - الصحراء الكبرى وبلاد العرب - ملاءى بالاعشاب والمياه ثم ان جفاف هذه السهول الخصبة كان عبارة عن تحدي للسكان ، فقابلوه بطرق مختلفة فالبعض ظلوا مقيمين فيها انما بدلوا عاداتهم واصبحوا بدوا رحلاً ، والآخرين انتقلوا الى المناطق المدارية في الجنوب حيث القابات وحافظوا على حياتهم الابتدائية ، واما الآخرون فقد دخلوا مستنقعات وغابات وادي النيل والدلتا وقبلوا التحدي وعملوا على تجفيفها واعدادها للزراعة واتوا بالحضارة المصرية . وكذلك الحضارة السومرية فقد ظهرت بنفس الاسلوب في دلتا الدجلة والفرات ، وكذلك حضارة الصين في وادي النهر الاصفر ، لا ندري من اي نوع كان التحدي ولكن الاحوال كانت صعبة ، والحضارة الايجية المينوسة كان اصلها تحدي البحر للسكان وردهم على تحدي البحر بالتغلب باقامة السدود والحواجر وغير ذلك .

ويمكن حصر هذه التحديات الخارجية والدوافع البيئية في خمسة انواع :

1 - دافع الاراضي الصعبة : كما في المانيا ووادي الرين حيث نجد فيها الظروف الطبيعية صعبة ولكن الانسان قهرها وتغلب عليها حينما عبد الجبال واقام السدود وازال الاحراش وجفف المستنقعات .

2 - دافع الارض البكر : اي ان الارض الجديدة تثير الهنم والارض البكر تولد رد فعل اقوى من ذلك الذي تولده ارض ذات حضارة سابقة ، وهكذا ازدهرت الحضارة المسيحية والاسلامية خارج مهود نشأتها الاولى .

3 - دافع النكبات : ان الهزائم العسكرية والاحتلال الفاشم كثيراً ما يكون حافزاً على التغلب على هذه النكبات مثال ذلك هزيمة العثمانيين على يد تيمورلنك استشارت نخوة محمد الفاتح فاستولى على القسطنطينية - وكذلك المانيا بعد الحرب الاولى .

4 - دافع الضغط : هذه الحالة كثيراً ما نلاحظها عند الشعوب المتاخمة على حدود دولة دائمة التحفز العدواني فهذا الخطر الداهم على الحدود من شأنه ان يخلق عندهم تحدياً له واستعداداً متواصلًا كما حدث في تاريخ الحضارة المصرية مع هجومات وغارات البدو المتواصلة .

5 - دافع العقوبات : ان ما لاقته بعض الاجناس البشرية والطبقات الاجتماعية من الوان الاضطهاد على ايدي الفئات الطاغية المستبدة كان باعثاً لطوائف تلك الاجناس على خلق ارقى وازهى الحضارات فالحرمان من المفقود يحفز المحرومين على التعويض عما فقدوه من حق المشاركة في بعض الميادين بالتبرير المبدع في ميادين اخرى .

واذا كانت هذه العوامل من شأنها ان تشرح لنا اسلوب الحضارات فهي غير كافية لتوضيح نمو الحضارات اي ان الحضارة قد تنشأ ولكن قد لا تنمو ، فاذا كان التحدي يشرح لنا سر النشأة الاولى فلا بد من شيء آخر لاستمرار التقدم الحضاري قال التحدي يجب ان يستدعي رد فعل ولكن لابد من تحد ثان وثالث ورابع ، ورد فعل ثان وثالث ورابع وهكذا ، اي هناك مرحلة تخلخل فتوازن فتخلخل فتوازن ، وكلما استمرت هذه الدورة نمت الحضارات ، واذا ما توقفت حركات التحديات وردود الفعل توقف النمو ، فهناك اذن تحقيق غاية وصراع جديد او حل مشكلة ومجابهة اخرى .

أما ان تقوم حرب عالمية ذرية ماحقة لان الفئة الحاكمة فشلت في ايجاد الانسجام بين حاجيات الناس وبين واقع البيئة .

وأما ان تقوم حضارة عالمية واحدة تنهض بها الديانة الرباعية المنشودة وهي المسيحية والاسلام والبوذية والهندوكية ، ولا بد من هذا التعاون لان كل دين من هذه الاديان الاربعة يكمل نقص الآخر : فالمسيحية غنية بالمفاهيم الانسانية ولكنها في حاجة الى واقعية الاسلام - والهندوكية والبوذية لا بد من ان تطعمها بالفلسفة الاسلامية والمسيحية - والاسلام كما يدعي تويني في حاجة الى القيم الانسانية الرفيعة للاديان الثلاث الاخرى ، فخلاص العالم وانتقاذ الحضارة المعاصرة سيكون على يد هذه الديانة الرباعية لان تويني يستبعد النظرة المتشائمة الاولى في قيام حرب طاحنة عالمية ، ولكن الحل الثاني صعب التحقيق ولا بد من افراد يتحدون التناقض الحضاري المعاصر باقامة فلسفة دينية جامعة وبها فقط يكون خلاص العالم .

ان اهمية فلسفة « تويني » التاريخية راجعة الى تحويل المفاهيم الحضارية من الحقل المادي الاقتصادي البحث الى الاعتبارات النفسية الباطنية التي لم تكن في حسابان فلسفة القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكذلك تأتي جدة هذه النظرية في اعادة ارجاع الحق المهضوم للدين كانتقاد البشرية وكطريق للخلاص ، فكان تويني يعكس ميل العصر ويلخص الطابع الذي اصبح هو السائد في كتابة الكتاب ودراسة الدارسين ، وهو بذلك اعاد للنفس البشرية وللروح الدينية مكانتهما في حل الغاز الماضي السحيق ، وفي قيادة الحضارة الانسانية الى هدفها الحقيقي هذا الهدف النبيل الذي لا ينكره الا جاحد متعصب كافر بالقيم الخالدة .

والتقدم الحضاري هو تقدم بشري لا مادي او تقني ، لان الاعتبار في الحضارة اعتبار كفي لا كمي ، والحضارة لا تقوم على مجهود افراد منفردين او على جماعات مستقلة عن الافراد ، وانما على التفاعل الجيد بين الفرد والمجتمع ، او بعبارة اوضح الى وجود القوة الخلاقة المنحصرة في الاقلية الموجهة التي تدفع بالمجتمع الى الامام .

والحضارة تسقط وترجع القهقري اذا ما توقفت الردود الفعلية على التحديات الخارجية او حينما تضعف هذه الفئة الموجهة في القيادة وتمجز عن ايجاد الحلول الناجحة للضغوطات الخارجية ، او تراها تصبح فئة مهيمنة لا خلاقية .

ويعلق تويني على فكرة التحدي فيقول بان التحدي يجب ان نفهمه ضمن الاستطاعة البشرية اي ان تحدي الطبيعة يجب الا يكون فوق ما يتحملة البشر ، اذ ان لهذه التحديات الطبيعية والبشرية مدى معيناً يجب الا تتعداه حتى تكون الاستجابة الخلاقة ممكنة - فهي ليست مما يعجز الجهد البشري ولا مما ينقاد له بسهولة كل الانقياد ، فالرخاء المفرط في البيئة عدو الحضارات اللدود (كما في المنطقة الاستوائية حيث كل المواد الغذائية متوفرة) ، وكذلك قسوة العوائق قسوة خارقة من شأنها ان تشل كذلك النشاط الانساني ، وتسقط الاجنحة الحضارية قبل اوانها (سكان المناطق القطبية والصحراوية) فالتحدي المقصود اذن هو التحدي المستطاع .

فالحضارة تنمو اذا ماتوفرت هذه الشروط ، وهي تبدأ في الانحدار والضعف متى مازالت هذه الشروط. وراى تويني حول الحضارة المعاصرة راى يتأرجح بين حلين لا ثالث لهما :



ابو محمد السجلماسي وكتابه المتروع البديع

بقلم الدكتور
سعيد اعراب

عثر عليهما مؤخرا ، وكان الفضل في نشرهما لبعض المستعربين ، لما كان لذكرهما وجود ، ولظلت آفاق في تاريخنا من مجاهل التاريخ .

وابو محمد السجلماسي من هذا القبيل ، فقد اخطأت عين الزمان - وهو البصير الحاد - نسخة فريدة من كتابه (المتروع البديع) فكانت كنافذة يشع منها بصيص من النور على جنبات من حياة المؤلف ، ومن خلال هذا الكتاب يستطيع الباحث ان يضع الخطوط الاولى لترجمته . والمؤلف هو ابو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الانصاري السجلماسي، وما ذكره بروكلمان في المجلد الثاني من ملحقه ص 16 - من ان مؤلف المتروع البديع ، هو ابو القاسم محمد . . اعتمادا على ما في فهرس اللحداح - فلعله تصحيف او فيه تقديم وتاخير ، والاصل ابو محمد القاسم . . ويؤيد هذا ماجاء في ديباجة المخطوطة التي بين ايدينا قال : قال شيخنا الاستاذ الاكمل العالم الاوحد الافضل ، القدوة الصدر المتفنن ، المتقن الاحفل ، ابو محمد القاسم بن محمد . . وجاء في الخاتمة : قال الامام ابو محمد مؤلفه رضي الله عنه كمل هذا الوضع وفرغ من املائه وتاليقه بحمد الله - في الحادي والعشرين لصفرة (عام) اربع وسبعمائة هـ

ويبدو ان واضع الديباجة والخاتمة هو ناسخ الكتاب ابراهيم بن محمد الفساني ، الذي ذيل المخطوطة - على عادة الناسخين - بقوله : كمل بحمد الله . . على يدنا نسخة ابراهيم بن محمد الفساني الشهير بالوزير وذلك بمدينة فاس - حرسها الله -

كنت اشرت في مقال سابق (**) الى ان من نواذر المخطوطات العربية ، وذخائر المكتبة المغربية (كتاب المتروع البديع) في تجنيس اساليب البديع . . - لابي محمد السجلماسي ، واعطيت صورة مختصرة عنه ، لكنني كنت اجهل كل شيء عن مؤلفه ، والان - وقد تصفحت الكتاب وقرأت كثيرا من مباحثه ونصوله - احببت ان اعود الى الموضوع ، واعرف بالكتاب وبمؤلفه ، سيما والكتاب صفحة مشرقة من تاريخنا الادبي ، والمؤلف من الشخصيات الغامضة التي طواها الابهام من سجل التاريخ ، وكان الذي دفعني الى هذا اسرين :

(1) ان ابن خلدون ذهب في المقدمة ، الى ان المغاربة لم يؤلفوا في البلاغة والبيان ، لدقة انظاريهما ، وغموض معانيهما (**) ، وشايعه على هذا الرأي طائفة من مؤرخي الادب العربي في العصر الحاضر (**) ، وخير وسيلة - في نظري - لتصحيح هذا الخطأ ان نعرف ببعض الكتب التي فيها المغاربة في البلاغة والبيان ، قبل عصر ابن خلدون ، ونعرض نماذج حية منها على انظار القاريء ليشاطرنا الرأي .

(2) فتح قوس لترجمة عالم مغربي فذ ، لم تذكر كتب التراجم حتى اسمه ، فضلا عن تاريخ حياته ، شأنها في ذلك مع كثير من نوابغنا ، وقديما وسم اهل المغرب بالتقصير ، واهمال تاريخهم . وما لنا نذهب بعيدا ، فالى عهد قريب كنا لانعرف اي شيء عن المراكشي مؤلف المعجب ، وابن عذارى صاحب البيان المغرب ، واخراجهما ولولا كتابهما الخالدان اللذان

* نشر هذا البحث في العدد العاشر (المتأخر) من مجلة دعوة الحق ص 67 السنة الثالثة .

* - ص 1036 - ط دار الكتاب اللبناني .

* وحتى الزيات - على تحريه وتثبته . انظر ص 361 : تاريخ الادب العربي .

في تفسيره لسورة الكوثر ، حتى قال بعضهم : ان ابا عبد الله الضرير المراكشي استقى منه كثيرا في نظمه لمصباح ابن مالك في المعاني والبيان (1) .

(2) **ابن رشيد** : ابو عبد الله محمد بن عمر السبتي (721 هـ) واكثر مباحث ابن رشيد في البديع ، وله في ذلك كتابان : احكام التأسيس في احكام التجنيس ، - وايراج المربع لرائد التشجيع والترصيع .

(3) **ابو القاسم الشريف** : محمد بن احمد السبتي (760 هـ) له شرح على مقصورة حازم سماه رفع الحجب (المشورة) ، على محاسن المقصورة ، تناول في مقدمته دراسة اصناف البديع ، وكثيرا من مسائل البيان كالتشبيه والكناية والاستعارة .

(4) **ابو عبد الله المراكشي** : محمد بن عبد ارحمان الضرير (807 هـ) له رجز في علوم البلاغة ، حاذى فيه مصباح ابن مالك ، قيل انه التقطه من الحلية ، والطيبى ، والتجديدي ، والصناعتين للعسكري . . واخذ كثيرا من تفسير سورة الكوثر لابن البناء - كما اشرنا الى ذلك سابقا . ولاي عبد الله الضرير شرح على هذا الرجز املاه على تلاميذه في حلقات دروسه بمراكش

ويجب ان نلاحظ ان هناك ظاهرة تبدو جلية على مؤلفات هذا العصر ، وهي انها اتجهت اكثر الى الصنعة اللفظية ، والمحسنات البديعية ، حتى الذين افوا في البلاغة والبيان ، حاولوا ان يكسوها حلة بديعية ، وجعلوا عناوين كتبهم (البديع) ولعل للعصر الذي عاشوه اثرا في ذلك ، ومعلوم ان العصر المريني كان عصر الزخرف والصنعة ، طفت على رجال الادب فيه (موضة) التفنن والابداع ، وربما كان هذا هو الحامل لابن خلدون ان يقول فيهم ماقال .

وكان ابو محمد السجلماسي على جانب كبير من الثقافة اللغوية والادبية ، وله تطلع في النحو ومذاهبه ومشاركة في التفسير والحديث ، والفقه والاصول ، وله المام بعيد في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام ، وكان متأثرا بفلسفة ارسطو ، وله آراء في البلاغة والنقد تتجلى في كثير من مباحث كتابه (المترع البديع) .

وكان الفراغ منه سابع رجب عام تسعين واربعمائة هـ - «كذا» ولعل الصواب : سبعين وسبعمائة بالياء الموحدة فيهما ، والخطا من الناقل لا من الناسخ الاول (الفساني) ويجوز ان يكون ابو القاسم بن محمد بن ابراهيم الفساني المعروف بالوزير ، الطبيب المغربي المشهور ، صاحب المؤلفات العديدة في الطب التوفى 994 هـ - من حفائذ الفساني المذكور ، ومهما يكن ، فالذي يترجح ان كنية المؤلف هي ابو محمد ، واسمه الخاص القاسم .

وابو محمد من العائلات الانصارية التي وردت على المغرب في فترات تاريخية ، وهي منتشرة بكثرة في الاوساط المغربية والاندرلسية ، ويوجد مكتوبا على ظهر الورقة الاولى من المخطوطة في زاوية الى اليسار بخط خفي : (الانصاري النجار ، السجلماسي الدار) .

ويبدو مما جاء عرضا - في درة الحجال - ج 2 469 - : ان النسبة الاصلية لابي محمد تنوسيت وتنوسي معها ان ابا محمد ولد ونشأ بسجلماسة ، ورحل الى فاس للاخذ عن علمائها ، وجلس للتدريس بها ، وهناك ، ومن احد كراسي (القرويين) اتمى على تلاميذه كتابه (المترع البديع) وفرغ من املائه واواخر صفر عام اربع وسبعمائة هجرية ، ومن تلمذ له ابراهيم بن محمد الفساني الشهير بالوزير ، اما متى ولد ؟ ومتى توفى ؟ واين ؟ فذلك ما لا نستطيع تحقيقه الآن ، وكل ما نستطيع ان نقول هو ان ابا محمد السجلماسي من مواليد النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، وان وفاته ربما كانت في العقد الثاني او الثالث من المائة الثامنة للهجرة .

وعاش ابو محمد في العصر المريني ، الذي ازدهرت فيه علوم العربية ، وبلغت ما لم تبلغه في اي عصر كان ونال علم البيان اعتناء كبيرا ، والمرجح انه في هذا العصر ابتدا تدوين البلاغة بالمغرب ، وربما كان ابو محمد السجلماسي اول مؤلف فيها بالمعنى الصحيح . ومن اسهم في هذا الميدان من علماء هذا العصر :

(1) **ابن البناء المراكشي** : ابو العباس احمد بن محمد بن عثمان (721 هـ) له كتاب (الروض المربع في صناعة البديع) وتكلم عن كثير من مسائل البلاغة

* الاعلام بمن حل مراكش واغامت من الاعلام - عباس ابن ابراهيم ج 4 - ص 127 .

ومن شيوخه - كما قال في نوع الترصيع - ص 143 - قال : قال لي شيخنا ابو عيد الله - قدس الله روحه - ان سورة الواقعة من نوع الترصيع ، وتتبع اجزائها يؤذن بان فيها موازنة قال : ويحتمل كلام الشيخ (ض) وجهين : احدهما ان تكون تسمية السورة بجملتها ترصيعا ، اعتبارا لاحد جزئها ، والثاني ان يكون سماها بجملتها ترصيعا ، القاء للفصلين بين الترصيع والموازنة كما فعل ابو الفرج قدامة ، فانه جعل الترصيع والموازنة بابا واحدا وترجم عليها باسم الترصيع ، وبالجملته فما لم يكن منها في نوع الترصيع فهو في الموازنة ، وهما متقاربان وكل ذلك مما ورد في التنزيل ، وما ورد منهما فيه فقسي اعلى طبقة لتوفر الشروط فيهما .

واوردت هذا النص برمته ليعلم القاريء من خلال هذا النقاش بين الاستاذ وتلميذه - ان مدارسنا في هذا العصر كانت تدرس البلاغة في مستوى عال ، وفي جو قرآني ادبي ، وكان لكتاب ابي محمد السجلماسي صدى في الاوساط الاندلسية ، وتقبل حسن من علمائها ، فهو لم يكذب يظهر الى الوجود ويرى النور حتى راينا عالم المرية ابن ليون سعد بن احمد بن ابراهيم التجيبي 750 هـ يقدم له خدمة جليلة وما احراء بها - فيهدبه وينزل ما به من منطقيات وفلسفيات ، وربما كان هذا الفرع افيد من اصله (**).

واذا اوضحنا بعض جوانب من حياة المؤلف فلنعد الى الكتاب ، ولنبدأ - باديء ذي بدء - بالتعريف بالمخطوطة وهي - فيما اعلم - نسخة فريدة لا اخت لها ، توجد بمكتبة المعهد العالي بتطوان تحت رقم 932 ، والمخطوطة مجلد ضخيم يقع في 236 - صفحة من القطع الكبير ، النوع القديم ، في كل صفحة 26 سطرا بخط مغربي جيد ، وتعتبر هذه النسخة على ما يبدو - الفرع الثاني للاصل وهو منقول عن الفرع الاول لتلميذ المؤلف : ابراهيم القساني السالف الذكر

والنسخة كثيرة التصحيف والتحريف ، مما يجعل القاريء يقف طويلا في قراءة كثير من فصول الكتاب ، ويحار احيانا في فحهم بعض عباراته ونصوصه .

والكتاب يبدأ بمقدمة ابان فيها المؤلف ان الغرض من كتابه : (احصاء قوانين اساليب النظم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعة لعلم البيان واساليب البديع ، وتجنيسها في التصنيف وترتيب اجزاء الصناعة في التاليف ، وتحرير تلك القوانين الكلية ، وتجريدها من المواد الجزئية) ، ثم بين ان كتابه يشتمل على عشرة اجناس : اليجاز ، التخيل ، الاشارة ، المبالغة ، الرصف ، المظاهرة ، التوضيح ، الانساع ، الانشاء ، التكرير) .

وقد اوضح المؤلف في هذه المقدمة ، وفي كثير من ابواب الكتاب ان موضوع كتابه ليس علم البديع فقط - كما يوهمه عنوان الكتاب - بل ما يشمل البيان ، على ان اطلاق البديع على ما يشمل علوم البلاغة استعمال قديم منذ عهد الجاحظ الى ما بعد القرن الخامس الهجري ، وربما كان السكاكي اول من قسم البلاغة الى معان ، وبيان ، وبديع ، وجعلها علوما ثلاثة واقام الحواجز الفاصلة بينها ، وهو تقسيم لم يقل به احد قبله ، ولا ينبغي على اساس صحيح (ب) وقد يكون مؤلفنا السجلماسي استوحى فكرة تقسيم البلاغة الى عشرة اجناس من ابي بكر الباقلائي (430) في كتابه اعجاز القرآن ، فهو بعد ان سرد انواعا من البديع بما فيها التشبيه والاستعارة والمائلة ، قال ان ذلك باب من ابواب البراعة ، وجنس من اجناس البلاغة ، وذكر ان البلاغة عشر اقسام اليجاز ، التشبيه ... الخ .

والرمانى (384) يجعلها في كتابه النكت ثمانية : (اليجاز ، الاستعارة ، التشبيه ، البيان ، النظم ، التصرف ، المشاكلة ، المثل) وابو محمد اعتمد كثيرا على هذين الكتابين ، وان كان نقد ابا بكر في عدة مسائل ، على ان فكرة التجنيس والتنويع ذهبت بعضهم الى ابعدها من هذا ، فهذا ابو القاسم عامر بن هشام القرطبي ، كاتب ابي عبد الله حفيد ابن عبد المؤمن - المتوفى 623 هـ - الف كتابا في اجناس التجنيس ، وطريقة الاجناس والانواع وان كانت تقوم مقام الابواب والفصول ، وفيها تجديد وضبط لتواعد الفن ومسائله ، فهي طريقة فلسفية عميقة ، تخضع لحدود ورسوم منطقية ، لاعلاقة لها بجزء البلاغة ، ولا تمت بصلة الى موضوعها الفنى .

* انظر درة الحجال المرجع السابق .

* انظر تاريخ علوم البلاغة للمراغبي ص 111 \ 115 .

تشبهات بدعية ، وكتابات جميلة ، مع البحري ،
والمتبي ، وابي تمام ، او مع ابن خفاجة ، وابن زيدون ،
اذا به مع ارسطو ، والاسكندر ، والفارابي ، وابن
سيناء . . . وربما اقحم نفسه في حرب عنيف مع
المشائين والمفسطائين .

وهنا ننتشد مع البحري قوله :

كفتمونا حدود منطقتكم
والشعر يكفي عن صدقه كذبه (❖)

واذا كان هناك ما يؤخذ على المؤلف ، فهذه
التقسيمات الفلسفية ، والتعريفات المنطقية التي
دفعته اليها طريقة التجنيس والتنويع ، والتي اصبح
خاضعا لها - اراد ام لم يرد - مع كل جنس من
الاجناس العشرة التي بني عليها كتابه ، فهو مضطر
لان يعرف لنا ما هو الجنس ؟ وهل هو عال ، او
متوسط ، او اسفل ؟ وما هي الانواع التي تندرج
تحت كل جنس ؟ وما هناك من فروق ذاتية ،
وعرضية ؟ فبينما نرى المؤلف في ظلال اديبة :

❖ ويعني بالكذب في الشعر - كما يقول عبده - التخيل ، والذهاب بالنفس الى ما ترتاح اليه
من التعليل .



إفريقيا الجديدة

قرأه وعلق عليه
محمود سبي مكي

في السطور التالية نقدم عرضا لكتاب « إفريقيا الجديدة » الذي وضعه الكاتب الألماني الأستاذ رولف إيتالياندر المتخصص في الشؤون الإفريقية ، وهو كتاب نرى أنه يجدر بكل إفريقي أن يقرأه حتى يعرف بلاده خيرا مما يعرف ، وإذا كنا نقول ذلك عن أهل إفريقيا فإن كل أوربي وأمريكي أولى بأن يطلع هذا الكتاب ، ولو أنهم فعلوا لاقنعهم بانتهاج طريق غير الذي انتهجوا حتى الآن أزاء قارتنا المقاسية المكافحة ، وهو أخيرا كتاب يدل على أنه ما زال في أوربا كتاب ومفكرون استروحت قلوبهم سمات الإنسانية والعدالة بصورة تستحق الإعجاب والتقدير .. هو كتاب يدل على أن الدنيا ما زالت بخير

حضارة أوربا :

هكذا تسأل (رابندرات طاغور) فيلسوف الهند الأكبر حينما نشبت الحرب العالمية الأولى في سنة 1914 ، وبهذه العبارة ختم الكاتب الألماني الحر « رولف إيتالياندر » كتابه عن « إفريقيا الجديدة »

ولعل هذا الكاتب أحد الأوربيين القليلين الذين حاولوا أن يفهموا مشاكل القارة الإفريقية بعيدا عن التعصب والغرور اللذين يطلان دائما من سطور ما كتبه عن إفريقيا أقلام الأوربيين ، وهو أستاذ جامعي يتولى تدريس تاريخ إفريقيا وحضاراتها في عدد من الجامعات الأمريكية ، كما أنه عضو في كثير من معاهد أوربا وأمريكا المتخصصة في دراسات علم الاجتماع ، وقد نشر من قبل كتبا كثيرة حول القارة الإفريقية من أذيعها وأوسعها انتشارا كتاب « القارة القلقة » ، وكتاب « متى تذهب إليها الرجل الأبيض ؟ » وكتاب « من الغابة إلى الصحراء » وفيه ضمنه انطباعاته حول زيارته للكونغو وتشاد والصحراء الكبرى .

طريق السلام :

ونعود إلى كتاب « إفريقيا الجديدة » الذي اختار مؤلفه لخاتمته تلك الكلمة الماثورة عن رابندرات طاغور ، وفي هذه الخاتمة يعلق الأستاذ إيتالياندر على هذه العبارة ، فيقول أن الحق يقتضي من الأوربيين جميعا أن يعترفوا بأنها صادقة صحيحة برئمة من

الدمار والخراب، فهي لا تستهدف إلا جهازا هائلا لنشر الشعوب التي تبسط سيطرتها عليها ، وإبادة الاجناس التي تجرؤ على الوقوف في طريقها ، انها على الرغم من كل ما تصطنعه من مظاهر الرقي والتطور لا تعدو ان تكون « حضارة آكلي لحوم البشر » ، فهي تقوم على اساس اضطهاد الضعفاء والافتناء على حسابهم ، ونشر الكراهية والحسدين مختلف الاجناس والامم . انها مدنية علمية - لا ننكر ذلك - ولكنها متجردة من الإنسانية .. هي قوية جبارة ليس في ذلك شك ، ولكن قوتها تعود الى انها تركز جهودها من اجل الوصول الى هدف واحد : هو جمع الثروة ، وهي - باسم القومية - لا تتورع عن الخيانة واخلاف الوعود ، ولا تكف عن نصب حبال الكاذب وخداع السذج البسطاء .. هي حضارة وثنية وان اصطنعت غير ذلك ، فنحن نراها في كل مكان تسيطر عليه مقيمة اصناما هائلة للاله الوحيد الذي تدين له بالعبودية : اله الترف ..

نرى الإنسانية راضية بان تقودها مثل هذه الحضارة الى هاوية الخراب ؟) .

التبشير :

لقد اعتدنا مثلا على اعتبار ديننا هو المثل الاعلى للقيم الروحية دون ان نحاول تفهيم ما فى الاديان الاخرى من فضائل ، وساقنا الفرور الى محاولة قرض المسيحية على كثير من الشعوب الافريقية المسلمة عن طريق سياسة تبشيرية حمقاء ، كان التبشير يسير فيها مع الاستعمار فى ركاب واحد ، لقد تدخل المبشرون فى السياسة بشكل مباشر واصبحت مهمتهم هى تخدير الافريقيين واتخاذ نشر الدين ذريعة لمد السيطرة الاستعمارية عليهم وابقائهم خدما ان لم نقل عبيدا الرجل الابيض ، اترانا نعجب اذا راينا الافريقيين يسمعون فى اول عهدهم بالاستقلال الى طرد هؤلاء المبشرين الذين لا يمثلون الا ظلم الاستعمار وطفيلانه واما المسيحية فانها منهم بريئة ..

الثقافة :

وقد اعتدنا الا نعرف بثقافة الا ان تكون ثقافتنا الاوروبية وكان العالم خلا من الثقافات قبلنا ، وكاننا نسينا ان حضارتنا لم تولد الا على اساس ما اغترفته مع منابع الحضارات الوثنية التى قامت فى العالم القديم والحضارة الاسلامية التى ازدهرت فى العصور الوسطى ، وقد اثبتت الابحاث التاريخية ان كل « المجاهل » الافريقية التى غزاها الرجل الابيض فيما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر لم تكن من « المجاهل » فى كثير ولا قليل ، وانما كانت مهاد حضارات عظيمة عريقة فى القدم ، وان سكان تلك المناطق لم يكونوا من التأخر والجهل بحيث يتصورهم الاوروبيون فى العصر الحاضر ، وقد كان من ابشع الجرائم التى ارتكبها المستعمرون البيض هو تدمير معالم تلك الحضارات حتى يصوروا للناس بعد ذلك ان افريقيا لولاها لمكانت فريسة للجهل والوحشية ، ولندكر من امثلة ذلك ان المستعمرين البيض حينما حلوا فى جنوب افريقيا عثروا هناك على آثار ترجع الى الاف السنين وتدل على ان هذه المنطقة كانت قد ازدهرت فيها حضارة عظيمة لعلها اقدم حضارات العالم، غير ان التعصب - ولا ابالغ اذا قلت التوحش- قد بلغ بهؤلاء المستعمرين الى حد طمس جميع تلك المعالم والاثار حتى لا يخالغ الناس شك فى ان اوربا هى التى جعلت من سكان هذه البلاد بشرا بعد ان كانوا احدى الفصائل الحيوانية ..

التعصب او المبالغة ، وهو امر مؤسف الا انه اذا اردنا ان نصلح اخطاء الماضى وننتهج طريقا جديدة يودى بالعالم الى السلام فانه لا بد للمفكرين الاوروبيين الاحرار ان يتحملوا تبعيتهم فى « تحرير » شعوبهم من تلك الجرائم التى طالما ارتكبوها ولوثوا بدمائها ارض القارة الافريقية .

ماذا فعلت باخيك ؟

وقد كان من اول هؤلاء المفكرين الاحرار الذين رفعوا صوتهم منادين بذلك الكاتب الفرنسى رومان رولان الذى قضى الشطر الاعظم من حياته مدافعا عن الثقافة الاوروبية حتى فطن اخيرا الى مدى ما فى هذه الثقافة من عناصر الفساد والانحلال ، فاذا به فى سنة 1916 يكتب قائلا :

ان حضارتنا الاوروبية اصيحت تفوح منها رائحة الجيف .. انها جسد ميت يدعو اليه الدافنين حتى يريحوه ويريحوا منه بمواراته فى التراب) .

ويذكر رومان رولان فى معرض الحديث بين الرجل الابيض وافريقيا السوداء ان هناك اسطورة شائعة بين الافريقيين يفسرون بها علة بياض بشرة الاوربي ، اذ يقولون ان الله تعالى سألته : ماذا فعلت ياخيك الافريقي ؟ فشحب وجهه وايض من فرط الضجل والخزي ، وبقي هكذا الى الابد ..

على من تقع التبعة ؟ :

ان التبعة فى كل ما قاسته شعوب القارة الافريقية فى الماضى وما تقاسيه فى الحاضر انما تقع على الاوروبيين وخدمهم ، واذا كنا نريد اليوم - نحن الاوروبيين - ان تكفر عن جرائمنا فينبغى علينا ان ننسى غرورنا واعتقادنا الخاطيء باننا اسما من غيرنا .. علينا ان نحاول اقامة علاقاتنا بشعوب افريقيا وآسيا على اساس جديد من الاحترام والحب والاخاء .. علينا ان نطهر انفسنا من شوائب الماضى قبل ان ندعو الشعوب الافريقية الى احترامنا او الثقة فىنا ، فاننا ما دمنا على ما نحن عليه فانه ليس من شك فى اننا غير جديرين باي ثقة ولا احترام ..

عن أمثالنا من البيض الأوربيين ، ولم تفلح دعوات المصلحين الإنسانيين في تحويلنا عن تلك المعاملة .. ولا ذكر على ذلك مثلا بسيطا شهدته بعيني في الكونغو قبيل استقلاله ، فقد جرت عادة البلجيكين هناك على ان يتوجهوا بالخطاب الى اي فرد من افراد شعب الكونغو بكلمة (الولد) مهما كان مركزه او ثقافته او سنه ، ثم ارادت الحكومة البلجيكية قبل ان ينال الكونغو استقلاله بقليل ان تخفف من اثر الواقع السيء الذي يتركه مثل هذا التعبير ، فاصدرت امرا بان يستخدم رعاياها مع اهل الكونغو لفظ (السيد) اسوة بما يستخدمونه في الخطاب بين بعضهم البعض ، فماذا كانت النتيجة ؟ كان البلجيكي اذا تحدث مع اي مواطن من الكونغو ناداه بقوله : ايها السيد .. الولد .. واطلق ضحكة ساخرة .. اترانا نعجب بعد ذلك اذا نظر الينا الافريقي اليوم بعيون ملؤها الكراهية ؟



وليعذرنا القارئ اذا كنا بدأنا في عرض محتويات هذا الكتاب من آخره ، فالواقع ان خاتمة الكتاب التي سقنا موجزا لبعض فقراتها المهمة انما تتضمن ناحية من ابرز نواحيه .. اذ ان هذا الكاتب الاوربي يتحدث فيها بصراحة مرة عن موقف اوربا ازاء قارتنا الافريقية ، وحديثه اشبه ما يكون (بالاعترافات) ولكنه لا يكتفي بذلك ، بل يدعو الضمير في مختلف بلاد العالم ولا سيما الاوربية والامريكية الى التكفير عن كل تلك الخطايا بانتهاج سياسة جديدة لا تقوم على الارتجال والتسرع ، وانما على تربية (وعي جديد) ، ولا سيما في طبقات شباب المتقنين ، وهو يطلقها صيحة جريئة داعية الى (مراجعة حساب اوربا) في هذه القارة ، والى تطهير النفوس والنوايا قبل ان تستمر اوربا في سياستها القاسية الحمقاء .

وهو يختم كلامه بقوله : اني اخشى ان تكون الفرصة قد فاتت ، ومع ذلك فاننا اذا اخلصنا الضمائر واستمعنا لصوت الحق والعدالة فقد يكون هناك مجال لاصلاح بعض ما افسدت ايدي السفهاء منا .. وانهم لكثير ..



والمؤلف بعد ذلك يستعرض صورامن حياة القارة الافريقية يرسمها في صدق ودقة من خلال زيارته الاخيرة لبلاد هذه القارة ولقائه لكثير من زعمائها

واعتدنا كذلك ان نتحدث في كثير من الاحتقار والسخرية عن الامية المنتشرة في شعوب افريقيا ، ونسينا انه اذا نظرنا الى بلد اوربي مثل المانيا في اوائل القرن التاسع عشر فاننا نجد ان نسبة بالغة الضائلة كانت هي القدرة على تذوق ادب « غيتة » او تفهم (شيللر) وان الامية كانت بلا شك منتشرة في امم العالم القديم التي انتجت لنا حضارات خالدة نرسمها اليوم في اعجاب يكاد يصل الى حد التقديس ، ثم ان الامية تختفي اليوم من اوساط الشعوب الافريقية في سرعة مذهلة ولا سيما بين البلاد التي نالت استقلالها اخيرا ، وهو امر يدلنا من ناحية على طموح هذه الشعوب واقبالها على العلم والثقافة في حماس يستحق الاعجاب ، ومن ناحية اخرى على ان الدول المستعمرة لم تسع اطلاقا الى رفع مستوى التعليم بين تلك الشعوب كما درجت على ان تزعم .

ارستقراطية اللون :

وقد اعتدنا ان نتحدث في فخر وعجرفة عن الحرية والاخاء والمساواة ، واعتبرنا انفسنا - نحن الاوربيين - خالقي هذه المبادئ ، وعلى الرغم من ذلك فاننا لم نجد باسا في ان ننادي بنظريات تناقض تلك المبادئ كل التناقض ، بل تصور الى اي حد يصل تفكيرنا من السخف والقرور ، حينما قام كثير من مفكرينا في القرن التاسع عشر بوضع تلك النظريات التي لا تقوم على اي اساس علمي والتي تزعم ان للاوربيين فضلا على الساميين وللبيض امتيازاً على السود او الصفر ، ولندكر ما كتبه الفريد روزنبرج « مفلسف » الحركة النازية حينما قال ان الرجل الابيض ينبغي ان يتخذ قرارا حاسما في مسألة ابادة الجنس الاسود والقضاء عليه حتى لا « تتلوث » به قارتنا الاوربية ، ولندكر ما كتبه الكونت « جوينو » الذي ضمن امثال هذه الاراء رسالته سماها « اختلاف الاجناس البشرية » ، وكانت اساسا لكل ما كتبه حول ذلك المفكرون المدافعون عن مبدأ التفرقة العنصرية وما اصدق ما كتبه عن هذا المبدأ المفكر يومون اذ قال : لقد ابتليت البشرية بكثير من الوان الارستقراطية ، ولكني لا اعرف منها اكثر سخفا ولا حماقة من ارستقراطية اللون والبشرة .

سيدي ... الولد :

واعتدنا كذلك على ان نعامل الافريقيين معاملة (خاصة) .. على انهم اقل بدرجات في مراتب الانسانية

وقادتها ، هذا وان كان لم يكتف بذلك بل حاول ان يعرف آراء رجل الشارع العادي في كل بلد زاره مما اتاح له الالمام باتجاهاته المختلفة وتطور الحركات القومية فيه ..

* * *

اوربا لا تسمع :

ولنمض في جولتنا مع « رولف ايتالياندر » حول افريقيا .. لتوقف قليلا عند هذا الساحل الطويل الذي يدور مع البحر الابيض في الشمال الغربي من افريقيا ، لتأمل هذه الارض الطيبة الدافئة التي اصبحت تجري فيها انهار من الدماء والدموع والالام .. الجزائر ، (الجزائر الفرنسية) التي لا تغل في (فرنسياتها) عن نورماندي او بريتاني ، واي باس في ان يعترض على ذلك عشرة ملايين من الافريقيين المسلمين ما دام نحو مليون من الاوربيين يرددون تلك (الحقيقة) صباح مساء ؟

« الجزائر الفرنسية » .. وان احتجت على ذلك اقلية هذه البلاد من المسلمين الذين لا يريدون ان يصبحوا فرنسيين ، وماذا يهم لا ان اوربا لا تسمعهم ولا تعيرهم التفاتا .. هكذا قال ملك فرنسا لويس فيليب في سنة 1835 حينما نشبت حرب الجزائر : (.. وماذا يصيرنا اذا انطلقت في سماء الجزائر مائة الف قذيفة؟ ان اوربا لا تسمع) .

واوربا في ذلك الوقت كانت هي العالم .. هي الضمير البشري .. هي كل شيء .. وهكذا يعتقد حتى الآن اولئك المليون من الاوربيين المستعمرين ممن لا يزالون مؤمنين بان اوربا هي سماع العالم وبصره وان الناس في خارج اوربا - اذا جاز ان يعتبروا ناسا - ليس لهم عيون ترى ، ولا آذان تسمع ..

ويقول جان بول سارتر : هناك « حقيقة » لا يعرف هؤلاء المستوطنون الاوربيون غيرها في الجزائر: هي انهم اختصمهم الله بنعمة البشرية ، وان اهل البلاد الاصليين « اشياء » لم ترتق بعد الى هذه الدرجة .

وقد كنت قمت باول رحلة الى الجزائر في سنة 1931 حينما لم يكن الشعور القومي في هذه البلاد قد

نضج ولا تشكل في صورته الحاضرة ، وكان اول ما صدمت به هناك ان هؤلاء الاوربيين الذين تعاقبت اجيالهم منذ قرن من الزمان لم يوفقوا الى فهمها قط .. بل لم يحاولوا ذلك حتى مجرد محاولة ، ولهذا لم يكن من العسير على اي عقل قدر له نصيب من التحرر ان يتتبا بما سوف يحدث ..

ومن الغريب ان اوربا التي لم تكن ترى ولا تسمع في سنة 1835 ظلت عاصبة عينها ومصمة اذنيها اكثر من مائة سنة ، ففي 8 مايو 1945 قام الجزائريون المساكين وفي نفوسهم بقية من ثقة محتفلين بانتصار الحلفاء « الديمقراطيين » على المانيا النازية ، ومطالبين « اسدقاهم » الفرنسيين بتحقيق وعودهم لهم بمنحهم نصيبا من الحرية ، فماذا كانت النتيجة ؟ انطلقت المدافع الفرنسية الى صدور الجزائريين فقتلت منهم في سطيف بضعة الاف في ساعة او بعض ساعة ..

وماذا بهم ؟

ان فرنسا - ومعها اوربا - ما زالت بعد لا ترى ولا تسمع ..

« الديمقراطية » في كينيا :

ولترك الجزائر ، وننتقل الى طرف آخر من اطراف افريقيا .. الى كينيا التي تسمى مع تنجانيقا واوغندا « افريقيا الشرقية البريطانية » . وكينيا بلد تسوده الديمقراطية الخالصة التي اجتهد الانجليز في تلقينها للافريقيين . وقد بدأ حكمهم لها في سنة 1885 - كما هو المتبع في السياسة البريطانية - عن طريق الشركات التجارية ، وكانت « الشركة البريطانية لشرق افريقيا » هي التي وقعت على عاتقها « تبعة » نشر الحضارة والديمقراطية في كينيا ، وسرعان ما اصححت هذه البلاد ملكا (بكر الميم وسكون اللام) للتاج البريطاني حتى يضطلع فيها بمسؤوليته الكاملة .

ويعيش الآن في كينيا نحو ستة ملايين ونصف من البشر منهم 152 000 من الهنود ، و33 000 عربي ونحو 57 000 من الاوربيين ، ولا تزيد نسبة السكان البريطانيين في كينيا على (9/0) من مجموع السكان .

« اصلاح زراعي » من نوع جديد :

(للاوربيين فقط) ، وقد حاولت مرة ان ادعو في فندي سياسيا افريقيا مرموقا يتولى منصب (الوزارة) في حكومة الاتحاد ، وتاجرا هنديا معروفا الى تناول الفداء معي ، فلم تسمح لي بذلك ادارة الفندق ، بل نظر الي موظفوه في مزيج من الدهشة والاشفاق والفضب ، كائني ارتكبت جرما لا يفقر لي منه الا الجهل والسذاجة ..

وتبلغ مساحة الاتحاد الفيدرالي بين روديسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند خمسة اضعاف مساحة بريطانيا ، اما عدد السكان فيبلغ اكثر بقليل من سبعة ملايين ونصف من بينهم نحو 187 000 اوروبي ، وقد بدأ النفوذ البريطاني في الامتداد الى هذه البلاد منذ ان قدم اليها سيل روديس (1853 - 1902) ، وهو الذي اطلق اسمه على هذه البلاد ، ثم استولت عليها (الشركة البريطانية لجنوب افريقيا) في نهاية القرن التاسع عشر (من اجل النهضة بالتجارة والصناعة والثقافة في ظل حكومة صالحة تقدمية) ، وما زالت هذه الشركة تباشر غنائمها بالتجارة والصناعة والثقافة (كذا) حتى اصبحت المقاطعات الثلاث جزءا من ممتلكات التاج البريطاني .

الدكتاتور اليهودي :

اما الاتحاد الائتلافي الذي اقيم بين تلك المقاطعات الثلاث فهو حديث العهد ، اذ انه يرجع الى سنة 1953 ، بفضل سياسي استعماري انجليزي هو السير اندرو كوهين الذي بدلنا اسمه على اصله اليهودي .

ولعل في ذلك ما يفسر لنا كيف يحكم هذا الاتحاد الان يهودي آخر بولوني الاب هولندي الام هو روي فيلينسكي رئيس وزراء الاتحاد منذ سنة 1956 ، وحياة هذا الرجل يمكن ان تكون صورة مصفرة من حياة امثاله من الاوربيين الذين يتحكمون حتى الان في مصائر البلاد الافريقية .

ولد روي فيلينسكي في سالزبورج في سنة 1907 ، وكان ابوه صاحبا لاحدى الحانات ثم لفندق متواضع ، ولم يأخذ هو الا قسطا ضئيلا من التعليم ، ثم اشتغل اجيرا في بعض المناجم والمزارع ، وقضى فترة من حياته جزارا وخبازا وبائعا ، ثم احترف الملاكمة حتى سنة 1928 ، وبعد ذلك اصبح سائق قطار ، وارتفع نجمه بسرعة بفضل بعض الارستقراطيين الانجليز

وقد اقبل الانجليز منذ حكمهم لهذه البلاد على التطور بها تطورا سريعا ، فسنوا لها قانونا للاصلاح الزراعي ، والاصلاح الزراعي في كل بلاد العالم يستهدف توزيع الاراضي توزيعا اقرب الى العدالة ، ولكن اصلاح الانجليز كان شيئا جديدا يمتاز بالطرافة والاصالة ، فقد اصبت بمقتضاه كل اراضي كينيا الخصبة الصالحة للزراعة او لتربية الماشية من نصيب الاوربيين ، اما الكينيون فقد تركت لهم معظم المساحات المجربة من البلاد .

وواصل الانجليز جهودهم في سبيل نشر الديمقراطية في كينيا ، ففي سنة 1954 طبق القانون المعروف باسم « ليتلون » واصبح مجلس الوزراء على اساسه يتألف من ستة اعضاء : ثلاثة اوربيين واثنين هنديين وعضو افريقي واحد .

ويبدو ان هذا الطراز من الديمقراطية لم يعجب اهل كينيا ، ومن ثم ولدت الحركة الوطنية في تلك البلاد ، وتزعما جوموكينيا تام توم مويوا حينما زج بكينياتا في السجن ، وكانت مطالب هذه الحركة هي اعادة توزيع الاراضي على اساس يضمن للافريقيين حقوقهم ، ثم زيادة نسبة تمثيل الافريقيين في اجهزة الحكم والمجالس النيابية .

روديسيا ونياسا :

لعل اول ما يصدم الداخل الى سالزبورج عاصمة اتحاد روديسيا ونياسالاند وهو ما زال بعد في المطار هو ذلك البيان الطويل المعقد الذي يقدم للاجنبي لكي يملاه ، واول ما ينبغي ان يشبهه في هذا البيان ليس ذكر وطنه الذي ينتمي اليه ، وانما هو النص على جنسه : ابيض ، افريقي ، اسوي ، مولد .

للاوربيين فقط :

والعاصمة مدينة جميلة في وسطها عدة ناطحات للسحاب ، وفي ضواحيها بيوت ريفية على الطراز الانجليزي القديم ، والذي يستوقف نظر المتردد على معالم هذه المدينة الجميلة لاول وهلة هو خلوها من الافريقيين . على ان المتسائل عن ذلك لا يلبث ان يجد الجواب في اللافتات التي يراها حيث مر في انحاء المدينة

حتى تولى منصب النيابة في المجلس التنفيذي في سنة 1940 ، وفي السنة التالية اسس الملاكم اليهودي السابق (حزب العمال لشمال روديسيا) وقد بدأ يطالب بفكرة الاتحاد الائتلافي بين المقاطعات الافريقية الثلاث منذ سنة 1948 ، وهو ما تحقق اخيرا على يد اندرو كوهين ، وهكذا اصبح فيلينسكي بفضل ذلك رئيسا لوزراء الاتحاد .

« بدعة » الاستقلال :

ويشرح السير روي فيلينسكي مبادئ سياسته، فيقول من خطاب القاہ في جوهانسبورج اخيرا : (ان من الظواهر المؤسفة التي أصبحت «بدعة» هذا العصر ما نراه الآن من مطالبة الشعوب المتخلفة بما تسميه استغلالها وحرثتها ، وكان هذا الاستقلال سلة من الخبز يتقاسمون ما فيها فور حصولهم على الاستقلال لقد حانت الساعة لكي نفهم هؤلاء القوغاء الرعاع ان ذلك ليس الا حلما تقبع وراءه الحقيقة المرة . . ان ما يسمونه « الاستقلال » لن يفنيهم من فقر ولن يسمنهم من جوع ، وانه يجب ان يعرف هؤلاء المخدوعون المضلون ان الوطن الصحيح لا يقوم الا على دعامتين رئيسيتين: اقلية مثقفة مستنيرة تعرف كيف توجه الحكم وتديره ، واغلبية تضطلع بما يسند اليها من عمل في طاعة ونظام . . بهذا يكفل الرخاء والاستقرار في البلاد ، والا اصبحت امورها فوضى تعود بالكوارث على الجميع ، ان البلاد الافريقية جميعا بلا استثناء ما زالت في حاجة الى جهودنا - نحن الاوربيين - ورعايتنا واخذنا بايديها ، وانا اصرح بان هذا الوضع قد يستمر قرونا قبل ان نسمح لاولئك الملونين المتخلفين بالاخذ بنصيب في حكم بلادهم وادارتها بانفسهم ، وحتى اذا حانت هذه الساعة لذلك اليس من حقنا نحن الذين ضحينا بالكثير من اجل اسعاد هذه الشعوب ان ننال نصيبنا من الجزاء وان يعترف بفضلنا عليها ؟) .

ولست اظن هذه الكلمات التي تصور صفاقة صاحبها وتجرده من الانسانية محتاجة الى اي تعليق . .

7 000 ابيض = 500 000 افريقي :

ويعتبر السير روي فيلينسكي نفسه كما يعتبره الاوربيون البيض هناك من (ابطال الاستقلال) ، فالجميع يعترفون بان نفوذ وزارة المستعمرات البريطانية في توجيه سياسة الاتحاد الائتلافي قد

تضائل حقا في عهده ، غير ان مفهوم (الاستقلال) هنا يختلف عن مفهومه في سائر بلاد العالم ، اذ ان معناه في روديسيا هو ان تنتقل السلطات من اجهزة الاستعمار البريطاني الى يدي روي فيلينسكي نفسه وايدي امثاله من الاقلية الاوربية الحاكمة .

ولروديسيا ونياسالاند برلمان فريد من نوعه ، اذ يتألف من تسعة وخمسين عضوا من بينهم 15 يمثلون الاغلبية الافريقية و44 يمثلون الاقلية البيضاء، ومعنى ذلك ان كل نصف مليون من اهل البلاد يمثلهم عضو واحد ، اما الاوربيون فلم يمثروا عن كل 7 000 شخص . . اترانا في حاجة الى مزيد من الامثلة على مدى (الديمقراطية) التي طالما امتنت اوربا على الافريقيين بانها لقتنتهم اياها ؟

وقد ظل العالم لا يعرف الا القليل عن الحياة في هذا البلد الافريقي حتى استطاع الزعيم الروديسي موانجانكو مبولان ان يطلع الراي العام العالمي في مؤتمر اكرا سنة 1958 على حقائق تقشع منها الابدان .

وفي نفس هذا المؤتمر تحدث زعيم افريقي آخر هو كاموتزوباندا عن احوال نياسالاند التابعة للاتحاد الائتلافي الذي يحكمه روي فيلينسكي ، وقد قضى باندا اربعين سنة من حياته في المنفى وستوات اخرى في السجن لا لشيء الا لانه قال للبريطانيين ولرئيسهم اليهودي : اخرجوا من بلادي . . وقد ادى ذلك اخيرا الى نشوب تلك الاضطرابات الدامية التي وقعت في فبراير سنة 1959 .

قبايل وهاييل في جنوب افريقيا :

ولنترك اتحاد روديسيا ونياسالاند الى اتحاد جنوب افريقيا في الطرف الجنوبي الاقصى من القارة حيث كان مهبط آدم وحواء من الجنة بعد ان طردهما الله من الفردوس على ما يعتقد بعض علماء الحضارات القديمة . ترى لو ان ابا البشر عاد اليوم الى عالمنا الارضي ورأى ما يفعل بعض ابنائه في مكان مهبطه . . اتراه يشعر بالندم والاسف على خروجه من الجنة بقدر خجله من هؤلاء الابناء الذين انحدروا من صلبه ؟

ان قصة قبايل وهاييل تتكرر في كل لحظة في هذا الميدان الذي يسمونه (اتحاد جنوب افريقيا) ، وقبايل هنا هو هذا العدد من الاوربيين الذين وصلوا الى تلك البلاد في القرن السابع عشر ، وكان معظمهم من اصل هولندي ، ثم زاحمهم الانجليز الذين احتلوا

الا يتخصصوا في اي عمل فني او صناعي ، اما الاعمال التي تتطلب مستوى عاليا من التخصص كالمهندسة او الطب او الصيدلة او العمارة فكل ذلك محرم على غير الاوربيين ، واما ملكية الارض في هذه البلاد فانها تصور بشاعة ما يجري بها، فالاحد عشر مليوناً من الافريقيين لا يملكون من ارض بلادهم الا نحو 13٪ من جملة مساحتها ، والمليون ونصف المليون من البيض يستأثرون بالباقي ، هذا وتتصرف الحكومة والسادة البيض في الشعب الافريقي كما لو كان قطعانا من البهائم ، اذ يكفي ان يطلب احد الاوربيين بضعة آلاف من الافريقيين للعمل في مزرعته او منجمه حتى يصدر قرار حكومي بنقل سكان قرية كاملة الى حيث يريد السيد الابيض لخدمته بدون مقابل ، وليس للافريقي ان يحتج او يطلب استبدال سيده بأخر اذا اراد ان يتجنب عقوبة الجلد او السجن او الاعدام في بعض الاحيان ، اما الاوربي فانه ليس مطالباً بدفع اجر للعامل او الفلاح الافريقي الذي يعمل في خدمته من شروق الشمس الى غروبها ، وكل ما يلتزم به هو ان يلقي اليه كل يوم قليلا من الدرة والدقيق والملح ، ولا يستطيع الافريقي ان ينتقل من منطقة الى اخرى الا بتصريح من الحكومة ، وهذا التصريح يعين السلطات على ان تجمع العدد الذي تريده من العمال تحت تصرفها في اي وقت وفي اي مكان .

وقد اصدرت الحكومة اخيرا قانونا يحرم على الرجل الابيض ان يصادف الافريقي بيده طيلة حياته ، فاذا مات (اعني الافريقي) فانه لا يسمح لجسده بان يدفن في المقابر المخصصة للبيض .

وقد كان من نتائج هذا (الارهاب الاسود) الذي يباشره البيض هناك ان وقع ذلك الانفجار الشعبي الشديد في مارس سنة 1960 ، والحركات الوطنية وعلى راسها رجال مثل ايزيكيل مغاليلسي والبرت لوتولي تسير بخطى سريعة الى الامام ، هذا ولست اريد ان اصرح باسماء بقية القادة الوطنيين الذين تعرفت اليهم اثناء اقامتي هناك حتى لا اسبب في مزيد من الاضطهاد لهم على ايدي زبانية (الاتحاد الافريقي) .

* * *

وهكذا يمضي الكتاب في عرض صور من حياة افريقيا والافريقيين ، فيحدثنا طويلا عن مدغشقر والكاميرون والكونغو ونيجيريا وغانا ومالي

مدينة كيبون في سنة 1795 ، ووفد عدد آخر من البريطانيين في سنة 1820 ، وسرعان ما نشب النزاع بين المستعمرين الهولنديين والبريطانيين اذ حاول كل من الفريقين الاستئثار بخيرات البلاد ، ومن ثم استغرت نار الحرب المعروفة باسم حرب البوير فيما بين سنتي 1899 و 1902 ، واخيرا اعلن (استقلال) اتحاد جنوب افريقيا في سنة 1909 في نطاق جامعة الدول البريطانية (الكومنولث) ، وظل الامر على ذلك حتى خرج الاتحاد من تلك الجامعات اخيرا، واذا كانت الكراهية لا تزال حتى الآن على اشدها بين الهولنديين والبريطانيين فان هناك شيئا واحدا يجمع بين الفريقين : ذلك هو ابغاض الافريقيين وصب كل الوان الاضطهاد والعسف عليهم .

ويبلغ عدد سكان الاتحاد خمسة عشر مليون نفس ، من بينهم نحو احد عشر مليوناً ونصف من الافريقيين والمولدين ونصف مليون اسوي ، وثلاثة ملايين من الاوربيين .

التفرقة العنصرية قانون الهي :

وبراس حكومة الاتحاد في الوقت الحاضر الدكتور هيندريك فيرورد الذي ولد في هولندا سنة 1901 واشتغل في شبابه مدرسا ، ثم اصبح رئيسا لتحرير جريدة (دي ترانفالر) الناطقة بلسان الهولنديين البوير، وتولى بعد ذلك عدة مناصب في حكومة الاتحاد، كان آخرها رئاسة الوزارة منذ شهر اغسطس سنة 1958 .

ولعل فيرورد هو اكثر الساسة الاوربيين في افريقيا تعصبا واغظهم قلبا واجمدهم تفكيرا ، ويكفي ان نذكر ان هذا الرجل يصرح دائما بان التفرقة العنصرية (الابارتهد) انما هو قانون الهي ينبغي ان يطبق في كل مكان يحل فيه اي اوربي ، وان هذه التفرقة ليست ظلما لما يسميه (العناصر المنحطة) اي الافريقية ، وانما هي الاجراء العادل الذي يكفل لها ان تعيش في المستوى الذي خلقت له) .

ولهذا لم يكن من الغريب ان يلاقي الافريقيون في هذه البلاد على يد هذا الرجل ما لم يشهد له التاريخ مثيلا ، فدستور الاتحاد ينص على ان الافريقيين لا يمكن ان يكونوا اعضاء في البرلمان ولا محامين ولا قضاة ولا ضباطا في الجيش ولا في الشرطة ، وكل ما سمح لهم به هو ان يشتغلوا مزارعين اجيرين او عمالا بشرط

وفي خلال كل ما كتب يردد الاستاذ ايتالياندر
سؤاله الى اوربا : ترى هل لدى الشعوب الاوربية
من الشجاعة الادبية ما يحملها على الاعتراف ببشاعة
ما ارتكبته او ما ارتكبه بعض اهلها من الجرائم في
القارة الافريقية ؟ .

وهل بوسعها ان تهتدي الى طريق الاخاء
الانساني .. الى طريق السلام ؟
هذا هو ما نرجو ..

محمد علي مكسي

وكيل معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

وليبيريا والسنگال وغيرها ، وتصويره لكل ذلك
يفيض بالحياة والصدق الى جانب تحري العدل والبعد
عن العصبية .

واذا كان هناك ما ينتقد على الاستاذ ايتالياندر
في هذا الكتاب فهو انه لم يوجه مثل هذا الاهتمام
الى شؤون افريقيا العربية ، اذ ان فضوله عن المغرب
وليبييا وتونس والجمهورية العربية المتحدة والسودان
ليست في مستوى ما كتبه عن بلاد القارة الافريقية
ولعل عذره في ذلك ان تخصصه انما كان في شؤون تلك
البلاد التي ذكرنا قبل ، وهو مشكور على ذلك على اية
حال .





عبد الملك البلقيتي
للشاعر

رمضان حمر لعمري



واسبق بيت الله في السباق
اهل التقى والدين والاخلاق
والصوم لله الحكيم الباقي
ليث فيه خشية الخلاق
فاستقبلنه بهجة وعناق
لطهارة الانفاس والاعراق
او لاحق او فتح او اغلاق
لا ما يخط الطب في الاوراق
لتصح دون تجرع الترياق
ما بين نفسك والهوى الزلاق
او يقتضيه كثرة الانفاق
فارك قصد الصوم عند الباقي
لعياده في هذه الافاق
والوجه في بشر وفي اشراق

رمضان وافى ، نجهها ياساقي
ما كان اقصره على الافه
لم لا نواصل صومه وقيامه
افتح له ابواب فليك كلها
شهر كضيف جاء بيتك طارقا
ضيف نظيف لا يلوث منزلا
ضيف طبيب دون اجر سابق
ودواؤه في كونه ونظامه
يكفي تتبع ما يشير بفعله
هو مرشد ، ولكم يحول بهديه
ضيف عفيف لا يسوء مضيفه
لبس الكفاف من العفاف تزينا
ضيف من الله الكريم موجه
لم لا يلقى بالبرور حلولة

* * *

فالصوم مشتاق الى مشتاق
باداء واجبه بلا انشاق
امر بصوم العبد للرزاق ؟
ما ليس عند الغير من اخلاق

يا مرشدين : ادعوا اليه وشوقوا
حنوا عليه شبابنا ، ولبزموا
قولوا لهم : في اي دين لم يرد
قولوا لهم : في ديننا وضيامنا

قولوا لهم : في الصوم وحدتنا التي
فاذا تنكر للصيام شبابنا
فلكم اريد بدين اءباء لهم

عاشت زمانا ، لم تسم بفراق
ورموه بالاغراق والارهاق
سوء ، ومنه كم حماه الواقى

* * *

وطنية الدين الحنيف اعز من
قويت وسادت واستطاع رجالها
قولوا لهم : ما في الصيام موانع
كم فيه من خير ومن فضل ومن
ما في الصيام عوارض لنظامنا
قولوا لهم : كنا شبابا مثلكم
كنا نصومه والمواسم قبله
اولستم منا ، ودينكم الهدى
دين النبي ، محمد ، ما مثله
لما دابنا ناهجين سبيله

وطنية لم تلتحم بخلاق
ان يخرقوا بالعزم كل نطاق
لمساير عصر الحضارة ، راقى
اشياء عن فهم الفريير دفاق
وشئون عصر الذرة البراق
لكن له كنا من العثاق
او بعده ، بالحب لا بنفاق
وبه فتحنا معظم الافاق ؟ لا
في الصديق الا الشمس في الاشراف
ما كان يطمع خصونا للحاق

* * *

قولوا لهم : اسلافنا كم جاهدوا
حتى لقد ظن الخصوم بانهم
فمتانة الايمان تفعل فعلها
لكننا لما تركنا ديننا
هنا ، واسرائيل حل محلنا

في الصوم ، واستولوا على آفاق
جن ، لياسهم وشد وثاق
ولكم تظن خوارقا لنطاق
هنا ومزقنا عضال شقاق
في موطن الاسرا ، مكان براق

* * *

رمضان شهر الله في ايماننا
من لم يظهره الصيام ، فلم يكن
رمضان ذكرى كل ناس دينه
وانسف به تلك الخطيئات التي
واعمل بصف المومنين مؤيدا

يمضى سريعا والذنوب تواقى ؟
لحلول هذا الشهر بالتواق
فاذكر به فضل العزيز الباقي
قد خلفتك ، وجد في استلحاق
لتسوقك الاعمال حسن مساق

للشاعر أبي بكر الماتوني

* بنتي *

لا تنتهي ، ومدامة لا تنضب
شاهدت من كبد تجيء وتذهب
ما تبغني واحار في ما تطلب
فلو انها طلبت وعمر المطلب
دنيا المصائب مثل ان يبكي الاب
تسبي بها قلبي الكئيب وتسلب
تلهو بما اخلو اليه وتلعب
ومططت من شفتي ، تروغ وتهرب
فاجيء افتعل الخطى واقطب
قفزت الى ظهري الموطأ تركب
ان امتطائي حقها المتكسب
بعميون مبهوت يحار ويعجب
يخلو به طعم الحياة ويعذب

هي فرحة لا تنقضي ، ومسرة
بنتي ، وما بنتي سوى كبدي ، فهل
انثى - على قصر السنين - احار في
ولعل عجمتها وقاء تصدعي
لبكيت عجزي والهوان ، وليس في
قد الهمت قبل الكلام انوثة
اخلو الى كتبي فتأتي طفلتني
فاذا رضيت من الكتاب بقبلة
ويقال : لقتها احترامك طفلة
فاذا انحنيت على الحذاء افكه
وبهز مهجتي اعتقاد صغيرتي
ترنو الي اذا حظرت ركوبها
هي بسمة البيت العبوس وسكر

* * *

لفح اللظى ولسانه المتلهب
فتردها وكأنما هي سبب
مما عرقت وما امامي غيب
لم يحتمل قسو الحقائق يكذب
تكبو المطي اذا تكد وتتعب
تكبو وانثى في سرير ينصب
فظ السياقة يستحث فيضرب

تبهت من نومي على فكر لها
تأتي على زهر الرجاء بمهجتي
اين الخلاص ؟ فما ورائي موحل
هذا السرير غلالة ، والمرء ان
انثى كبوت من المتاعب مثلما
لا فرق الا انها فوق الثرى
وغدا اتابع رحلتني في موكب

فيه ، اطيّر عن رؤاي وارعب
برق الاماني يتدق ويشحب

فاذا ونيت وداعبت جفني الرؤى
كبرت همومي في الحياة ولم يزل

* * *

الا همودا في المشاهد يكرب
عشا يميل ولا ذبابا ينحب
شجن يذوب مع الضياء ويفرب
فوق الوسادة برعم يتقرب
ينعي علي تضعفي ويؤنب
وسط الحنان فراشة تتوئب
مما ترى اثر ومما تطرب
ويثغرها من كل خمر مشرب
وتذود عنها بسمة لا تغلب
من تحته ينساب بحر مذهب

واقوم افتتح النوافد لا ارى
مت ان اردت من الشقاء فلن ترى
واروح الشمس الضياء لعله
فيلوح لي وجه ابنتي وكأنه
متهللا في صمته متكلمنا
وسنى يناغيها الملاك وتمتطي
ترتاد افاقا وفي قسماتها
في وجهها من كل فن اية
تحمي حماها هالة لا تعدي
حورية في زورق من فضة

* * *

اشقى ، ولا اعنى ، ولا اتعذب
يوما ، ولم يفتر هذا الكوكب

باللنى - بالجلالة - كيف لا
نولا عتائي لم يلح هذا الننى



ثلاث قصائد

ترجمها عن الفرنسية
للمستأف
محمد بن ادة

كان القدماء يصفون الترجمة بالخيانة ، لأنها تشموه الاسلوب ، وتضعف قوة المعاني ، وتشمل سحر الالفاظ .. ولعل هذا الحكم اكثر صحة بالنسبة للشعر الذي يكون وحدة متماسكة بين اشكال التعمير ، وموجيات الصور .. ورغم ذلك ، فاز الشعر بنصيب وافر من الترجمات في كل اللغات ، لانه دعامة اساسية في الثروات الجمالية الانسانية .

واتا لا ادعي في ترجمتي لهذه المقطوعات الثلاث - انني اضيف عليها حلة شعرية تضاهي تلك التي كتبت بها ، ولكن شفيعي في هذا الترجمة انني اعتمد على ما تتضمنه من صور رائعة - رغم بساطتها - ، فهي وحدها قادرة على التسلل الى نفس القارئ لتنتقل اليه خالجات الصدق التي نفتها هؤلاء الشعراء « الشعاعرون »

الآخِر

للشاعر الكويتي
روبرتو فيرنانديس

نحن الذين قدر لنا ان نعيش بعد الآخرين ،
لمن ندين بالحياة ؟
من ذا الذي هلك بدلا مني في غياهب السجون ؟
ومن تلقى رصاصتي ،
الرصاصات التي وجهت الي ، تلقاها في قلبه ؟
وعلى جثة اي ميت احيا انا ؟
ذاك الذي ستظل عظامه ملتحمة بعظامي ،
وعيناه المتزوعتان من محجريهما
ستظلان تبصران من خلال عيني ،
واليد التي لم تعد يده
وليست يدا لي وحدي ،
هل يمكنها ان تخط كلمات موزونة
دون ان تجعله يحيا من خلالها ؟

نوارات الصبار تهازل الشمس
وولد صغير منكب على منحني الطريق
مسبلا جفنيه
لان وهج الشمس محرق .
كانت الدموع تترقرق في مآقيه
وهو يحدج التراب ،
المتطاير بين قدميه العاريتين ،
وجلبابه المهترىء
يقضم ساقيه ..
جلبابه المخرق الذي ينجذب الذباب اليه
من كل الثقوب ..

نوارات الصبار تهازل الشمس ،
والسماء طاس ازرق كبير
مدلي من فوق ،
وفي « الواد » الاجرد
كانت اوراق الدفلى
تثنى تحت ثقل الغبار

وهناك بعيدا
على حافة الطريق . .
كان عربي صغير يرسم
- لانه لا يعرف الكتابة -
كان يرسم ،
صورة لبندقية كبيرة
اردت اباه قتيلا .

الى اللقاء للشاعر الروسي سيرج إيسينين

سيرج إيسينين (Serge Essenine) ، شاعر روسي في طليعة الشعراء الثوريين الذين وقفوا انتاجهم على تصوير مآسي روسيا القيصرية ، وتطعيم الوعي الشعبي بدماء جديدة وقد وضع لحياته نهاية مأساوية عندما انتحر سنة 1925 لكنه قبل أن يلفظ أنفاسه ، لم ينس أن يعزف نغمات مشرقة تفتح ابواب الامل ، فكتب هذه المقطوعة التالية ، كتبها بدمه : (1)

الى اللقاء يا عزيزي ، الى اللقاء
يا صديقي اني اضمك بين جوانحي
اننا نفترق ، ولكن املا في نفسي الآن ،
يرسم صورة جميلة للقائنا

* * *

لتبدا المسير دون ان تتلفظ بكلمات
ودون ان تضغط على يدي ..
لتبدا المسير ..
وجبهتك الناصعة لا تفقدها اشراقها باكتئابك
اذ ما جدوى الاكتئاب ؟
حقا نحن لا نتطلع الى اكثر من الحياة
اما الموت - موتنا - فليس بجديد .

(1) انظر كتاب L'Anthologie de la poésie russe du XVIII^e siècle à nos jours - Gallimard.

محمد زكريا
للاستاذ

التي على الملقوم

كان ذلك في أيام « السيبة » قبل مجيء الفرنسيين الى هذه البلاد بعدة سنوات .

وبدا أهل القصبه ، المعلقة في حوض الجبل ، يسمعون تصاهل الخيول ووقع حوافرها على الأرض المكسوة بالجليد ، وأخيرا ، ظهرت جموع الفرسان امام باب القصبه يتقدمهم القائد علال ، وكلهم ملتحفون في برانيهم الصوفية ، متقلدون للبنادق الطويلة والخناجر الفضية اللماعة ، ولا يرى من تحت عمائمهم الكثيفة الا احداق ذات نظرات مخيفة .

اما القائد علال ، فكان يتميز عن الكل بقامته المديدة وبهيئته وطلعته المهيبة ، وكان يحدق فيمن حواليه بعينين يتطاير منهما الشرر ويعلوهما حاجبان كثيفان كبيران قد اختلط فيها الشعر الاسود بالابيض

* * *

وتقدم السيوخ والكيول يسلمون عليه ، بينما الدفوف تضرب والمزامير ترقص الهواء ، والرجال والنساء يتجاوبون في حوار غنائي تساري الايقاع ، ودخل القائد علال الى القصبه وتبعه الفرسان ، ثم جاء من بعدهم الجرحى وهم محمولون على ظهر البغال ، وأخيرا الاسرى والسبايا والمغانم والاسلاب والاخراج الكبيرة المملوءة برؤوس الاعداء التي قطعت اثناء المعارك والتي ستعرض على القبيلة في حفلة كبيرة تلعب فيها الفرسان ويطلق الرصاص .

دخل القائد علال الى داره ودخل معه اصحابه الذين رافقوه في غزوته ، وكذلك اعيان القصبه ، فملأوا صحن الدار التي هي في الواقع قصر عظيم ، شاهق البنيان يحتل اكثر من نصف القصبه .

البرد قارس والثلوج تتساقط باستمرار على قمم الجبال الشاهقة وفي منحدراته ، وفي الوادي حيث تجمعت القرية كلها حول دار القائد علال يخيم ظلام دامس وسكون رهيب لا يقطعه من حين لآخر الا نباح الكلاب وصفير الرياح العاتية ولا يسمع اي صوت للبشر ، رغم كون القصبه أهلة بالسكان .

وفي هذا الفضاء القائم ، دوت بغثة بين منحرجات الاطلس الكبير طلقة نارية قوية ، وكان دويها يندد بانها انطلقت من بنادق عديدة ، وفي الحين ، انقلبت القصبه الهادئة الصامتة الى سوق حامي الرواج وخرج النساء في زيتتهن ، وخرج الاطفال وملأوا الممرات التي سير منها القائد علال الى داره ، واحتل اصحاب الدفوف والمزامير مراكزهم العادية وعمت الزغاريد والافراج ، وانطلقت الالسنه من عقابها

وكان من عادة القائد علال ، وهو من زعماء « السيبة » في الاطلس الكبير ، ان يعلن عن رجوعه ، كلما عاد من غارة على الاعداء والمخالفين ، بواسطة طلقة نارية قوية يشارك فيها كل اصحاب البنادق ويتردد صداها في السوادي بين النجود والوهاد ، فيخرج النساء مع اطفالهن في زغاريد متتالية وهن فرحات بعودة ازواجهن ، وخائفات في عان واحد من سماع خبر موتهم او فقدانهم ، ولكنهن على كل حال مستعدات لينقلبن في الحين من الغناء الى البكاء ومن الفرح الى الحزن .

وانتهى النساء من غنائهن وزغاريدهن ، وكان الخدم مصطفين امام القائد علال ينتظرون منه ادنى اشارة وتفرس القائد في وجوه الحاضرين على ضوء الشموع والقناديل الزيتية وقال لهم :

« رجعت اليكم ، والحمد لله ، منتصرين ، لقد غلبنا العدو في كل قتال نشب بيننا وطاردناه في الوديان والجبال ، وقتلنا منهم عددا كبيرا ، وقد اخذنا معنا اكثر من سبعين راسا سترونها غدا في حفلة « البارود » وما اتأسف الا على الذين لم يحضروا معنا في هذه الغزوة ، اما نحن فلم نفقد من جانبنا الا عشرة رجال ، رحمهم الله رحمته الواسعة ، وان ابناهم سيصبحون ابنائى ونساءهم سيكونون تحت حمايتى ورعايتى .. والآن اطلب منكم ، يا اخوتى ويا ابناى عشيرتى ان تبقوا كلكم عندي حتى تتناولوا العشاء » .

ثم التفت الى الخدم ونظر اليهم نظرة السيد وقال : « هيا ، قدموا للناس الطعام » .

وتفرق الحاضرون في الحجرات الفسيحة حيث نصبت لهم فيما بعد القصاص الكبيرة المملوءة بالطعام بينما دخل القائد علال الى بيت نسائه ، حيث كانت تنتظره حفلة اخرى هي احب الى نفسه واشهى .

* * *

فقد اعتاد ، كلما عاد من غزوة ، ان يدخل باحدى الكواعب الابكار المختارة من بين بنات القبيلة الموصوفة بالجمال والاصالة ، وقد حرص في المرة الاخيرة ان يختار هو بنفسه الفتاة التي ستزف اليه ليلة رجوعه من مغامراته الحربية .

وبالفعل ، فما اقبل على صحن البيت حتى وجد نساء الكثيرات مصطفات وبأيديهن الدفوف والدرايك وهن في ايقاع حار ملتهب يرددن اهازيج الترحيب والفرح ، واخترق صفوفهن سامخ الانف واتجه نحو القبلة ، وتبعته امرأة بدا يطفو على وجهها ماء الكهولة ، ودخلت معه الى القبلة ، وما ان استوى به المجلس حتى انحنت عليه لتقبل يديه ، ف اشار اليها بالجلوس وقال :

كل شيء مهيبا ، يا فاطمة ؟

- نعم ، سيدي ، كل شيء مهيبا .. ولعلك ، محتاج الى تناول شيء من الطعام اولاً ؟

- لا .. هاتي البنت .. والطعام معا
- حالا ، سيدي

ولكنها ما وقفت حتى تذكرت شيئاً مهيباً ، وقالت : « ولكن ، يا سيدي ، لا بد ان تعلم ان .. . فقاطعها مفضبا : قصي علي الامر فيما بعد .. هل فهمت ؟

وخرجت المرأة وهي لا تكاد تصدق بخروجها سالمة من بين يديه ، وغابت برهة وجيزة وعادت وبجانبيها الفتاة العروس وهي ممسكة بيدها وخلفهما الخدم يحملون اطباق الطعام والنساء خارج القبلة مسترسلات في الاهازيج والاعاريد والتراجع .

وضع الخدم الاطباق في احد ابهاء القبلة ، ثم خرجوا سراعا ، وعند ذلك اقتربت فاطمة وبجنبها الفتاة وهي تشجعها وتقول لها : « افرحي ، يا يزة واسعدي ، ان القائد سيحبك اكثر منا جميعا ، وستكونى آتيرة عنده ، عزيزة لديه .. ابسمي واضحكي ، فالقائد يحب في المرأة ان تكون طروبا لعويا ضحوكا .. وجميلة بالطبع ، واذا كانت كذلك ، فانه يعطيها كل ما تتمناه .

وكان القائد ينظر الى عروسه نظرة جدية ليس فيها ابتسام ، ولكنها نظرة فيها كثير من الرضى والارتياح ، نعم ، ان العروس اجمل مما كان يتصور ، ولكنها صغيرة لا تعرف ما يراد بها ، يدل على ذلك ارتعاشها وقفزان صدرها .

وما هو الا ان قام القائد اليها وامسكها من ذراعيها واجلسها الى جنبه ، وانسلت فاطمة وخرجت الى النساء تأمرهن بهز « عمارة » جديدة بالدفوف و « التعاريج » .

وهكذا ، دخل القائد علال بعروسه الجديدة وسط الاناشيد والزغاريد وبين اهليه وذويه ونسائه ووسط اعيان القبيلة ووجهائها .

* * *

وبعد ساعة خرج من القبلة وتوجه الى الحمام واغتسل ودخل الى حجرة بجنب الحمام يستريح

انصتي ، اني سأمر بقتله الآن ، والذي اطلبه منك هو ان تقولي ليزة اني اطلقت سراحه وامرته بالخروج من القبيلة والابتعاد عن الاطلس بالمره .

وسكتت فاطمة ، وسكت القائد غلال برهة من الزمان ، وتفردت فاطمة في وجه زوجها وكانت اعرف الناس به ، وقرات في ملامحه انه هذه المرة لم يعد راضيا ، مرتاحا من غزوته ، فلم تتمالك ان بادرته قائلة :

- والله ، يا سيدي ، انك لم تعد مسرورا فرحان من رحلتك .

- ومن قال لك هذا ؟

- هذا ظاهر على وجهك .

- ذلك لاني لم اقتل ما يكفي من الاعداء .

فاجابته متعجبة : وهذه الاخراج الملاي بالرؤوس المقطوعة ، وهذا العدد الضخم من الاسارى والسبايا؟ اليس ذلك كافيا ؟

فارتعش شاربايه ، وقال لها وقد التقى حاجباه وتقطب جبينه : والله لو قتلت كل هذه القبائل المجاورة ، ما كان ذلك يشفي غليلي ، وما دام القائد ابراهيم حيا برزق ، فلن يطيب لي منام .

- ومن هو القائد ابراهيم ، يا سيدي ، حتى تمنا به وتحسب له كل هذا الحساب ؟

- انه نذل ، خسيس ، لثيم ، ولكنه ما دام معتصما برؤوس الجبال ، وما دام يسبني وينتهك حرمتي وانا لا اعرف الراحة ولا يهدا لي بال .. لقد دانت لي كل القبائل المجاورة ، واصبح كل القواد من اقصى سوس الى بلاد الحوز يخطبون مودتي ويهابونني ، ولم يبق الا ابراهيم ذلك الوغد السافل .. ولا بد لي من راسه ، طال الزمان ام قصر .

- مع مثل هذا الرجل لا تنفع الا الحيلة .

- واي حيلة ؟

- لا بد ان توجد حيلة تقضي عليه ، وقد قيل قديما : رب حيلة انفع من قبيلة ..

فيها ، وصلى ما فاته من اوقات ، وعند ذلك دخلت عليه فاطمة وهي من اولى زوجاته واذكى نسائه وتفردت في وجهه خفية وفهمت انه قلق من شيء ، فقالت : انك ، يا سيدي ، متعب ، وفي حاجة الى شيء من النوم والراحة ..

- لا ، لا ..

او لعل ، سيدي ، غير راض عن عروسه وانكر منها شيئا ؟

- لا ، لا ، بالعكس .. ايه ، يا فاطمة ، الآن ، اعيدني على قصتك .

- كنت اريد ان اخبرك ان يزة لما ذهب اصحابك لياتوا بها واخرجوها من بيتها ، تعرض لهم ابن عمها في الطريق ومعه صاحبان له ، واوقفهم ، وامرهم بان يتخلوا عن البنت لانه خطبها من عمه ووعدده بها ، وطلب منه اصحابه ان يتركهم وشأنهم ويفسح لهم الطريق ، فلم يقبل ، ونشب بين الفريقين جدال انقلب الى قتال ، وقد وقع ابن عم يزة في الاسر ، وهو الآن سجين في المظمورة التي بجانب الدار ، وكنت اريد ان اشير عليك باطلاق سراحه حتى تكون يزة منشرحة النفس طيبة خاطر ، وقد حدثتني هي نفسها في الموضوع واستعطفتني .

وسكت القائد برهة ثم قال وعلى وجهه امارات الاحتقار والغضب : « قبحك الله ، يا نساء ، فما اوهى عزائمكن واضعف قلوبكن وايمانكن .. والله ، لولا اني مصاب بداء الحلم لقطعتم راسك ورأسها ، وجعلتكما عبرة لنساء القبيلة ، ولكن ، انذريها انها ان عادت الى الخوض في هذا الموضوع ، فانها لن تأمن غائلتي ..

اما ابن عمها ، فقد ساقته الاقدار الى الموت .

وبهتت وجحظت عينها لما سمعت ذكر هذه الكلمة ، ولم تتمالك ان صاحت : الموت ! الموت ! الله ! الله !

- نعم ، نعم ، الموت .. انني احارب الاعداء خارج القبيلة ، ولا اريد ان يكون لي اعداء في داخلها ..

وسكنت برهة ، ثم قالت بقوة وحماس : واذا
دلتك على حيلة ناجعة ، ماذا يكون جزائي ؟

- اطلبي ما تريدن ..

- انا لا اطلب منك شيئا لنفسي ، لا مال ولا
حلي .. وكل ما ارجوه هو ان تطلق سراح ذلك الشاب
ابن عم « يزة » .

فنظر اليها متعجبا وقال : انك لمشغولة القلب
بهذا الشاب ، هل هو من اقاربك ؟

- لا ، ولكن ، يا سيدي ، ليس له ذنب الا كونه
يحب ابنة عمه .

ونظر اليها القائد نظرة ملؤها الفطرسة وقال :
انا ليس من عادتي ان اسامح واصفح .. ولكن في هذه
المرّة ، ساحاول ، على شرط ان تكون حيلتك ناجحة ،
فاذا ما قبضت على القائد ابراهيم واتيت به مكبلا ،
مسلسلا ، فسأطلق سراح ذلك الشاب الجريء ، والا
فلن يكون حظّه الا الموت ، هل فهمت ، هل فهمت ؟

- نعم ، سيدي

- والان ، ما هي حيلتك ؟ اشيري علي بها وعجلي
- ان اذنت لي ، يا سيدي ، ان اخرج لاتصل
بأخي فان له دورا مهما يقوم به في هذه المسألة ، ثم
اعود لابسن لك ما استقر عليه رأينا .

- تخبئين علي ، يا ملعونة ! قومي لعنك الله ،
ولك اجل الى غد عند اذان الظهر ، فاذا لم تعطيني
جوابا ، فانا في حل من قتل الشاب ، والان قول لي
ان تأتي حالا عندي .

* * *

وفي الفد ، عند الضحى ، دخلت فاطمة على
القائد ومعها اخوها عسو المدعو « القنفذ » لكثرة ما
ينكمش في جلسته وهيئته ، وكان القنفذ احد ادباء
الاطلس الشعبيين ، شاعرا ، مضحكا ، ماجنا ، منشدا ،
ومفنيا يتجول بين القبائل ويجلس
مع القواد والكبراء في خلواتهم ، مقبولا

لدى الجميع لنكتته وخفة روحه ، والى جانب هذا ،
كان رؤساء الاطلس يستشيرونه في المسائل الجدية ،
فيجدون لديه الراي السديد والفكرة الثاقبة

واستقبله القائد بشوشا : على سلامتك ، يا
قنفذ ، ما بالك لم تحضر البارحة ؟

وحدق فيه القنفذ بعينين ساخرتين : وهيل
بحثت عني ؟ وهل انا امرأة جميلة حتى اتقدم اليك
ليلة عودتك ؟

- قاتلك الله ، انت لا تعرف الا الضحك والمزاح ،
ولا يعرف الهم الى صدرك طريقا .

- وماذا يفعل الهم برجل مسكين مثلي ، هو لا
يحب الا مرافقة الكبراء .

وظلوا في حديث ومداعبة الى ان قال القائد :
لعل فاطمة تحدثت اليك فيما يشغل بالي ؟

- نعم ، واذا عملت بمشورتي فستنتهي المشكلة .

- وما هي مشورتك ؟

- الراي الذي ساشير عليك به سيجعل القائد
ابراهيم في قبضتك ، وسيترك لك الخيار بين ان تقتله
او ان تتخذ منه صديقا ، والراي عندي هو ان تتخذ
منه صديقا .

- ولماذا ؟

- لان القائد ابراهيم يستحق ذلك ، انت لا تعرفه ،
اما انا ، فلي معه صحبة قديمة تتجاوز العشرين سنة ،
واذا انصت لي واسكت العدواة في قلبك ، فسأتكلم
لك عنه بكل انصاف وحق ، انه رجل شهم ، شريف
وهو احسن من كل هؤلاء القواد الذين يحيطون بك ،
لانه ليس بالمنافق ولا بالقدار ، وكلمته كلمة الرجال ،
واذا ما رايتك استمر في حربك ، فلانه لا يرضى ان يخضع
للقوة ، ولو اظهرت له الاستعداد للصلح والصدقة
وظهر له منك العزم الصادق ، فانه يمد اليك يده
ويعتمد عليك ، هذا هو القائد ابراهيم .

- والان ، ما هي خطتك ؟

- خطئي هي ان تزوجه احدى بناتك واذا ما تم ذلك نشأت بينكما الثقة ، واذا ما قدم عندك ، فلك ان تفعل به ما تشاء .

فاجابه القائد مستنكرا : هرمت يا قنفذ وخرف عقلك ولم يبق لك رأي .

- ولماذا ؟

- لانك تقترح علي ان ازوج احدى بناتي من السد عدو لي .. واذا امسك بنتي عنده واستمر في محاربتني ورفض ان يقدم عندي كما تقول ، فاي وجه سيبقى لي ، وكيف تكون حالي امام الناس ؟

- انا اعرف القائد ابراهيم واعرف طبعه ، وعلى كل حال ، اذا وقع شيء ، مما تخاف ، فدونك راسي فاقطعه .

- ومن سيدبر هذه الخطة ؟

- ما عليك الا ان تكل الى الامر ، حتى آتي اليك لاطلب بنتك نيابة عن القائد ابراهيم ، وكل ما تهتم به الآن هو ان تزودني بما يكفي من المال والزاد وان لا تكون في ذلك مقصرا مقترا .

وفكر القائد مليا ثم رفع راسه وقال بصوت قوي ، صوت الذي اتخذ قرارا حاسما : طيب ، اني اقبل ان امشي معك في هذه التجربة ، فان نجحت ، اطلقت سراح ذلك الشاب وجازيتك بجائزة اترك لك اختيارها ، وان فشلت قتلتك وقتلت فاطمة اختك والشاب ايضا ، ففكر قبل ان تجازف بنفسك ، واذا قبلت هذه الشروط جهزتك بالمال وبما يلزم لتذهب حيث ترمي شبكتك .

- ايها القائد ، لست في حاجة الى شبكة ، وانما الى صنارة ، لاننا لا غرض لنا الا بسمكة واحدة ، اما شروطك ، فقد قبلتها ، ولا احتاج معها الى رويبة وتفكير .

وهنا نظمت فاطمة التي ظلت صامتة الى تلك اللحظة : لعل سيدي يقبل الآن ان يخرج ذلك الشاب من المظمورة ويضعه تحت الحراسة في احدى الحجرات .

فنظر اليها شزرا وقال لها بصوت مغضب ، ذلك امر موكول الي ، وتيقني اني لست فظا غليظ القلب .

فابتدره عسو : هل افهم من هذا انه اذا قدم عليك القائد ابراهيم ليصطالح معك ، فستمحو من قلبك كل ضغن وستستقبله كصديق ؟

- هذه مسألة اخرى نتركها للزمان هو الذي يفصل في شأنها .

وبعد ما اتفق عسو مع القائد على ترتيبات السفر ولوازمه وجهزه بكل ما يحتاجه لمهمته ، خرج من القسبة وانصرف على بقله يخترق نجود الاطلس ووديانه ، متجها نحو احد المرتفعات حيث يربض القائد ابراهيم وسط عشيرته .

* * *

جلس القائد ابراهيم وحوله جماعة القبيلة ، الساعة ساعة الحكم وفض النزاعات ، يتقدم المتحاكمون اليه وهو يفصل في قضاياهم بسرعة ، واعضاء الجماعة لا ينسبون بنت شفة ، ذلك ان القائد ابراهيم كان في نفس الحين قاضيا موفقا موهوبا يهتدي بسرعة الى الاحكام التي تسوي بها القضايا الشائكة ، هذا مع كامل النزاهة والتجرد .

والواقع انه ما كان احد ، سواء من اعيان القبيلة او غيرهم ، يستطيع ان يجروا على القائد ابراهيم لانه يفوق الجميع بدمائة اخلاقه وشجاعته ورجولته وتواضعه واثاره وكرمه واحسانه ، وقد بلغ من السخاء مع الضعاف والمحتاجين انه صار في الآخر لا يملك اي ثروة شخصية ، الى جانب هذا فقد كان شابا بهي الظلمة مهيب السمات .

وكان اخر من تقدم اليه في ذلك اليوم للتحاكم شخص محدودب الظهر ، معتم بعمامة غريبة ، ملثم ، اقترب منه وهو يتكئ على عضاه وقال له : لقد بقيت انا الآخر ، ايها القائد ، لان لي شكاية طويلة .

فنظر اليه القائد متعجبا وقال : ومن هو خصمك ؟
- خصمي ؟ .. انك اعرف الناس به .. واخشى ان لا تاخذ لي منه حقي .

فحذق فيه القائد متعجبا وقال : قل لي من هو وسافر جك عليه .

— اذا كنت تتعهد لي بذلك ، فانا اقول لك من هو . . خصمي ايها القائد هو انت . . فهل تستطيع ان تنصفتني من نفسك ؟

واندهش الحاضرون وازداد تعجب القائد وقال له بقوة : انك تهمني ايها الشيخ دون ان تعرفني بنفسك ، والآن سنتحاكم الى الجماعة ، فاذا تبين انك تظلمني فماذا سيكون جزاؤك ؟

وما اتم القائد ابراهيم كلامه حتى انطلق الشيخ بضحكة عالية مدوية وازاح اللثام عن وجهه وكم كانت دهشة الحاضرين عندما عرفوا في وجه الرجل « القنفذ » احد شعراء الاطلس المعدودين واحسد ظرفائه ومضحكيه .

وضحك الجميع وقام اليه القائد فعانقه واجلسه الى جانبه ، والتفت القائد الى اعضاء الجماعة وقال لهم : ايها الاحباء ، انتم ضيوفي في هذا النهار ما دام الشيخ عسو جاء ليزورنا وبسمعنا من شعره ونوادره .

وذبحت الاكباش ونصبت الموائد ، وكان يوم كله ضحك ولهو وقصف وعزف ، وكلما انتهى الشيخ عسو من لون انتقل الى غيره ، مما جعل الحاضرين كلهم ينسون اهلهم وذويهم وينسون كذلك هموم الحياة ومتاعها ويمرحون في جو كله سرور وسحر وسلو . وغرور .

وظل القنفذ في ضيافة القائد اسابيع وهو في ارغد عيش واطيب مقام الى ان اغتمت خلوة مع مضيغه ففاته قائلنا : بعد هذه المدة التي قضيتها عندك في احسن ضيافة ، لا اخفيك ايها الاخ تعجبي من شيء لا يفارق بالي ، والآن ولم يبق لسي الا ان اودعك ، لست اري بدا من التحدث اليك في ذلك بكل صراحة حتى يطمئن قلبي .

— وما الذي يثير في ان واحد تعجبك وتالمك قل لي بكل صراحة ، فانا احب ان اسمع الحقيقة .

— الذي يثير تعجبي هو عداوتك مع القائد علال .

— ولمسه ؟

— لاني اعرف كل واحد منكمما حق المعرفة ، فكلاكما راشد عاقل ، والعاقل لا يقبل ان يصير عدوا الا لاسباب معقولة ، وانتما اي شيء بينكما ؟ حقا لقد كان ابواكما متعاديين ، ولكن عداوة الاباء قد تنقلب الى صلح وصداقة بين الابناء .

فاجابه القائد بهدوء وصرامة : لا تحدثني عن صهرك القائد علال ، فكلما تذكرت اسمه تذكرت مصائبه واسودت الدنيا في عيني .

فضحك عسو وقال : سبحان الله ، انتما تتشابهان حتى في طبيعكما ، فهو كذلك يقول نفس الشيء عندما يذكر له اسمك ، ولكن ، في الايام الاخيرة ، شعرت انه يتضايق من هذه العداوة ويحمل هما كثيرا بسببها الا ان انفته تأبى عليه ان يصرح بشيء

— انصت ، يا عسو ، ان كان القائد علال وجهك الي رسولا من عنده ، فتفضل وابلغني الرسالة ، والا فلنترك الحديث في هذا الموضوع .

— عجبنا لكم ايها القواد ، انتم لا تعترفون الا ببعضكم ، فمن جاءكم رسولا من عند قائد مثلكم تنصتون اليه ، واذا جاءكم احد ليدافع عن ضعفاء ومظلومين تغلقون اذانكم وتسدون في وجهه الابواب ، لست انا ايها القائد ابراهيم ، رسولا من عند القائد علال ، واذا اراد القائد علال ان يوجه اليك رسولا ، فلن يختار شيخا خرفا مثلي ، وانما انا ، في الواقع ، رسول للثكلى والارامل واليتامى الذين فقدوا الابناء والازواج والاباء في هذه الحروب التي تشعلون نارها انتم معشر الكبراء ، اما ترفقون بهم وتنهون الخصومة فيما بينكم ؟

— هل فكرت في ما تقول ، يا عسو ؟ من المسؤول عن هذه الخصومة ؟ ومن بداها ؟ ومن استمر فيها ؟

— كل هذه مسائل الحق فيها بجانبك ، ولكن ، هل من الصواب البقاء على حال كهذه ؟ اليس من الممكن اطفاء نار الحرب بطريقة تحفظ لكل من الخصمين شرفه وكرامته ؟

- انصت ، يا عسو ، كلمة اخيرة ، اذا كان صاحبك يرغب في الصلح ، فانا لا اقول له : لا ، وانما يجب ان يكون رجلا معي

- اني متيقن انه في قرارة نفسه يرغب في الصلح ، ولا يحول دون هذا الصلح الا حاجز العناد من الجهتين ، واذا اذنت لي وتركت نسيم الخير والسلام يهب على نفسك ، فافكر بما بقي لي من عقل ضعيف في اشرف طريق للوصول الى صلح الاخوة وتطهير النفوس من الضغن وادران العداوة .

- كل هذا حسن ، ولكن ، انا لا استطيع ان امد يدي انا الاول ، فلست الباديء بالشر ، وعلى كل ، فليعلم صهرك انه اذا اراد الاستمرار في الحرب ، فانا مستعد لها ، واذا جنح الى السلم ، فانا رهين اشارته .

وتهلل وجه عسو وانطلقت في تجاعيده ابتسامته تدل على رضى وارتياح ، وقال بلهجة المرحه : الحمد لله .. الحمد لله .. ان اجري عند ربي يكون عظيماء ، فقد ساعدتني الاقدار على حقن الدماء واصلاح ذات البين .. والله لقد انشرح نفسي حينما تحققت ان كل واحد منكما له رغبة اكيدة في الصلح ورجائي الى الله ان يتم الامر بينكما على احسن حال ويستحکم التقارب حتى ننسىنا الايام المقبلة ما مر من ساعات النحس والنكد ...

قال ذلك بلهجة الاولياء الصالحين وبصوت فيه رقة وحنان ، ولم يتمالك ان تلالا في عينيه دمعتان عند ذكره لساعات « النحس والنكد » ، وسكت لحظة ثم قال : والآن ، ايها القائد المغوار ، اذا اذنت لي ، فقبل ان اودعك غدا ، سنجدد الكلام في هذا الشأن حتى نصل الى الغاية المنشودة .

- انصت ، يا عسو ، انا لا اريد ان اسمع منك كلمة الوداع ، وسيؤلمنا ان تفارقنا هكذا بهذه السرعة ، فاجلس ، معنا فان لنا رغبة اكيدة في انسك وحديثك ، اما ما ذكرت ، فسيأتي باجله .

* * *

وقضى عسو اياما اخرى مع القائد ابراهيم ، ثم جاء ليودعه واعاد الكرة من جديد ، مرغبا اياه في

الصلح عارضا خدمته ووساطته ، وصادف من القائد ابراهيم نفسا كريمة وقلبا صفوحا لا يعرف الضغن اليه سبيلا ، حيث سمع منه هذا الكلام : اذا وجدت طريقا لاصلاح ذات البين فانا مستعد لقبولها لا اشترط عليك الا شرطا واحدا ، هو ان يتجنب القائد علال كل اعتداء على اراضينا واولاد قبيلتنا ويحترم حريتنا .

فنظر اليه عسو مبتسما ابتسامته العريضة وقال له : ضع يدك يا قائد ابراهيم في يدي ، وتوكل على الله وعلى صحبتي ، لقد وجدت الطريق ، وما اوسعها واحسنها واسهلها من طريق ، هل عرفتها ؟
- لا ، والله .

- لقد فكرت وفكرت في الامر وتبين لي ان احسن طريقة لانهاء العداوة هو ان تصبح صهرا للقائد
- هذا امر صعب ، بعد كل ما مر من الاحداث .

- والله ما هو بصعب ولا شاق ، واذا لانت القلوب من الجانبين فاحسن ما يؤلف بينها هو علاقة الزواج ورباط المصاهرة ، وعلى كل حال ، فانتم الامر موكل الي ، مادمت قد قبلت ان اكون واسطة خير ، وازيدك ايها القائد ان المسألة لها جانب مفر ، خصوصا بالنسبة للشباب امثالك ، انت لا تصرف عائشة بنت القائد علال ، عائشة وما ادراك ما عائشة ! صدقتي ، والله لو رايتها في جمالها وطول قامتها ورياضها لصحت من غير شعور ورميت بعمامتك ونسيت نفسك والزمان وبقيت تنظر اليها بدون انقطاع ، كل هذا مع العقل والعرض والاخلاق وحلاوة الطبع وخفة الروح ، والله ، يا قائد ابراهيم ، ما نلت من الدنيا شيئا ان لم تتزوج عائشة بنت القائد علال .

فاجابه القائد ابراهيم بدون تفكير : انا لا اطلب كل هذا ، ويكفيني العرض والعقل ، قاتلك الله من شاعر ، انت لا تكون مسرورا حتى ترى صاحبك مستسلما امام بلاغتك .. ومعنى هذا انني لا اري من جانبي اي مانع من المصاهرة مع القائد علال اذا كان يرغب في صلح حقيقي .

ووضع القنفذ يده في يد القائد وصافحه بحرارة وايمان ، مفيما اياه انه متفق معه على كل شيء ، وتعانق

وفي ذات يوم جاءت المناسبة ليزور صهره ،
فقد وجه القائد علال يطلب بنته عائشة ان تزوره هي
واولادها وينزلوا في ضيافته اباما .

وفهم القائد ابراهيم ان الفرصة سنحت ليتلاقى
مع صهره فوجه اليه يخبره بقدومه ، وتهيأ للسفر في
جماعة صغيرة من اصحابه وساروا ومعهم زوجة
واولاده في منحدرات الجبال يتنقلون بين الوديان
والهضاب الى ان اشرفوا على قسبة القائد علال
والمؤذن ينادي لصلاة العصر .

وكان القائد علال في تلك الاثناء جالسا في
دهليز بيته مع شيخ يظهر من سحنته وهيئته انه
تاجر اتي من احدى المدن الحضرية ، وكانا جالسين
على طنفتين من دوم وهما غارقان في حساب طويل ،
الى ان فاجأهما المخزني بدخوله وقال للقائد علال وعلى
وجهه علامات الجد : سيدي لقد وصل القائد ابراهيم
ومعه العيال والاصحاب فلم يفكر القائد علال طويلا ،
وانما قال له :

- العيال يدخلن عند العيال ، والاصحاب
ينزلون في ضيافة الخليفة احمد .

وسكت ، فقال له المخزني : والقائد ابراهيم ؟

فنظر اليه القائد علال بهدوء ووضع اصبعه على
عنقه وامضاهما من الوريد الى الوريد ، مشيرا اليه
بالديح .

خرج المخزني والتفت القائد الى صاحبه التاجر
قائلا « لنعد الى حسابنا » ولكن التاجر كان قد اغشى
عليه ، فنادى القائد على مخزني اآخر وقال له : « رش
الحضري بالماء حتى يستيقظ ، فساعود بعد قليل .

الرجلان للوداع ، وركب القنفذ بغلة مسرجة اهداها
اياها القائد ابراهيم وانصرف قافلا الى بلدته .

* * *

وسارت الامور بسرعة وبسهولة ، عاد عسو
فاخبر القائد علال بنتيجة رحلته ، فارتاح القائد لما
سمع وطلب من عسو ان يعود الى القائد ابراهيم
ليبلغه استعدادده للصلح معه وترويجه من ابنته
عائشة .

وعاد عسو الى القائد ابراهيم في جبله الشامخ
واطلعه على كل ما تم في الامر ، وبعد اسابيع زفت
عائشة بنت القائد علال في موكب من فرسان القبيلة
ورجالها الى القائد ابراهيم وكان عرس وكانت افراح
ولائم تناقلت اخبارها قبائل الاطلس .

ومرت الشهور والاعوام ، ورزق القائد ابراهيم
اولادا من عائشة ، واحبها كما احبته ، ووجد فيها
اكثر مما قاله عسو ووصفه .

ونعم الاطلس بالصلح بين القائد علال والقائد
ابراهيم ، وامنت السابلة ، وتنوسيت الاحقاد ، ولحد
تلك الساعة لم ينزل القائد ابراهيم الى صهره ولم
يزره ، وانما كانت الرسل تتناقل بينهما بدون انقطاع ،
وكانت العلاقات على احسن ما يكون من الود والمحبة ،
ولم يكن ثمة اي حيلة او حذر من جانب القائد
ابراهيم ، وانما اقعده عن زيارة صهره نوع من التعفف
والاحترام ربما كان ناتجا عن ايام العداوة والحرب .



الحياة الثقافية في الوطن العربي

بالعين مؤمنا بالاجحاف ، لاعنا للظروف ، ساخرا من نفسه ومن الحياة ... انها مشكلة ، ومشكلة خطيرة ارجو ان يوفق المغرب في عهد ملكه الشاب الى حلها واصلاح فسادها وتوحيد اطرار الوظيفية العمومية وتسوية الشهادات وتوحيد الترقيات .

اما التعريب فهو مشكل معقد لانه عمل لا يتعلق باعادة تنظيم او اصدار قانون ولكنه عملية تكوين وخلق ، والتكوين يستلزم امكانيات، ويتطلب مجهودات ويستغرق وقتا . وافضل حل له ان تعطى الدروس باللغة القومية طول السنة ، وان يقوم بالتعليم اساتذة مختصون لهم خبرة وتجربة الى جانب الثقافة والكفاءة ، وقبل ذلك لابد من رغبة وشعور يجمع الموظف يقبل على العربية بدافع وطنيته ، وايمانا بقوميته .

وفي الجمهورية العربية المتحدة :

الدين والدنيا رسالة الازهر :

الان اصبحت جامعاتنا الاسلامية وعلى راسها الازهر الشريف تشق الطريق الى التقدم الحقيقي حين اعادت للدراسات الاسلامية شمولها ، وارجعت لجامعاتنا رسالتها الاولى ، رسالة العلم والنور والخلق فاحدثت كلية جديدة لا لتكوين النخبة والقضاء والمفتين والوعاظ فقط ، ولكن لتخرج لنا رجالا قادرين على الحياة مساهمين في بناء حضارة امتهم ، لتخرج لنا المساهمين الاولين الذين لم يلهمهم الدين عن الدنيا ، ولم تفتنهم الدنيا عن الدين ... وحسنا فعل الازهر حين فتح هذه الكلية الجديدة للمعاملات والادارة وجعل الدراسات فيها متنوعة تشمل النواحي الاقتصادية والتجارية والقانونية وقسمها الى شعب متعددة اهمها: الاحصاء ، ادارة الاعمال ، المحاسبة ، الادارة العامة ، وبذلك حقق حلما طالما راود المصلحين ورفع وصمة عن جبين الدراسات الاسلامية في عهدها المتأخرة ، عهد التخلف الفكري والتترك العثماني والغزو الاستعماري

في المغرب العربي : التعريب واجب وطني :

تلك هي الحقيقة التي آمن بها الشعب وتبنتها الحكومة ونفذها صاحب الجلالة المغفور له محمد الخامس حين امر جلالاته بتنظيم دورات خلال كل سنة للموظفين الذين هم وجه الحكومة واداة الدولة ومرآة الاستقلال ، وفعلا فقد تم فتح دورة في السنة الماضية كانت دورة تجريبية ، راي فيها المسؤولون عوامل النقص ، وادركوا اسباب النجاح ، وعملوا على ان تكون هذه الدورة الثانية التي ابتدأت هذا الشهر دورة مثمرة ، وحملة موفقة خصوصا بعد ان قسم المشتركون الى فئتين ، فئة مبتدئة وهي التي يجب ان يعنى بها عناية خاصة لانها احوج الى التعريب ، وفئة متوسطة تستطيع بمجهود قليل ولكنه منظم ومخلص ان تتدارك النقص وتلتحق بالركب ...

والحق ان مشكلة التعريب الاداري من مخلفات الاستعمار الذي عمل جهده على محاربة لغة البلاد ، وهدم كيان الامة العربية في هذا الوطن العربي ... وما اكثر ما خلفه الاستعمار من مشاكل ولكن اعظمها واطورها فيما اعتقد امران اولهما تنظيم الوظيفة العمومية ، وثانيهما تعريب الادارة ومغربتها ، ومن الاسف انه رغم المجهودات التي تبذل لاصلاح الوظيفة العمومية فلا تزال الادارة تسير حسب ما رسمه الاستعمار وخططه الفنيون المغرضون ، مما جعل الوظيفة لا تعتمد على اساس يضمن لها الاستقرار والتخصص والاستفادة من الكفاءات مما دفع بالموظف الى ان يصبح مساوما يبحث عن المنصب الذي يسد الربح الوفير ، والتعويضات الكافية ، والاندبىس المرتفع والعمل المرعب ، فحلت بذلك بعض الوزارات التي لا روايتها تغري ولا تعويضاتها خالية من الحراس ، واكبر مثال على ذلك وزارة التعليم ، وبناء الفصول ، وتكوين الاطارات لا يؤمها الا مضطرب ، ولا يعمل بها الا من لفظته الابواب واوصدت في وجهه النوافذ فيدخل الى التعليم راضيا

التي جعلتها جامدة لا تجتر الا الموات من تفكير الاموات فاصبحت لا تفني عن الحياة شيئاً .. وقد استفحل الاستعمار هذا الجمود لصالحه حتى لا يستيقظ العقل العربي ماردا جبارا يحطم الاغلال ويعيد التاريخ ويقهر الدخيل ، وجاءت اليقظة وعم الانبعاث وتحقق الاستقلال ورجعنا الى موارد الثقافة نستمد منها فاذا هي سلاح افناه الدهر واكله الصدا ووجدنا تراثنا عاجزا عن مسايرة الركب متاخرا عن التمدن الحديث وكانت الانتكاسة فاصبحنا نهاجم كل قديم ونكفر بكل موروث ، ونتملق بكل جديد ونؤمن بكل وافد ، وما انصفنا حضارتنا وتراثنا في واقع الامر وانما ظلمنا ذلك الارث الخالد الذي ولد ولم يجد من يحضنه ونبت ولم يلق من يتعمده ..

وعسى ان تكون هذه الخطوة فاتحة عهد جديد للدراسات الاسلامية فتعيد لحضارتنا رونقها الجميل وسيرتها الاولى يوم كانت تحلق بجناحين : جناح الخلق والايمان والروح ، وجناح العقل والعلم والاختراع ، وحينئذ تحقق ما يدعو له الاسلام ويؤمن به من ازدواج في التكوين الانساني يعني بالروح اعتناء بالمادة ، ويعمل للحياة عمله للأخرة ..

وعندئذ سيكون الاختصاص في ثقافتنا غير الاختصاص الذي عرفناه ، ذلك الاختصاص الذي حرم ثقافتنا الاسلامية زمنا طويلا عن منابع الحياة ، ورافد المعرفة مما قضى على عقولنا وجمد تفكيرنا وحصرنا في دائرة ضيقة لا نعرف شيئاً عما حولنا ، ولا نأثر ، ولا نؤثر وغير الاختصاص الذي ابتلي به هذا العصر فكان سببا لضيق الافق الفكري وعاملا من عوامل الجهل النسبي مما ادى بالانسانية الى الطبقة الفكرية ، وحرم الانسانية من طاقات ثمرة جبارة لو وسعت آفاقها الى جانب اختصاصها لا وجدت قاسما مشتركا يجمع المختصين ، هذا القاسم الذي يدفع بنا جميعا الى التعرف على جوانب متنوعة والوان مختلفة من المعارف الانسانية ويكون سببا في ازدهار الحضارة ، وعاملا في الاستفادة من الجهود المبذولة والعقول المبدعة ..

وفي بلاد الرافدين :

الام مدرسة :

لاول مرة في تاريخ العراق الحديث يسمح للمرأة بالدخول لكلية الشريعة لتشارك اخاها الرجل في الدراسات الاسلامية ، ولتعمل معه متعاونين على خدمة مجتمعنا العربي المسلم وتوجيهه توجيها سليما، والحق ان هذا القرار الذي اتخذته كلية الشريعة العراقية

والخطوة التي خطاها الازهر الشريف بارض الكنانة حيث قرر في اول هذه السنة الدراسية واحد وستين واثنين وستين قبول الطالبات في مختلف كليات الجامعة الازهرية يعتبر نصرا كبيرا للمرأة العربية المسلمة ، ولعل الفضل يرجع الى جامعة القرويين بفاس التي كانت اول جامعة اسلامية فتحت سدرها للمرأة واعادت لها حقوقها المسلوبة في الثقافة الاسلامية وبواتها المكانة التي وضعها فيها الاسلام .

والواقع ان المرأة في مجتمعنا الاسلامي على قدر ما رفع الاسلام من قدرها ، وعلى قدر ما اعطاها من الحقوق وجعلها اخنا للرجل تشاركه الحقوق وتساظره الواجبات ، بقدر ما ظلمها التزمتمون من المسلمين حيث جردوها من مكاسبها جميعا ، وحرموها من حقوقها والزموها البيوت وقصروها على المقاصر وخذروها بالخدور ، وسلبوها نعمة العلم ، ونور العقل فاصبحت عضوا اشل لا يقوم باية مهمة ، وشتان بين عصر يؤخذ فيه الدين عن النساء العلمات (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميرى) وبين عصر يتخرج ابناؤه من تعليم البنات وتثقيف النساء ، وشتان بين دين يوجب العلم والثقافة على الذكر والانثى ، وبين متدينين حصروا معرفة الدين على طائفة خاصة من الرجال اسموهم رجال دين ... ولبت شعري متى كان للاسلام رجال دين او نساء دين انما نحن جميعا رجالا ونساء مكلفون بتليغ ما نعلم ، ومن هنا كان المسلم رجل دين وعقيدة ولو اعوزه التخصص والتبحر .

وعسى ان تحقق الاخت المسلمة بدخولها الى ميدان حرمت منه اكثر من الف سنة امانى الاممة العربية ، وتعيد لنا تاريخ الامجاد ، وتشارك اخوانها في الكفاح المرير من اجل اسعاد شعبنا وبناء امتنا وتوجيه مجتمعنا توجيها سليم الاتجاه ، قويم الخلق ، قوي التكوين ، وان اغلب مصائب امتنا واقوى اسباب تاخرنا يرجع الى تخلف القاعدة الاساسية التي يبنى عليها كيان المجتمع ويتوقف على مستواها مستقبل الشعب الا وهو المرأة مربية الاجيال ، ومكونة الشعوب وصانعة المعجزات ومبدعة التاريخ وموجهة الامم ، وما احوج المرأة المسلمة للدراسات الاسلامية ، والتكوين الروحي الذي يجعل منها نورا يهدي شبابنا ويعدها للدفاع عن معتقدات امتنا وحراسة تراثنا بتكوين ابنائنا تكوينا خلقيا صحيحا وتنشئتهم على المبادئ الاسلامية الصحيحة ، وتطهير عقولهم من خرافات الجاهلين وسموم المفرضين :

الام مدرسة اذا اعدتها يود اعددت شعبا طيب الاعراق

اعداد : موساوي زروق

عبد الكريم التوازي
لداستاز

مول قصيدة: انما اخوان

وبعد ...

عصية حين وجد نفسه في الميزان وهو الذي كان يصور له خياله المجنح انه فوق الاعتبارات وكل القيود .. وانما سنحاول في رفق وهدوء ان نعالج ما ساقه في حقائقه الخمس .. وكم يؤسفني ان اجد نفسي مضطرا من جديد ومنذ بداية الحديث على محاسبته على ما كنت اكدته في تعليقي الاول حين وصفت معدته بعسر الهضم ، وانها لا تستطيع ان تضم الا بعد الاجترار المتكرر . وفي هذا الموضوع خلا للاستاذ الحلوي هذه المرة في رده على تعقيبي لا ان يخرج عما اعتاده والفه من تقليد الآخرين في كل شيء بما في ذلك تنظيم كتاباته فحسب ، وانما شاء ان يقلدني انا بالذات حين قسم بحثه الى حقائقه الخمس .. واذكنت قد رمت الاستاذ الحلوي بالاجترار - وفي عرف الحيوان الناطق هذه المرة حتى لا يفضب ، فيضطر الى شرح المفردات اعتقادا منه انه في درس من دروسه التقليدية - فما قلت منكرا من القول ولا زورا، وتعليقه الثاني اعظم شاهد على ما اقول ، وهو نفسه اكد وفي حرارة واسلوب خطابي مبسط استغرق صفحة كاملة من مجلة دعوة الحق هذه الفكرة ، بل ودافع عن احقيته في ان يجتر ، وهو بعد هذا لا يتوانى ان يقول : ان هذا الاجترار هو وحده الذي يربطه وادبه بماضيه السعيد ، وهو الذي يجعل لمعاني شعره الاهداف العليا ، والمثل السامية التي تتوخاها الانسانية الحاضرة في تطوافها نحو استكناه المجهول ، ويؤكد ان الاجترار هو السبيل الوحيد الذي يعطي معطيات الشعر - في نظره - الروافد القيمة بجعله يتطلع الى الخلود ، ويطمع في البقاء .. وليستر هذا الاجترار المتعمد يضي عليه كلمات براءة هي بدورها اجترار لما كان قد قاله الشاعر العربي :

اترانا نقول الا معادا او معارا من قولنا مكرورا

كنت انتظر من الاخ الحلوي وفي تعليقه الثاني بالذات على قصيدتي ان يركز انتقاده حول موضوعية القصيدة وشكليتها ومدى استجابتها لما وضعت من اجله ، او على الاقل ان يضع النقطة على الحروف ويفتح اعين القراء على الجوانب التي استرعت اهتمامه من حيث يريد ، وان يكون قبل هذا وبعده موضوعيا الى اقصى حدود الامكان او على الاقل الى الدرجة التي تظهره بمظهر الناقد البصير النزيه والذي يحاول جهد امكانه ان يبين الحقائق المجردة وان يلقي عليها من انوار مجهره الدقيق الضواء الكشافة التي تقف المتبعين للحياة الادبية في هذا البلد الكريم على المواضع المغموزة - في نظره - في القصيدة التي كانت - ويجب ان تظل - محور كل هذه التعليقات - ولو انه فعل - وله الاختيار - اذن لاراح نفسه من غناء البحث وراء سراب خادع ، ولجنب قلمه هذه الكلمات النائية - المنافية لمكانته كاديب ممتاز - التي اوردها في غير ما موضع من تعليقه الثاني والاول ، ولا بعد كذلك عن اذواق القراء هذا الاسلوب المهلهل الذي حاول وراءه وبه ان يبين عن هذا اللاشئ الذي اقام حوله زوبعة في فنجان .

وكنت انتظر من الاخ الحلوي كذلك ان يركز نقده حول النقطة التي كان اثارها في تعليقه الاول فلا يحبط خبط عشواء او يتهافت في هذا العديد من النظريات المتناقضة، والافكار اللامحدودة المعالم او الاهداف والتي اوردها في سياق مشوش الانعام ، عديم الارتباط .. ولكن اذا كان من الحقائق المسلمة ان الانسان - يجب ان يتقبل احيانا الواقع بوصفه حقيقة راهنة ان طائعا او مكرها، فانا لن نحاسب الحلوي على هذا التهافت الذي دعاه اليه فيما يبدو ما كان يعاينه من انفعالات نفسية

ويبدو ان الاجترار اصبح ملكة اصيلة لدى الاخ الحلوي ، حتى انه لا يستطيع حتى حين يحاول ان يضرب مثلا ما الا ان يسرق هذه الامثال ايضا من الاقدمين ، فهو حين اراد ان يصفنا بمرض الذوق والتعامي عن رؤية الحقائق الفاضحة لم يشعر الا وهو يجتر امثال الشاعر المتنبي :

ومن يك ذا فم مر مريض

يجد مرا به الماء الزللا

وليس يصح في الافهام شيء

اذا احتاج النهار الى دليل

واذا كان الحلوي يرى ان من الاصلة وربط لحاضر بالماضي والمستقبل الاستمداد من افكار الآخرين ، فله رايه الخاص ، ونحن لا نناقشه في مدى ايمانه بهذه النظرية ، وانما الذي نريد ان ننبهه اليه ونثبته ، هو اننا نرى خلاف ما يعتقد ، فان الظروف والتيارات والتفاعلات التي واكبت حياة وحضارة عصر ما ، لا يمكن ان تكون هي هي نفس التيارات التي تماشي وتواكب مختلف الحضارات الاخرى ، والا لما استطاع الانسان ان يصل الى ما وصل اليه من اكتشافات واختراعات .. اننا حين نحاول دراسة الماضي للمعرفة والاعتبار والوقوف على التاريخ الحضاري لامة ما ، ولفترة ما من حياة ما ، انما نحاول ان نستكنه الاسباب والظروف التي كونت تلك الحضارة وكيفتها ، ونصرف الاتجاهات الاصلية التي عملت على صبغها بهذه الصفة دون تلك ، انما نحاول عن طريق الاجترار ان تكيف وجودنا طبق ما توجيه رسوبات الآخرين من الوان واذواق فهذا شيء لا يمكن ان يخطر ببال انسان يملك ذرة عقل مميز سليم .. ان الاصلة كل الاصلة في ان نضيف - او نحاول ان نضيف - صورا ناطقة واحاسيس حية نابضة الى الصور والاحاسيس الحية الخالدة التي استطاع اولئك الخالدون ان يرسموها في ظلال والوان زاهية قاومت الفناء واستطاعت ان تنفذ البناء جياشة بالحياة ، فياضة بالمعطيات قوية بالمعاني، زاخرة بالعواطف والخلجات الانسانية .. والادب منذ كان - والشعر اسدق صورة للاداب الانسانية - عمل ابدا وسيظل يعمل على ربط الصور النابضة في مختلف حيوات الخالدين النابيين وافكارهم حتى تظل النبراس الكشاف الذي يستضيء به السائرون

في مجاهل المستقبل المجهول . ولكن لا ليجتروه ويقفوا عنه ، وانما ليضيفوا اليه اضواء كاشفة اخرى ويرسموا من كل ذلك صورة زاخرة بمختلف احاسيسهم الواقعية وغير الواقعية ، لا ان يظلوا في دوامة من الافكار المجتررة ، فلو ان الانسان عمل على اساس فكرة الاجترار مهما فسرت ، لما وجد مختلف النظريات التقدمية في جميع الميادين ، ولما استطاع الرعيل البشري ان يقطع كل هذه المراحل الطويلة التي قطعها عبر مسيره نحو النور والانطلاق ، ولكن الشيء المحقق والذي لا يحتاج الى دليل هو ان الاقطاب والخالدين كانوا دوما خلاقين ومبدعين ، وكانوا ابدا يبتكرون الافكار التي تعتبر الخلية وتعد النواة .. ثم ياتي بعد هؤلاء آخرون قد لا يفهم من الحياة الا صورها الظاهرة الباهتة لانهم يعلمون ظاهر الحياة الدنيا وهم عن الحقائق الازلية غافلون ، هؤلاء هم اصحاب الافكار الضحلة القبطية الذين لا يتفكرون يجترونها ويدورون في دوامة من افكار من سبقوهم .. ونحن عندما نحاول ان ندرس الشعر او الادب برمته كظاهرة انسانية حضارية لا يمكن ان ننظر اليه الا من جهة الخلق والابداع ، فما كان للمتنبي ودانتي وبيرون وفكتور هيغو وويلز وشوبان وفولتير واين الرومي ان يخلدوا لو ان اثارهم اقتصرت على لوك افكار من سبقوهم ، لا ابدا ، انما دخلوا التاريخ حين حاولوا فاستطاعوا - وقد يكون الى حد ما - ان يفتحوا نوافذ جديدة على آفاق جديدة من الحياة الانسانية واستطاعوا ان يفتحوا اعين الناس في تركيز على هذه المناحي التي ظلت مجهولة لدى الرواد قبلهم ، ولكل هذا ارجو ان يفكر الاستاذ الحلوي في ان الشعر الاصيل انما ينبثق عن الروح المومنة بالخلق والابتكار في معناها الواسع الدقيق ، ولا يمكن ان يفسر قولنا هذا بأنه تنكر للماضي المجيد او غير المجيد وانما هو امتداد له ، وتأكيد للوحدة والوشائج الانسانية الراضية رغبة جامحة في ان تعمل على تحقيق الافضل والأزغد من العيش والاسعد من الحياة ، ونعتبر - وهذا ما يجب - ان الشعر سوف يظل الى الابد القاسم المشترك الاعظم في جميع الاتجاهات الحية في خلايا الانسان الخالد ولا يمكن هذا الا اذا تصورناه وجسمناه حسب معطيات الحياة المتجددة في كل وقت وحين ، ومن حق الحلوي اذا كانت افكاره لا تتسع لهذه الاجواء البعيدة الاغوار في مجاهل الكيان الانساني ان يكتفي بالاجترار وان يصوره له خياله السجين بأنه التعبير الاصيل والطريق الوحيد للمحافظة على ما

يسميه تاريخ الامجاد وامجاد التاريخ ، اما نحن فما زلنا نؤكد وفي حرارة بان الشعر ، بل الحياة لا يمكن ان تكون ذات قيمة حقيقية اذا لم تتجدد في كل شيء ، لا في صور الناس وازيائهم وافكارهم السطحية الضحلة وانما في نظرهم العميقة الى تفهم اسرار الكون وخبائبا الوجود ، وما كان في مقدور غير الشعر ان يسبر هذه الاغوار وان يصل الى تحديد مفاهيمها واعطائها مضامينها الصور المتحركة المعبرة ..

ويشير الاستاذ الحلوي في حقيقته الاولى مشكلة دقيقة هي مشكلة حكم القراء على الانتاج ، والحلوي في هذه القضية يكاد يؤكد بانه لولا القراء لما استطاع ان يكتب شيئا او ينتج انتاجا ، والى هنا قد تكون للحلوي اغذاره الخاصة ، ولكن الشيء الذي لا يمكن ان يعتذر له عنه هو ادعاؤه بان اي شاعر ما كان يكتب الا ليقصده الا آخرون .. وهنا ايضا اقول لصلاح الحلوي بانني اعتقد ان اي شاعر من هذا النوع لا بد انه يشكو مركب نقص فظيع حين يربط انتاجه بالآخرين ، لان معنى هذا ان مثل هذا الشاعر لا يجد من نفسه الدوافع الفريزية والميول الانسانية التي تجعله يخلق وابتكر لمجرد الايمان برسالة الخلق والابتكار ما دام المفروض فيه ان يحتل مركز القيادة والزعامة ، اذ الشعر ليس بضاعة مجردة او نظرية اقتصادية بمعناها الخاف ثور اذا لم تجد مستهلكا ، وان على الممثل في مثل هذا الحال ان يوقف عجلة الانتاج ، لا ابدا ان الشاعر لا يمكنه ان يوقف انتاجه لان هذا الانتاج هو في الحقيقة المسيطر عليه ، ولانه الطريق الوحيد للتعبير عن الوجود الدائم للشاعر ، والشاعر لا يمكنه ان يتأثر ابدا - في حدود ذاتيته وكيانه - بالاحكام التي يطدها عليه الآخرون مهما تكن تلك الاحكام صائبة او جائرة ، لان الرسالة التي يتحمل اعباءها عن رضا وطواعية واختيار لا يمكن ان تترك له مجالا للاختيار في الانتاج وعدمه ، فنحن يا اخي الحلوي لا نتسج ليقرا لنا الناس ، والا امسكنا عن الانتاج ، لا ياخي ولو حدث هذا مرة واحدة في التاريخ لما امكن لكثير من النظريات التي اثبتت محك التجربة صلاحيتها ان ترى النور ، ان التوالد الطبيعي لكل الكائنات لا يمكن ان يخضع لتغير الرغبة الاصلية في الانتاج ، هذه الرغبة التي تعد هذا التوالد نفسه التعبير الصادق للجسم - بالبناء للفاعل - للوجود ، فلو ان ابيقور مثلا وهو اول فيلسوف - فيما اعرف - عالج موضوعا حسابيا

في نظرة الناس للحياة : اللذة والالم - (راجع كتاب الدكتور اسماعيل مظهر في الموضوع) عمل على ضوء نظرية الكتابة للقراءة من الآخرين لما امكن لنظرياتهم ان تصلنا الآن في المذهب الوجودي الذي يحاول بعض الناس لهذا السبب او ذاك ان ينسبوا ابتكاره لسارتر الاديب الفرنسي المشهور ، ان الاديب - كما قلت سابقا - عند ما يحس في اعماقه برغبة الانتاج والتوالد ، انما يكون مدفوعا بقوة لا منظورة السي تسجيل ما يحسه ويجول بخاطره ثم لا عليه اقرا الناس ما انتج ام اهملوه ما دام هو قد ادى رسالته ، ولو ان هذا المبدأ الذي يدعو اليه الحلوي ساد الحياة لكان على الحياة نفسها ان تغير الكثير منها لان الناس لا يحسون له وجودا ولا يجدون له طعما ولا لذة .. انها الرغبة الاجبارية في الانتاج تلك التي تدفع الشاعر الاصيل الى تسجيل افكاره وخواطره ، لهذا فليس من حق احد ان يرغمه آخر على قراءة الآخرين او قراءة انتاجهم ، على ان القراءة الموضوعية المركزة تستحسن اكثر فاكثر عند ما يتعلق الامر بالنقد والتوجيه ، ومن الغريب ان الحلوي بعد ان حمل علي حملة شعواء لاني قلت اني لا اقرا انتاجه وعد هذا نقصا في اي انسان ينتسب للادب ارتكب نفس (الخطأ) وفي شكل افظع حين ناقض نفسه في هذه القضية ، فهو في حقيقته الثالثة يقول بالنص : (.. ولكني مع الاسف لم اجد ما يفريني بالوقوف فتناوت منها ما اتار اهتمامي وتركت الباقي لحكم التاريخ اشفاقا على نفسي وضنا بوقتي ..) بينما يعود في آخر فقرات مقاله ليقول بالنص ايضا (.. وانا اؤكد له انني مفرم بقراءة جميع المحاولات حتى ولو كانت فاشلة لاني اعرف كيف استفيد منها . الخ) فأيضا المتهافت والمتناقض مع نفسه .. ؟

واما حديث الاخ الحلوي عن مدارس الشعر فهو يحاول فيه - والاجترار ايضا هو الذي اوقعه في هذا المأزق - ان يبدو قاضيا مطلقا ، حاكما بأمره يضع الناس حيث يشاء دون اي اعتبار لتغير احكامه ، والا فمن اين جاءه هذا الادعاء الفارغ بانه هو يمثل المدرسة القديمة بخصائصها وسماتها ، وان الاخ الطنجي - واعتذر عن افحامه ضمن هذه المناقشات - يمثل المدرسة الحديثة ، ان المدارس الادبية تعنى اولاً وبالذات الطرق الواضحة لمعالجة الافكار الادبية الصادرة عن النفس الانسانية تجسيما لميولها ورغباتها وتصويرا لنزعاتها التي لا يمكن ان تنحصر - في نظر المومنين بشمولية الادب - في قديم وحديث الا عند ما لا توضع

الإنسانية الكثيرة الجوانب والمتعددة الميول ، وان من يحاول أن يقصر النفس على اتجاه خاص دون غيره ويرغمها على سلوك طريق معين انما يجهل حقيقة بسيطة بساطة ان النار تحرق ، وهي ان قيمة الانسان انما تتجسم في مدى قدرته على ان يخلق من نفسه ولنفسه وللآخرين اجواء قد تبدو غريبة وفي صور متناقضة في بعض الاحايين ، ولعل فن المقامات في الادب العربي كان محاولة لبواعث الايمان بفكرة تعدد ميول الانسان وتباين سلوكه تبعاً للتيارات المتباينة والحوافز المختلفة ولعل الشعراء العرب كانوا مثالا حيا لهذه الظاهرة الشيء الذي حمل النقاد الاقدمين على اعتبارها من احمل وأبرز سميزات الشعراء ، ولعله ايضا من هنا جاءت لمؤلفي التاريخ الادبي نظرية اختيار الانتاج الادبي للشعراء والادباء على اساس ما انشأوه وقالوه في جميع ميادين الشعر من غزل ومدح وهجاء وتصوف الخ..

.. ويثير الاستاذ الحلوي من جديد موضوع الحديث عن القومية والاعراف والديساتير ويقف حيث وقف من النقطة السابقة التناقض .. ولا بأس هنا ايضا من ان اذكر الاستاذ بحقيقة اخرى بسيطة ما انفك يرددتها ما دام استاذاً للاداب ، وهي ان الاسلوب العلمي غير الاسلوب الخطابى وهما غير الاسلوب الادبي ولو انه تذكر هذه الحقيقة لما غاب عنه كيف يعزل حديث التواتي وهو يحلل القومية واسسها ، وحديث التواتي وهو يدعو الى التحلل من القوميات الضيقة ويدعو الى الايمان بالوحدة الاسلامية كعقيدة يجب ان تحل محل القوميات جميعها .. وانا لا اعتقد - كما يعتقد - اننا كسينا ربعا ما - غير التهريج والديماغوجية - من الجامعة العربية على وضعها الحالي ، كما اعتقد ان لا عرقلة ابدا في طريق الدعوة الى وحدة اسلامية على عكس الدعوات الى القوميات ، لان هذه تقوم على اسس مادية صرفة ومنافع مؤقتة ومحدودة باعتبار الزمان والمكان بينما الدعوة الى الوحدة الاسلامية تراعي كل ذلك وتزيد عليه حين تريد ان يكون الارتباط بين مختلف الاعضاء على اساس من رضا الله ومبايعته ، وفرق بين ما يباركه الله وما يباركه الناس ، وبهذه المناسبة احب ان اسجل هنا حادثة قصها علي الامام الشنقيطي وزير التعليم في المملكة الاردنية حدثت له مع شخصية اقتصادية بارزة في احدى الجمهوريات العربية ، قال الامام الشنقيطي لمحدثه - والموضوع في ايها افضل واجدى

للاشياء الموازين .. اما عند ما يراد استقصاء الاسباب والدوافع الحقيقية لانتاج هذا اوذاك، فان المدارس تعدد، والمناهج تختلف ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فاذا كان الحلوي قد رضي لنفسه ان يتحصن وراء اسوار المدرسة القديمة ، فاني انا من جهتي اتحاشى ان احكم لنفسي بهذا او ذاك او بما لم يستحي الحلوي ان يجعله قسما ثالثا ويثبتته في مقاله الثاني فان مثل هذه الاحكام كان يجب ان تترك للتاريخ وللنقاد ، ومسئور السماجة ان يحكم الانسان لنفسه بالجودة والاصالة او ان يدعي ان مجرد كلمات عابرة صادرة من اشخاص مهما تكن منزلتهم ، كافية لان تحمل الانسان العاقل على التباهي باصالته ، فان كتب التاريخ الادبي القديمة مليئة بكثير من امثال هؤلاء الذين يجدون من معاصريهم التأييد والتصفيق ولكنهم عندما اريد ادراجهم ضمن الخالدين اختفوا باختفاء المصقيين والهاتفين .. افترض الحلوي ان يكون مثل هؤلاء .. اما انا فيعلم الله اني لا اهتم بما يقول الناس بقدر ما اهتم برغبتى الاكيدة في ان احاول الاستجابة لجيشان نفسي ورغبتى الصادقة في ان تعمل شيئا من اجل الخلود الادبي ، وكان بودي - وكنت قلت هذا في تعليقي الاول - لو ان الحلوي انتقد القصيدتين مقطعا مقطعا ، وبينا بيتا ، ليرى الى اي مدى يختلف اتجاهانا تعبيريا وشكلا ونفا ومضمونا ..

واعود الى موضوع الحقيقة الرابعة لاذكر الحلوي بأنه وقف من هذه القضية موقف السفسطائيين فهو قد وضع مقدمة مفلوطة حين اعتقد بان الانسان يجب ان يكون شيئا واحدا لا ينفك عن ماضيه الا بمقدار ما يبقيه متعلقا بحاضره وكان من الطبيعي ان تؤدي هذه المقدمة الفاسدة الى نتيجة واحدة هي عدم التمييز بين منطقتي العقل والعواطف ، ولو ان الحلوي حمل نفسه بعض العناء فدرس الجوانب الشكلية والموضوعية لحياة بعض الخالدين حتى اولئك الذين يعرفهم هو لوجد لهم اتجاهات قد تبدو في نظر قاصري النظر متناقضة وما هي في واقع الامر سوى التعبير المجسم للانطلاقات الحافزة التي تجعلهم يمتازون عن بقية الناس ، وللتمثيل ، لا شك ان الحلوي قد قرأ كثيرا من الاشعار الغزلية لفقهاء كانوا يتصدرون مراكز الافئدة والقضاء ، وكانت مراكزهم تلك لا تسمح لهم - في عرف اجوائهم الخاصة - بان يخوضوا ميادين التشبيب والغزل ، ولكنها النفس

على العرب ، الدعوة الى العروبة ام السى الاسلام -
انا لست اقتصاديا ومع ذلك فاني ارجو ان تجيبني
عن هذا السؤال الاقتصادي وهو ايهما اكثر فائدة
ريح اثنين او عشرة ؟ قال الامام الشنيطي لقد
اجابني الاقتصادي الخبير العشرة بالطبع ، قال
الامام الشنيطي قلت فلم اذن تعملون على اغتصاب
اربعمائة مليون مسلم من اجل ارضاء نصف مليون من
المسيحيين ...؟ واقول بدوري ما هي الفوائد
الحقيقية التي جئناها حتى الآن وراء الدعوة السى
القومية العربية التي لم تتجاوز حتى عند دعائها
منطقة الدعاية والآراء والشعور ...؟ انه من الجميل
حقا ان تكون شعراء ولكن عندما نعالج
الحقائق الصارخة والتي لا تتلقى
والاخيلة العاطفية يجب ان تكون مع انفسنا واقعيين
الى اقصى الحدود الممكنة لهذه الواقعية . لكل ذلك
فما زلت اعتقد على - خلاف الاستاذ الحلوي - ان
وحدة اسلامية هي وحدها الكفيلة باخراج - لا العالم
الاسلامي وحده - من هذه الجيرة واللبلة والخوف
والاضطراب التي يشعر بها الجميع وانما العالم اجمع ،
واقولها صراحة ان الدعوة الى الوحدة الاسلامية لا
يمكن ان تقابلها الدعوة الى اليهودية او المسيحية ،
وان تكن الدعوة الى اليهودية والمسيحية قائمة فعلا
وواقعا فهل قامت اسرائيل في قلب العالم العربي
المسلم والمؤيدة من طرف الياة الاممية الا على اساس
من الدعوة اليهودية ؟ وهل يعيش الفاتيكان الدولة في
قلب دولة الا على اساس من الدعوة المسيحية ؟
فاذا دعونا نحن الى وحدة اسلامية رميننا بالجمود والرجعية
ووصفنا بالدعوة الى القبيلية والنصرة الجاهلية ،
اللهم ان كانت الدعوة الى الوحدة الاسلامية دعوة
جاهلية فاحيني عليها وامتنى عليها . ثم ان الاسلام
حين ردد الآية الكريمة التي اوردها الاستاذ الحلوي
(يا ايها الناس انا خلقناكم .. الآية) انما اوردها في
مقام التذكير بان هذه الوحدة لا يمكن ان تتم وعلى
اسس صحيحة متينة الا في ظلال الايمان بالا اله واحد ،
وبان الاسلام وحدة شاملة كاملة تستطيع في مفاهيمها
الانسانية ، ومضامينها الالهية ان تغلب على جميع
العقبات التي ما انفكت تعترض سبيل الانسانية
المتعثرة نحو النور والحياة ، ومحاولات الانسان
الوصول الى حياة الكمال والعزة الحقيقية لم تتجسم الامرة
واحدة عند ما استطاع محمد (ص) ان يقنع الناس
بضرورة الايمان بوحدة الاهداف والافراض المنبثقة
عن الايمان بوحداية الله التي هي خلاصة العقيدة
الاسلامية، واذا كان العالم الغربي حتى الآن لم يستطع

رغم جميع ما احده من نظريات اقتصادية وغيرها وبما
سنه من قوانين ووضعه من شرائع وكونه من منظمات
ان يجعل الانسان يطمئن الى مصيره وينجيه من
الارتباك والخوف من الحياة ومن اخيه الانسان ، فانما
ذلك لان اي دعوة لا تقوم على اساس الدعوة الى اله
ولا تستند الى وحدة روحية تكون فيها المادة احدى
الاسس لا انها الاس وكل شيء لا يمكن ان تستمر او
تنجح او تبقى ، لهذا يا اخي الحلوي فاني اومن بان
الطريق الوحيد لصالح الانسان وتحقيق مبادئ
التعايش السلمي انما تتحقق عند ما يسود الارض
الدين الاسلامي ، وسيرى الجاحدون لهذه الحقيقة
كيف انهم بعيدون عن تحقيق اهدافهم متى ظلوا
بعداء في افكارهم وءرائهم عن الاسلام بمعناه
الانساني الكامل الشامل ، وفي اسسه التي وضعت من
اجل اسعاد المجموع البشري على ضوء الواقع الذي
يحياء ومع مراعاة ظروفه وملاساته . وانما عن الجانب
الشكلي الذي اورده الحلوي كخاتمة لحقائقه الخمسة
فيؤلمني ان يكون الاخ الحلوي ارتكب
خطأ فاحشا قد يكون غير
قصد حين قال بالنص (.. ان الالتفات الى الجوانب
النفسية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية في اي
عمل ادبي مرحلة ثانوية - كذا - يمر اليها الناقد عن
طريق الشكلية وجمال الاء ..) ذلك ان هذا قلب
فاضح للحقيقة التي يجب ان تهدف اليها الاداب
والشعر في مقدمتها - فان كل من يفكر ويومن بان
الادب انما يتبع من صميم الحياة بجميع مظاهرها
ومتناقضاتها لا يمكن ان يعتبر اولية الاء والشكل ،
وثانوية المفاهيم والمضامين ، فان من اسط الامور
الملموسة ان الاء والشكل انما كانا - وجودا - من
اجل المضمون والمفهوم ، اللهم الا اذا اصيحت الحقائق
كلها معكوسة في نظر استاذنا الحلوي واصبح لا يفكر
- حين يكتب - في غير البهجة اللفظية والاء
الموسيقى ان صح التعبير ولو على حساب الفاية
والاهداف .. واريد ان يفكر الاستاذ الحلوي معي
فيما كانت ستؤول اليه الاداب الانسانية الخالدة
العالية التي انجبتها قرائح شوامخ الاقطاب العالميين لو
لم يراع فيها الاحسن الاء وصياغة الشكل ؟ ان
هذا الذي يدعو اليه الحلوي يدعو الى مزيد من المدرس
والتعليق قد نفرد له فضلا خاصا فيما بعد وعليه
ان يتحمل تبعات ما قد ينشأ عن هذه الافكار .. انها
افكار تسوقنا الى استذكار عهود الخوارزمي ، وديع
الزمان ، والصاحب بن عباد ، والحريري ، يوم كانت

اللغوية هذا التركيب بالذات قارى ان القياس لا يمنع
صوغها على البناء للفاعل . ففي اللسان مادة جهم
ما نصه (. . جهمه يجهمه) بالبناء للفاعل) استقبله
بوجه كريبه قال عمرو بن الفضفاض الجهني :

ولا تجهميننا ام عمرو فانما
بناداء طبي لم تخنه عوامله

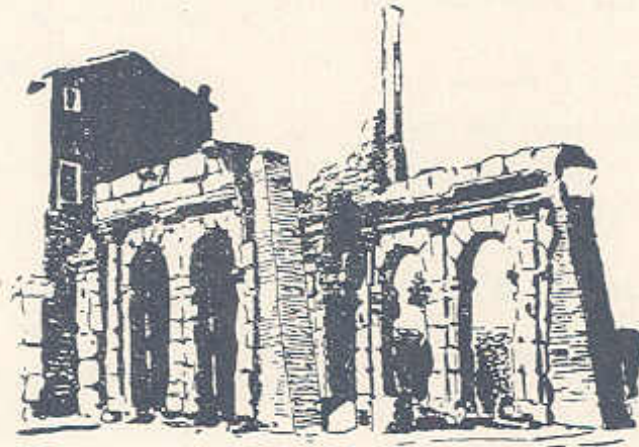
وقد يستأنس لاجازة القياس في هذه المادة بما
جاء في اللسان في آخر نفس المادة (. . وبنو جاهمة بطن
منهم) اي جهيمة . .

وبعد فارجو من الاخ الحلوي ان قدر له ان
يعود للتعليق مرة ثالثة ان يحدد الاهداف من هذا
النقاش وما اذا كانت - فقط - القصيدة (اننا
اخوان) هي دائما محوره . . وليطمئن السى انى
سوف لا اناخر عن مناقشته الحساب على اي طريق
اراد ، على طريق مصارعة الثيران او مفازلة
القيان . . .

الحديث ذو شجون

فيه الاداب لا تعدو ان تكون مقالا تجتر فيه الالفاظ في
مجانسات لفظية بحثة على حساب المعنى ودون مراعاة
له او اعتبار ، افلا تصدقوني الآن ان قلت ان الاستاذ
الحلوي قد اختلطت في ذهنه الحقائق الثابتة
والمفاهيم العصرية حين يحاول ان يتهرب منها على
حساب الماضي ، وحين يفضل طريقة بديع الزمان
والصاحب بن عباد في معالجة القضايا الادبية التي هي
القضايا الانسانية في محتواها البعيد والقريب . ان
الشكل والاداء يجب اعتبارهما - في نظر العقلاء
تأويين ويجب اعتبار المضامين الغاية والمقصد اولا
وبالذات فالناس - او انما على الاقل - لا اعجب
بالمثني ، او ابي تمام ، او البحتري ، وابي نواس ،
وابن زيدون واضرابهم لمائة اللفظ وسلاسة التعبير
كما يقول النقاد الاقدمون . لا ياخي وانما اعجب
بالاقتار والمعاني والاحيلة التي استطاعوا ان يبتكروها
ويخترعوها ثم يصوغوها في قوالب من الشعر الحي
الجياش النابض بالمعطيات . .

بقيت كلمة قبل الاخيرة يجب ان اهمس بها في
اذن الاخ الحلوي حول البحث اللغوي الذي اثاره عن
لفظة جهم والجاهم فاقول : انه وان لم تذكر المعاجم



رَأْيٌ فِي الْقَصِيدَتَيْنِ مَعًا

للاستاذ
محمد السرفيني

1 - فهما يلتقيان في الوزن والقافية ، اذ انهما على وزن الخفيف ذي التفاعيل الستة ، عمارة نجد بعض ابائهما مدورة ، واخرى نجدها ذات شطر وعجز ، كما ان القافية النونية التي تحدث رزينا اخاذا هسي احدي وجوه التشابه بين القصيدتين ، فهي في كليهما نون مكسورة قبلها الف لينة .

2 - ونجد بعض التعابير موحدة فيهما . يقول التوائي :

يا اخي اني وانت على رغم هوانا وانفنا اخوان .

ويقول الحلوي :

يا اخي نحن في الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان .

ويكرر هذا البيت في راس كل فقرة في قصيدته ، فكانه الفكرة الاولى فيها .

3 - ونجد ان ادوات الاستفهام عندهما تتشابه ، مما يؤكد هذا التشابه ويبلوره ، فهما قد استفهما بعلى ما ، ولم ، والهمزة ، وان كان التوائي ، قد سكن ميم لم لضرورة الإيقاع .

افتراق القصيدتين :

ووجوه الافتراق ايضا تتناول المضمون والشكل : فمن ناحية المضمون ، نجد ان التوائي فلسف موضوعه وعمقه ، اذ جعل الدعامة الاولى للاخاء ، هي الوحدة الايمانية التي تطالب بها الديانات على اختلافها ، وذلك الحب الذي تدعو اليه العقائد المختلفة :

ان هذه الحركة الانتقادية التي دارت بين السيدين : الحلوي والتوائي ، على منبر مجلة (دعوة الحق) ، يمكن ان نجعل منها نقطة انطلاق نحو ايجاد حركة نقدية نحب لها ان تلتحم ، فتدفع الذين تعودوا ان يسكتوا ، الى ان يخوضوا هذا الغمار ، معتمدين على حاستهم النقدية فقط ، من غير تعرض الى اشياء اخرى خارجة عن نطاق العمل الذي يحلل ويدرس .

وعليه ، فلا حاجة بنا للتأكيد على خطورة النقد بالنسبة لكل حياة اديبة ، ولا الى التنبيه على الانواع والمدارس النقدية ، فذلك لا يتسع له المجال . والحق ان ما قرأته لهذين السيدين ، لم يكن من باب النقد الخالص ، ومع ان المجال كان متسعا لكليهما ، اذ كان في امكانهما ان يستخرجا عن طريق المقارنة بين القصيدتين كثيرا من اللغات التي تساعد النقد في اظهار مواطن الرداءة والجودة فيهما ، الا انهما عرزا عن ذلك ، وخاضا في امور بعيدة بعيدة .

التقاء القصيدتين : انه من الممكن ان نقسم وجوه التقاء القصيدتين الى مضمون والى شكل :

فمن ناحية المضمون ، نجد ان المعنى الرئيسي فيهما ، يهدف الى شجب الحرب ، والدعاية الى السلم ، وذلك عن طريق ارشاد الانسان الى انسانيته ، من حيث يراها اخوة كائنة في كل المخلوقات بقطع النظر عن اللون والجنس والدين . اما من ناحية الشكل :

يا اخي انني واثت على رغم الديانات في الدني اخوان
والديانات مذ توات على الارض دعتنا للحب والايمن
وكلانا انا واثت خليقان بان نحيا في صفا وامان
هذه الارض امننا والسماوات ظلال ترعانا في اطمئنان

واستطاع بواسطة ابتهال صوفي ان يضع يديه
على المشكل الذي خلقه الانسان وتعذب به :

وتسايح شع منها هدى الحق مضيئا في احلك الاحزان
فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطدت يد الرحمن

وكان هذا الابتهاال ذا صفة وعظمية لم تذهب
بتقاء الصورة وعمقها . واذا كان لم يستغل مشاهد
الطبيعة ليقدتها على موضعه ، فيزيده خصوبة ، فانه
عوض عن ذلك باعطاء تشابه غزلية ، كان يقصد منها
الى جعل الصورة في مكانها المقدس بصفة نهائية :

ابدا يا اخي (فانا ابتسامات العذارى لمفريات الاماني).

وبعد هذا ، التفت الى تلك المؤثرات التي تجعل
اخوة الانسان حتمية لاتقبل الجدل ، تلك المؤثرات هي
وحدة المصير - القدر المحتوم - انصهار المبادئ
واللون والجنس في بوتقة الانسان لدرجة انها تصبح
عقيمة المعنى اذ يتلاشى كل شيء فيها ما عدا انسانية
الانسان - القوميات - الدساتير - القوانين - ثم
الحضارة الانسانية في شمولها وابعادها :

وحدث بيننا المصائر والاقدار مذ كنا في ضمير الزمان
المبادئ واللون الفاظ بلا روح او بدون معاني
والقوميات والدساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان

ويقول :

الحضارات ملكنا نحن الاثنين خلقناها بالدماء والجنان
والحروب المدمرات عدو لكلينا البيض والسودان

ثم بدأ يتساءل في حيرة عن هذا التطاحن
الموجود بين الدول ، وعن العلم ، هل وجد من اجل
سعادة الانسان او شقائه ؟ وكان يقصد من وراء
هذا التساؤل الى اظهار فداحة الخطا الذي يتركه
الانسان وهو يحصد عمره بيده ، اذ يصنع بها الاسلحة
الفتاكة ، ويعيش بفكره يحلم بالسلام والامن :

يا اخي لم تسابق الدول الكبرى لانتاج افنك النيران؟
الملا الارض الجميلة رعبا باسم حفظ السلام والاطوان ؟
التدمير ما بيننا من الاحلام او شدنا من صروح الاماني؟

ولكي يكتسب هذا العمق عنده شكلا فلسفيا
فقد تبني فكرة الحلول ، ولهذا بدا يطالب كل انسان
بالعمل معه على تحقيق رغبة الحياة في الانسان ، وهنا
عاد الى ايمانه يستلهمه ، فالله لا يترك الذين يسعون
في الخير يتعثرون في الديجور :

(يا اخي ما اراك الا وجودا وامتدادا لروحي الهيمان)
فلنسر في طريقنا نحقق في صبر رجاء الحياة في الانسان
فالله الرحيم يكلا بالتوفيق معنى الانسان في الاحسان

ويمكن ان نلخص ان هذا العمق اتى من تعدد
الصور في القصيد ، مما جعلها حركية ، ولولا تلك
التساؤلات المتكررة في بعض الاحيان ، لكانت القصيد
خالية من كل ركود .

اما بالنسبة الى الحلوي ، فاننا نرى ان الشعارية
تكاد تغز من كل بيت من ابيات قصيدته ، ولذلك
نجدته يتناول موضوع الحرب والاخاء من وجهة نظر
اخرى : فهو ربما ارجع المسؤولية في فوضى العالم الى
خطيئة ادم الاولى ، هذه الخطيئة التي وحدتنا
كبشر ، لاننا انحدرنا من سلالة مرتكبيها :

يا اخي نحن في الحياة على رغم هوانا وانفنا اخوان
فعلما ما نعيش في هذه الدنيا ذئابا في صورة الانسان ؟
نحن ابناء والد جرع اللذة سما من ناضرات الجنان
اغضب الله لاهيا فتهوى من خلود الى وجود فان

وهو يستفزع ظمأ الانسان الى الدماء ، في الوقت
الذي يسمى فيه للحب ، مما يجعله يشجب حيوانية
الانسان وغاييته :

ولماذا نهيج شوقا الى الحرب نعاني من نارها ما نعاني ؟
ظامئات نفوسنا للدم المسفوح تختال منه احمر قاني
نتساقى كأس الصداقة والحب بايد مضرجات البنان
نتفاني على الحطام وما يبقى حطام ولا يزول التفاني

لا يملك اذنا موسيقية ان يشعر باحتفاظ الوزن بالمديبات التي يتكون منها ايقاعه ، وهذا وان كان جائزا ، الا ان الاكثار منه يفتصب من القصيدة رواءها النغمي . والظاهرة الكثيرة من هذا الزحاف عند التواتي ، هي انه يلجئ قارئه الى ان لا يضغط على حرف طة ، ذلك الضغط الزحافي الذي يسمى بالمد :

وكلانا انا وانت خليقان بان نحيد (ا) في صفا وامان

فكلمة نحيا لا يستقيم معها الوزن الا اذا لم نضغط على الياء في آخرها .

(2) وهناك بعض الابيات لا تستقيم بوضعها في القصيدة ، مع وزن الخفيف ، ويمكن ان تكون المطبوعة قد اخلت بواجبها ازاء هذه الابيات ، فصارت ذات عاهة ايقاعية :

المبادئ واللون والجنس الفاظ بلا روح او بدون معاني والقوميات والديساتير والاعراف من وضع عابدي الاوثان

وهذا البيت :

والحروب المدمرات عدو لكلينا (البيض والسودان

لا يستقيم الا بجعل همزة الوصل في : (البيض) همزة قطع . اما السقطات النحوية ، فهي :

(1) النيران بدل النيرين ، فهي معطوفة على مجرور :

وتهادى جمالها الرائق الاخاذ كل الوجود و (النيران) .

واذا كان الشاعر يعني بها جمع نار ، فالمعنى لا يستقيم ابدا . وهناك بعض ملاحظات لغوية ، وهي : استعمال نمنى مكان ننمى ، فننمى مضارع من انماه كبره او جعله ينتمى اليه ، واعتقد ان الوزن هو الذي منع هذا ، ثم جمع (وسام) على وسامات ، لارضاء الايقاع .

اما الحلوي ، فلا تكاد نعر له على سقطات من هذا النوع ، وان كنا نلاحظ بعض الفاظ او تعابير ذات استعمال كلاسيكية ، : مضرجات البنان ، عي ، ليج في ، نذكي اجيج نار فنصلها ، ولكنها لا تجعلنا نذهب الى القول ان الحلوي بحثري معاصر . والحق ان

وهو يتحسر على الحق الذي عيي لسانه ، فيتوجه الى الانسان يعاتبه في قسوة ، ويخاطبه بكلمات مرة :

يا غليظ الطباع يا ساغل الاطماع يا عار هذه الاكوان !
ويتساءل في مرارة عما يهدف اليه هذا الانسان من حياته ؟

اكذا اختار ان يعيش بنو الدنيا وقودا يضيء ركب الزمان
ويقول :

الهدا اخي اتيت الى الدنيا ، اهذي رسالة الانسان ؟

وبعد هذا يعود في شاعرية شفافة ليعكس موضوعه على صفحة لازوردية من صفحات الطبيعة ، تلك هي صفحة البحر بموجه وزورقه ورباته . والحق انه استطاع بمهارة ان يخضع جميع العناصر التي تكمل هذه الصورة البحرية ، لتجربته : فالزورق هو الحياة ، والامواج هذه المشاكل التي تعترض سبيل الانسان ، والريان هو العقل الذي يقوده نحو النور ، اما المجذاف فهو الحكمة والصبر اللذان يفضيان به اذا تمسك بهما الى الشاطئ الامين :

نحن في زورق نقاذفه الموج عديم الشراع والريان

ويقول :

ضاع منا المجذاف وامتلا الزورق في ماء ولج في الخفقان فتعاون معي لنجدف بالايدي فترسو على جناح الامان!

وهناك تساؤلات شاعرية بعيدة كل البعد عن ان تكون عميقة ، لانها مجرد خواطر فقط :

لم نحيا على اختلاف ونسعى في افتراق كائنا ضدان ؟
لم نذكي اجيج نار فنصلها كائنا من عابدي النيران ؟

ومن ناحية الشكل ، فاننا نجد في قصيدة التواتي بعض السقطات النحوية والعروضية ، ولكنها رغم ذلك قابلة للاحتمال ، اذ انه يمكن ان تكون المطبوعة قد اخطأت في رسمها ، وهو امر معتاد في بلدنا . وعلى هذا الاساس ، نستطيع ان نقسم السقطات العروضية التي لاحظناها الى قسمين :

(1) تلك الزحافات والعلل التي غزت هذا الايقاع فجعلت من المتعذر على الذي

الاخلاص للشاعرية ، يقتل في نفس الشاعر تلك النزعة الى التقليد ، وذلك الشوق الى ان يلوك الصور التي سبق اليها .

فالحلوي ينتهج اسلوبا مهجريا حين يجسد الطبيعة ويحييها ، ليجعلها ناطقة بصوره وتجاربه :

نحن في زورق تقاذفه الموج عديم الشراع والربان .

وهو في هذا شبيهه بالشاعر ايليا ابي ماضي في قصيدته (بتسم) :

فاضحك فان الشهب تضحك والدجى متلاطم ولذانحب الانجما

وكذلك جبران في (النبي) : (ان ما تشعرون به من الالم ، هو انكسار القشرة التي تغلف ادراككم ، وكما ان القشرة الصلدة التي تحجب الثمرة يجب ان تتحطم حتى يبرز قلبها من ظلمة الارض الى نور الشمس) وهذا اسلوب نراه شائعا في الانجيل . والحلوي حين تحدث عن غرور الانسان وسفالتة :

يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !

ذكرنا ذلك بقصيدة (الطين) ، لابي ماضي ايضا :

نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيبها وعزبد وكسى الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد

ولكن ، يلاحظ ان شاعرنا واجه الحقيقة بكثير من الصراحة المباشرة ، اذ خاطب الانسان بفليسط الطباع ، وسافل الاطماع ، بينما حاول ابو ماضي ان يشير الى حقارة الانسان عن طريق لا مباشر ، فالانسان حين يتاح له ان ينتعش ، ينسى انه حقير كالشراب اصله . ونستطيع ان نجد فوق هذا تأثيرا لطف المهندس في قصيدة الحلوي ، وذلك ان هذا الشاعر ، يكثر من ترديد الصور البحرية في شعره ، نتيجة لاسفاره المتعددة ، فهو يرسم لنا في قصيدته (الجنودل) تلك الروعة التي استشعرها وهو بمدينة (البندقية) ، ويكفي ان نعرف انه فضل ان يسمي احدى ذوايته : (الملاح الثالثه) ، لتحقيق هذه الغاية . والحق ان الحلوي كان موقفا في تقديم تجربته من خلال الصورة البحرية التي جعل ادواتها الخام هي : (البحر - الموج - الزورق

قصائده الطوال التي تقال في المناسبات ، يظهر عليها التأثير البحري بجلاء ، ولا ينقصها لكي تعبر عنه ، الا الجو الذي كانت تنشده فيه .

والتواني يصدر عن عاطفة دينية ، اذ انه لا ينسى الله والديانات ومفهومهما في توحيد البشر ، ولا يفتأ يردد ذلك في اول القصيدة :

يا اخي انني وانت على رغم الديانات في الدنا اخوان والديانات مد تواليت على الارض دعمتنا للحب والايامن

وفي وسطها :

فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطلدت يد الرحمان ؟

وفي اخرها :

فالاله الرحيم يكلا بالتوفيق مسعى الانسان في الاحسان

بينما نجد ان الحلوي لم يستغل هذه العاطفة ، لظهور مدى طفيان الانسان وجوره ، واعتقد انه عوض عن ذلك باستغلاله مشاهد الطبيعة ، لتشخيص صورته :

نحن في زورق تقاذفه الموج عديم الشراع والربان في ظلام كالموج ادعو فما تسمع صوتي واشتبي ان تراني ضاع منا المجداف وامتلأ الزورق في ماء ولج في الخفقان

ويقول :

لم نبكي وفي الطبيعة سحر وجمال وصفوة واغاني ؟

فذاك اقرب الى الشاعرية ، اما استغلال المشاعر الدينية في القصيدة ، فانه يكتسب طابعا وعظما ، وان كان يمكن ان تحول هذه الطاقات الوعظية الى خميلة شعرية اذا احسن استغلالها .

مقارنات : ان القصد وراء المقارنة هذه ، ان نقيس

مدى نسبة الاصاله في كلتا القصيدتين ، لنستطيع من خلال ذلك ان نقدر الجهد الذهني والعاطفي اللذين صرفهما الشاعران من اجل انشاء قصيدتيهما ، ومن ثم يمكن الحكم بدقة على مظاهر الاخلاص للشاعرية ، تلك المظاهر التي تنمكس على القصيدتين معا ، لان

هذا الفشل في انجاح هذه الصورة ، راجعا الى ان كلا منهما لم يعش ظروفًا حربية قاسية ، تخصب في نفسه القلقة كل معاني العطف على الانسان . وعليه فهما زاولا صورتها من خلال ما سمعاها عن الحرب وليس من رأى كمن سمع . ولكي نتأكد من امكان نجاح الشعراء في وصفهم للحرب بعد ان عاشوها ، نسرّد هذه الاسماء لشعراء فرنسيين بلغوا القمة في هذا المضمار ، وهم : بول ايليار (1865 - 1952) ولويس اراكون وجاك بريفيير (✻) .

وعلى هذا الاساس ، يمكن ان ندين شاعرينا بتقصير فظيع ، - وان كانا غير مسؤولين عنه - ادى الى فشل صورهما الشعرية عن الحرب ، لانهما لم يستطيعا محاكاتها ، واستقطاب الفطائع التي تصيب الانسان منها ، الا من خلال تلك الرنة الوعظية التي ذهبت بكل روعة محتملة .

ونجد في كلتا القصيدتين بعض افكار اجنبية ، ترفرف في ملل من خلال ابياتهما ، لانها ليست في مكانها . فالتواتي يشير الى حلوية مسيحية ، ويجعلها احدى الوشائج التي تربط بين الانسان والانسان :

يا اخي ما اراك الا وجودا وامتدادا لروحي الهيمان

وهي نفس الحلوية التي يتبناها المهاجرون المسيحيون ، كميكائيل نعيمة ، وابي ماضي ، بقول هذا الاخير :

خلت اني في القفر اصحت وحدي
فاذا الناس كلهم في ثيابي

والحق ان هذا يمكن ان يرجع الى نفس الشاعر الصوفية ، التي افصحت عن نفسها في قصيدته غير ما مرة . اما الحلوي ، فقد اشار الى اسطورة ادم ، وهي وان كانت مشاعة بين الديانات التوحيدية كلها ، الا انني اعتقد انه زاولها من طريق اشارة لا مباشرة الى الخطيئة الاولى ، فكأنه يقول : « نحن ابناء اب خاطيء » فلماذا نستمر في الخطا ؟ وهذا تأثير مسيحي :

الريان - المجذاف - الشراع) . اما التواتي ، فحين تحدث عن الاخاء وفلسفة الالوان ، كان ذلك كفيلا بان يذكرنا بكثير من القصائد التي قبلت في هذا الموضوع . ولكن الذي نلاحظه ، انه لم يستطع ان يستغل صورة فلسفة الالوان استغلالا دقيقا ، بعد ان كانت قصيدته تمتاز بهذه الصورة على قصيدة الحلوي ، انا نجد هذه الصورة براقية مشعة عند ابي ماضي في قصيدته (الطبن) :

يا اخي لا تمل بوجهك عني

ما انا فحمة ولا انت فرقد

فابو ماضي يلقي اليك صورته ببساطة ليزرف خطورة هذا الوضع الانساني الشاذ ، وكثيرا ما تكون البساطة سببا في تهويل وتعميق الشعور بالمناسي بينما اكتفى التواتي بلغة عابرة اثار فيها للتفرقة اللونية ، ولو استغلها ذلك الاستغلال الجدير بها ، لكانت قصيدته ذات عمق عميق . والواقع ان هذا الاسلوب البسيط ، جدير به ان ينفع في مثل هذه المواضيع ، اذ انها مكرورة ، كتب فيها الانسان منذ اجياله الادبية الاولى ، ولهذا ، فاذا لم يغير منها الاسلوب المعهود في كتابتها ، ربما تكون ذات رنة وعظيمة ، تفقدها روعة الخلق الكامنة فيها . ولعل الذين يخرجون الاشرطة التي تعالج مشاكل الحرب ، في فرنسا قد ادركوا ذلك ، فعادوا يلقون قصصهم في كثير من العفوية والبساطة في الاخراج . ونفس الشيء ، يمكن ان يقال في الاشرطة التي تعالج قضية الميز العنصري ان في فرنسا او في امريكا ، والحق ان الشعارين معا ، لم يستطيعا ان يحملانا في قصيدتيهما ، الى حيث نشعر بخطورة الموضوع الذي يزاولانه . هناك صخب عاطفي ما في ذلك شك ، ولكنه مشوش متداخل ، يجعلك تشك في مدى اخلاص كل من الشعارين في اصفاء روحه على صورته الشعرية التي يلقيها موزونة حينما تأخذ صيغتها النهائية . وكنت احب ان يكونا من الشعارية بحيث يبرزان حقيقة الحرب امام قارئهما بشكل يجعله يستفطعها ، ويومن بخطورها على الانسان والحضارات ، ويمكن ان يكون

✻ فيما يخص الشعارين الاولين ، انظر عنهما : سلسلة : شعراء اليوم : مختارات من شعرهما . اما الاخير ، فانظر قصيدته (بربارا) في ديوانه : كلمات .

نحن أبناء والد جرع اللذة سما من ناضرات الجنان
اغضب الله لاهيا فتهاوى من خلود الى وجود فان

ملاحظات: واخيرا ، نرى من اللازم توجيه بعض الملاحظات :

1 - عدم الاخلاص في الصورة الشعرية المزاولة عند كل من الشعارين ، وخصوصا منها ما كان متعلقا بالحرب .

2 - الرنة الوعظية التي تتجلى في تلك الاوامر : (استعمال فعل الامر) التي يلقيانها معا ، وهي ثقل في قصيدة الحلوي ، وتعنف في قصيدة التوازي .

3 - تكرار ذلك التساؤل بشكل مفاجيء ، يجعلك تفقد لذة الاستمتاع بالفكرة التي سبقته ، بالإضافة الى ان هناك تساؤلات ساذجة :

يقول الحلوي :

ولماذا نهيج شوقا الى الحرب تعاني من نارها ما تعاني؟

ويقول ايضا :

اكذا اختاران يعيش بنوا الارض وقودا يضيء ركب الزمان؟

ويقول التوازي :

فلماذا اخي تنكر قلبانا لما وطدت يد الرحمان ؟

ويقول ايضا :

فلم الحرب يا اخي وامانينا سواء واننا اخوان ؟

وترجع سذاجة هذه التساؤلات الى انها لا تهدف الى خلق جو مبهم باستفهامها يعيش فيه القارئ ويجعله في شوق لمعرفة الصور الشعرية التي ستاتي بعده .

4 - ونلاحظ ان بعض المعاني لا تنتظم في سلسلة مترابطة تبدأ من الاسفل وتنتهي الى الاعلى ، يقول الحلوي :

بتفانون كي يعيشوا فيفنون ضحايا مطامع واماني
يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !

فهو يتحدث عن اطماع الانسان الجشعة ، ثم ينتقل فجأة الى شتمه، لظهار غروره وكبريائه . وهذه الظاهرة ثقل عند الحلوي عنها عند التوازي ، فهو يقول:

ولماذا ندوس في فورة الجهل تماثيل حينا الفينان ؟
ولماذا اخي نحطم بالحقد دنانا كأننا يائسان ؟

ابدا يا اخي فانا ابتسامات العذارى لمغريات الاماني

هذه التساؤلات ، لا تنجم مع القرار الهادي، الذي حمله الينا هذا البيت الثالث . واقرأ الفقرة الثانية من هذه القصيدة ، لتجد ان العلاقة بين معانيها يأخذها بعض وهن .

5 - ورغم هذا كله، فنحن نجد ابياتا في القصيدتين معا ، من الروعة بحيث تستطيع ان تفتننا عن كل ما عداها ، وذلك لانها كانت في المستوى الفكري اللائق بموضوع مثل هذا .

يقول التوازي :

ووسامات ساحة الحرب ليست غير خزي الانسان للانسان

ويقول :

الملا الارض الجميلة رعبا باسم حفظ السلام والاطوان؟

ويقول الحلوي :

تتفاني على الحطام وما يبقى حطام ولا يزول التفاني

ويقول ايضا :

فعلى م نعيش في هذه الدنيا ذئابا في صورة الانسان ؟

ويقول ايضا :

يا غليظ الطباع يا سافل الاطماع يا عار هذه الاكوان !

الهدا اخي اثبت الى الدنيا ، أهدي رسالة الانسان ؟

أبياء ثقافية

تتم تنقصة ورقة واحدة بين الباب الثامنة والخمسين، والواحدة والستين من إحدى مقالاته . والكتاب نظم رجزى من نوع الأراجيز العلمية المعروفة في أوساط الاندلس . ويبلغ عدد أبياته 7765 بيتا رتبته صاحبه على سبع مقالات .

✳ وجه معهد الدراسات العربية العالمية بالقاهرة الدعوة الى الأستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون ليحاضر في قسم الدراسات الادبية عن « الحياة الادبية في المغرب » .

✳ نظمت المندوبية السامية للشبية والرياضة المغربية معرضا للرسوم التي يرجع تاريخها الى ما قبل سنة 1860 وضعتها تحت تصرفها منظمة اليونسكو العالمية . وذلك بقاعة باب الرواح بالرباط .

✳ « الاستقلالية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة » كتاب صدر اخيرا بالمغرب ، مؤلفه الأستاذ عبد الحميد عواد .

✳ شارك عميد الجامعة المغربية الأستاذ محمد الفاسي في مؤتمر تكوين الاطارات العالمية لوزارة التهذيب الوطني للوطن العربي .

✳ نظم المركز الثقافي العربي خلال الشهر الماضي عدة ندوات ومحاضرات ومناقشات ثقافية وفكرية في مدينتي الرباط وفاس .

✳ صدرت عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية جريدة بعنوان « الحسنى » ، وهي اسبوعية تمنى بالشؤون الاسلامية والثقافية عامة ، يديرها الأستاذ السيد محمد المدور .

✳ تأسست في وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية لجنة للتأليف والترجمة والنشر .

✳ تستعد جمعية « نبراس الفكر » في نطاق نشاطها الثقافي ، لعقد مهرجان كبير يستمر خمسة أيام في عطلة الربيع المقبلة ، وذلك بمدينة تطوان وتحت عنوان :

« المغرب والتيارات العقائدية في العالم »

وقد وضعت الجمعية التصميم العام لهذا المهرجان . وكان قد سبق لهذه الجمعية ان نظمت بتطوان في ابريل 1960 مهرجانا فلسفيا ، واصدرت في الايام الاخيرة كتابا بعنوان : « فلاسفة الاسلام في الغرب العربي » يضم محتويات هذا المهرجان

وتجري الاستعدادات ليشارك في هذا المهرجان أكبر عدد ممكن من قادة الفكر واصحاب الاختصاص في الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية .

✳ كان الاكتشاف الهام في مهرجان ابن طفيل الذي اقيم في لبنان بمناسبة مرور 850 عاما على ميلاده هو ما أعلنه مندوب المغرب الأستاذ محمد النازي في الدراسة التي القاها في هذا المهرجان نيابة عن كاتبها الأستاذ محمد العابد الفاسي ، محافظ جامعة القرويين الذي عثر مؤخرا في مكتبة الجامعة المذكورة على مخطوطة :

« رجز ابن طفيل في الطب العام » .

ويذكر الأستاذ الفاسي في دراسته هذه ان هذا الكتاب يقع تحت رقم 30158\30 في مجلد ضخيم مكتوب بخط اندلسي صحيح متقن غفل من تاريخ النسخ واسم النسخ . ويبلغ عدد اوراقه 150 ورقة ، ومقياسه 20 x 22 في ورق متلاشي ، وبعض اوراقه مبللة . وفي القليل منها تلاشي شديد ، ومع ذلك فهي تقرأ بوضوح ، وورقته الاولى والاخيرة بخط جيد . وبظهر اول ورقة منه وثيقة الوقف ، والكتاب

* عقد في الرباط مؤخرا مؤتمر الاذاعات الافريقية تحت رئاسة السيد محمد المختار ، المدير العام للاذاعة الوطنية ، الذي انتخب رئيسا لهذا المؤتمر ، شاركت فيه عدة وفود من الوطن الافريقي .

* شارك المغرب في المؤتمر الاسلامي الذي عقد مؤخرا بالقدس ، بوفد من علماء المغرب يتركب من السادة : عبد الرحمن الدكالي ، الحاج حسن بوعبيد ، ابراهيم الكتاني ، الحسن بناني ، محمد المدور الذين انتدبتهم وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية ، للمشاركة في هذا المؤتمر .

* اسندت رئاسة قسم الادب واللغات الشرقية بكلية الاداب المغربية الى الاستاذ محمد بن تاويت عن طريق الانتخاب .

* اصدرت الاذاعة الوطنية المغربية جريدة اسبوعية بعنوان « صوت المغرب » مديرها الاستاذ محمد المختار مدير الاذاعة الوطنية .

* شارك المغرب في مؤتمر اليونيسكو لتنمية الانباء بافريقيا ، الذي عقدته منظمة اليونيسكو بباريس ، وعقد في اواخر الشهر الماضي . وكان يتركب الوفد المغربي من الكاتب العام لوزارة الانباء ، والسيد محمد المختار المدير العام للاذاعة المغربية ، والسيد عمر غنام مدير المركز السينماتوغرافي والسيد المهدي بنونة المدير العام لوكالة المغرب العربي للانباء .

* « الاسلام الحق » كتاب لمؤلفه محمد الكامل التونسي سيصدر قريبا .

* جمع الشاعر التونسي الهادي لقمان قصائده التي كتبها في ايام شبابه ليصدرها في ديوان .

* سيصدر قريبا الشاعر التونسي فوز الدين محمود ديوانا بعنوان « نبضات قلبي » .

* نشر في تونس اخيرا كتاب (الخيال الشعري عند العرب) وهو من تراث الشاعر التونسي المرحوم : « ابي القاسم الشابي » يتناول فيه موضوع الخيال في الشعر العربي والقصص والاساطير العربية .

الطبعة الاولى من الكتاب ظهرت سنة 1933 ، اي قبل وفاة الشاعر بسنة واحدة . يعتبر هذا الكتاب اعنف هجوم على الشعر القديم رغم انه مكتوب بأسلوب عربي جميل مشرق .

* اصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا بمؤتمر الادب العربي الذي عقد في شهر اكتوبر في روما .

* سيصدر في القاهرة ديوان « العروبة » للشاعر السوداني عبد الله عبد الرحمن الامين .

* عقد مؤتمر الكتاب الافريقيين الاسيويين في القاهرة في شهر فبراير .

* من المنتظر ان يعقد مؤتمر الفنون الشعبية بالقاهرة في منتصف شهر مارس المقبل .

* جرت اتصالات بين بعض الشركات السينمائية في هوليد ، وبعض الادباء الذين ترجموا مسرحيات وقصصا لتوفيق الحكيم ، بقصد الاتفاق على اخراج احدي روايات الكاتب العربي الكبير على شاشة السينما . وتحويلها الى فيلم تنتجه هذه الشركة السينمائية .

* السيدة « انطوانيت بطيخة » ترجمت الى الفرنسية بعض قصص وروايات لتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، وبخمس حقي ، ومحمود البدوي ، وعبد الحليم عبد الله ، وامين يوسف نجراي .

* « ترجمات عالمية » للشعر العربي « بدأت لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب في ترجمة الجزء الثاني من اعمال الشعراء العرب الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ويضم الجزء الثاني قصائد لابراهيم ناجي واحمد رامي وعلي محمود طه وصالح جودت وعلي الجندي .

* تصدر في اول الشهر القادم المسرحية الاولى للدكتور لويس عوض واسم المسرحية « الرهيب » تتحدث عن ثورة قام بها المصريون ضد الاستعمار الروماني واستمرت هذه الثورة ثمانية اشهر .

* يترجم الدكتور محمد مندور دائرة المعارف المسرحية الفرنسية الى العربية .

* استند الى الدكتور طه حسين الاشراف على معهد الدراسات العربية العالية خلفا للمرحوم محمد شفيق غريبال .

* قررت لجنة التوجيه والتبادل الثقافي بمجلس الآداب والفنون انشاء جائزة سنوية باسم « جائزة غريبال » .

* ترجم المستشرق الاسباني بيدرو مريث 15 قصة مصرية الى اللغة الاسبانية للكتاب المصريين: محمود تيمور ، محمود طاهر ، يحيى حقي ، نجيب محفوظ ، يوسف ادريس ، يوسف الشاروني ، عبد الرحمن الشراوي ، مصطفى محمود ، عبد الحليم عبد الله .

* منح الدكتور عبد الجبار جرمود جائزة المؤلفين العرب ، وقدرها الف الفيرة ، عن كتابه « يزيد بن يزيد الشيباني » . . . وهي الجائزة التي قدمها مجلس بيروت البلدي لجمعية اصدقاء الكتاب، لتمنحها لافضل كتاب نشر في لبنان باللغة العربية في عام 1961 .

* منح في الايام الاخيرة الاديب اللبناني الكبير ميخائيل جائزة رئيس الجمهورية اللبنانية للآداب .

* صدر في بيروت كتاب بعنوان « قضايا جديدة في الادب الحديث » للدكتور محمد مندور في منشورات دار الآداب .

* انتهت مجلة « الاديب » اللبنانية في دجنبر الماضي عامها الحادي والعشرين . ولا شك ان هذه المجلة خدمت الادب العربي خدمة كبيرة واسعة ، وانشات جيلا من الكتاب وعرفت بهم في البلاد العربية

* اقيم في بيروت مهرجان شعري للذكرى شاعر الارز شبلي الملاط .

* صدرت في بيروت مجلة نسائية باسم « الحسناء » .

* الدكتور نجيب الكيلاني فرغ من كتابة ثلاثة كتب : الربيع العاصف (رواية) ، ودموع الامير (مجموعة قصص) ورأس الشيطان (رواية) . تظهر الكتب الثلاثة خلال هذا العام .

* « اللص والكلاب » رواية من تأليف نجيب محفوظ تصدر قريبا .

* الدكتور لويس عوض يكتب دراسة عن « تحرير المرأة » في الفكر العربي الحديث يدرس فيها آراء قاسم أمين ، ولطفي السيد ، وطه حسين ، وغيرهم من دعاة تحرير المرأة .

* قررت جامعة عين الشمس شراء مكتبة المؤرخ الاستاذ محمد شفيق غريبال ، وقد الفت لجنة برئاسة الدكتور احمد عزت عبد الكريم عميد كلية الآداب ، لفحص محتويات المكتبة وتقدير ثمنها وهذه هي المكتبة الثالثة التي تشتريها الجامعة بحيث اشترت من قبل مكتبة الدكتور احمد عيسى ، ومكتبة المعهد البريطاني .

* اصدرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية التي تشرف على نشر مؤلفات (احمد تيمور) كتابا جديدا له هو « الموسوعة التيمورية » التي تتحدث عن آراء العرب في عدد كبير من الموضوعات (خلق الانسان وصفاته . . . الخ) كما اصدرت اللجنة كتابين هما (خيال الظل واللعب والتمثيل عند العرب) و (علي بن ابي طالب : شعره وحكمته) .

* تقوم لجنة المسرح في مجلس الفنون بوضع المصطلحات الخاصة بفنون المسرح ، والسينما ، والموسيقى ، والاذاعة والتلفزيون . . . ومن بين المصطلحات التي اقترتها : « الاذاعة المرئية » بدل التلفزيون ، « المطولة الموسيقية » بدل السيمفوني ، « والمحترف » بدل الاثلييه ، « والماشط » بدل الماكير ، « والمتحدث » بدل الموضة .

ومما يذكر ان هذه المصطلحات نفسها عرضت على المجمع اللغوي .

* صدر عن اتحاد الادباء العراقيين ببغداد ثلاث مجموعات شعرية هي « الطوفان » لآلقرند سمعان ، و « قصائد كانت متنوعة » لعبد الرزاق عبد الواحد و « شاهد القرية » لعامد الغربي .

* ستصدر جمعية اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد مجلة بعنوان « الكتاب » .

* صدرت رواية « اليد والارض والماء » مؤلفها ذو النون مترجمة الى اللغة الروسية .

* انتهى الاستاذ عبد القدوس الانصاري من تأليف كتاب أسماء « تصحيح اخطاء المستشرقين في دراسة الآثار العربية القديمة » وقد حلل في هذا الكتاب الاخطاء على ضوء اللغة العربية الفصحى وما توصل اليه في دراسة الآثار والنقوش العربية ، كما صحح ايضا في الكتاب الاخطاء التي وقع فيها الكتاب العرب ، الذين ترجموا تلك الآثار من اللغات الاجنبية

* « قصائد مغفرة » ديوان شعري جديد سيقدمه الى القراء الشاعر السعودي عباس مهدي خزام .

* اصدر الشاعر السعودي محمد سعيد المسلم ديوانا جديدا بعنوان « شفق الاحلام » مشتملا على 26 قصيدة .

* يعد الآن الشاعر سعيد الهندي ديوانا للطبع بعنوان « من وحي العقيق » .

* اللغتان الانجليزية والفرنسية ستكونان ضمن المناهج الدراسية في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

* عثر في ايران ، على نسخة خطية من القرآن الكريم ، يرجع تاريخها الى سنة 198 هـ . وتعد أقدم نسخة من القرآن مكتوبة على الورق ، عثر عليها حتى الآن .

* عقد في يناير في (دكا) بباكستان الشرقية المؤتمر الدولي للمؤرخين بحث فيه الموضوعات المتعلقة بتاريخ الاسلام والثقافة الاسلامية

* اقيم في وسط هول بالجامعة الامركية في بيروت مهرجان ادباء العربية في البرازيل لتكريم الاخطل الصغير الشاعر بشارة الخوري .

* توفي في بيروت يوسف غسطين الذي شغل منصب مدير جريدة « الاهرام » .

* قريبا يصدر في بيروت « نشيد الرخام والشمس » يضم مقطوعات نثرية فنية لنقولا قربان .

* تصدر دار الشرق في بيروت سلسلة دراسات عن الشعراء المعاصرين ستظهر فيها حلقات تتناول الاحياء والاموات .

* « الفراغ الابيض » مجموعة شعرية لاياس الجبيلي ، نهج فيه نهج جديدا اذ اعتمد على طريقة المقاييس الشعرية الغربية في النظم .

* « في هيكل اللبانية » كتاب جديد يصدر قريبا في بيروت لجورج غريب .

* يصدر قريبا عن المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثاني من كتاب « النوادر » لابي مشحل .

* ظهر في دمشق كتاب « الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري » للكاتب احمد كمال زكي .

* « مثالب الوزيرين » رسالة ابي حيان التوحيدي المشهورة والتي كان الباحثون في ادب ابي حيان يجزمون بضياعها صدرت اخيرا عن دار الفكر في دمشق بتحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني .

* ستصدر وزارة الثقافة والارشاد بدمشق مجلة خاصة يتولى الاشراف عليها فؤاد الشايب .

* قام الاستاذ لؤي عجمان بترجمة مسرحية أوسكار وايلد « اهمية الحريق » الى اللغة العربية .

* سيقدم الشاعر العراقي عبد الله الجبوري ديوانا للطبع بعنوان « اشباح وظلال » .

* عقد في نيودلهي مؤخرا مؤتمر عالمي يدور موضوعه حول التاريخ الآسيوي .

* كتاب « أم النبي » للدكتورة بنت الشاطيء تم طبعه في جاكارتا مترجما الى اللغة الاندونيسية بقلم الدكتور ضياء شهاب الاستاذ بجامعة جاكارتا . ويشتمل الدكتور ضياء الآن بترجمة كتابي « نساء النبي وبنات النبي » استكمالا لهذه التراجم الادبية للشخصيات النبوية في بيت النبوة .

* يقوم الاستاذ خير الدين محمد من الملايو بترجمة قصص ابراهيم المصري « شروق الاسلام » و « الجارية والامير » و « حجاب العراق » و « حلم سميرة » الى لغة الملايو .

* قام المستشرق الهولندي « دكتور شومان » بترجمة كتاب تربية « سلامة موسى » الى الهولندية وقد ترجمت مكتبة الكونكرس الامريكي هذا الكتاب الى الفرنسية سنة 1952 ايضا ومن العرب ان المجلس الاعلى للاداب والفنون بالقاهرة يريد ان يترجم هذا الكتاب نفسه الى الانجليزية .

* في متحف مدينة ساتوماري في رومانيا كتاب هام اكتشف اخيرا . هذا الكتاب يضم حوار العالم الايطالي جاليليو الذي عارض فيه نظريات بطليموس في الكون .

* سال الصحفيون الاديب اليوغسلافي ايفيو اندريش الحائز على جائزة نوبل في الادب لهذا العام : عما شعر به عندما سمع بالخبر فقال : (يجب علي ان لا اعترف بان الاحساس الذي تولد في وجداني في هذه اللحظة اصعب بكثير جدا مما يمكن لي ان اصفه . لقد فكرت في الحال بان هذا اليوم هو يوم عظيم بالنسبة لبلدي وبالنسبة لي اما المجد ؟ فلا استطيع ان اقول بانني قد حلمت به . واني ارجو من كل قلبي ان اتمكن من التخلص من العذاب الذي ساليقه عن طريق الاجتماعات وحفلات الاستقبال والاحاديث التي ساكون مطالبا بها .

كتب ايفيو اندريش دراسات عن كبار الكتاب اليوغوسلافيين ، وعن جوبا ، وجوركي ، وبترارك .

ويعتبر اندريش من المتخصصين في اللغات فهو يعرف الفرنسية والالمانية والايطالية والانجليزية والاسبانية .

والشخصيات التي يتحدث عنها في روايته وقصصه هي شخصيات من تركيا والصرب . . . وقناصل ووزراء ورجال دين وفلاحون ولصوص .

* من اشهر الكتب التي صدرت عن حياة امبراطورة روسيا كاترين العظمى ، كتاب اسكندر دوماس الذي حلل فيه شخصية الامبراطورة التي عاشت حياتها في حلم ليلة عربية وكتاب فالسفسكي الذي يعتبر وثيقة تاريخية حيث جمع كتابه كل الوثائق عن عصر كاترين وحللها واصدر كتابه الذي أصبح أهم مرجع تاريخي عن حياة القيصرية وعصرها .

وأخر كتاب صدر عن حياة كاترين الفه كاتب انجليزي اسمه (يان جراي) وجعل مراجعه محصورة في الكتابين السابقين عن الامبراطورة ، وقد تعلم المؤلف اللغة الروسية ليقرأ كتاب فالسفسكي .

* ظهر اخيرا كتاب عن تولستوي ، مؤلف الكتاب هو سيرجي تولستوي الابن الاكبر للاديب الروسي . . . والكتاب في الاصل مجموعة من الذكريات كتبها الابن عن والده العظيم ، وقد وجدت هذه الذكريات ضمن الاوراق الخاصة لابن بعد وفاته سنة 1947 ولكنها لم تظهر في كتاب الابن في الفترة الاخيرة .

* دار الطبع والنشر للاداب الشرقية في موسكو نشرت مجموعة من المختارات الشعرية لعدد من شعراء الاقطار العربية المعاصرين مترجمة الى الروسية باشراف معهد الدراسات الشرقية في اكااديمية العلوم السوفيتية .

* اكتشف النقاد مسرحية قديمة للكاتب الالمانى (برتولت بريخت) وقد صدرت المسرحية هذا الشهر في دار نشر (لارشي) ، المسرحية اسمها (الخطايا السبع الرئيسية) وقد كتبها بريخت سنة 1932 . تحكي المسرحية قصة اختين احدهما ترقص والاخرى تفني وترغبان في كسب المال لبناء بيت وترتكبان في سبيل ذلك اية خطيئة .

* صدر في لندن كتاب يتضمن مجموعة من رسائل الشاعر الإيرلندي جورج راسل .

* اكتشفت إحدى جامعات لندن نصا عربيا جديدا لآلف ليلة وليلة يحتوي على أجزاء غير معروفة ، ستسافر الدكتورة فاطمة موسى الى لندن في الصيف القادم لتحقيق هذا النص .

* آخر كتاب أصدره أشهر الأدباء الشبان في إنجلترا كولن واس وهو كتاب يتضمن تحليل ثلاثمائة جريمة .

* من الكتب التاريخية التي صدرت في اميركا في الشهر الماضي كتاب عن « تاريخ الطب » في اوائل عهد اليونان والهندوس والفرس ، وكتابا : « العلم منذ نابليون » و « نحو علم حديث » وهما يتحدثان عن الثورة الكبرى التي حدثت في الاسكندرية ايام كانت العاصمة العلمية للعالم .

* سجل النقاد ان اهم كتاب ظهر في اميركا في الشهر الماضي هو الكتاب الذي الفه (سوليتورج) عن تاريخ حياة (ويليام راندولف هيرست) الرجل يملك الآن ثلاثا وعشرين دارا صحفية ويصدر خمس عشرة جريدة اسبوعية وتسع مجلات ، بالرغم من انه ولد في اسرة امية ، ليس فيها - تقريبا - فرد واحد متعلم .

* عثرت ارملة الكاتب والقاص العالمي هيمتكواي على ثلاثة مؤلفات ضخمة بين اوراقه الخاصة الاولى يحكي فيه ذكرياته وحياته في باريس بعد الحرب العالمية الاولى ، والثاني بعنوان (الضيف الخطير) .. وهو عبارة عن بحث في مصارعة الثيران . والمؤلف الثالث قصة طويلة كتب عليها هيمتكواي بخط يده كتاب ضخيم عن الارض والبحر والهواء) ولم يختر له هيمتكواي عنوانا بعد .. وانما سيختاره له ناشر مؤلفاته الذي قال انها احسن ما كتب هيمتكواي .. بل تفوق قصة « العجوز والبحر » التي جعلته يفوز بجائزة نوبل .

* الصحف الفرنسية والانجليزية تتحدث عن كاتب جديد في الادب الفرنسي هو جان كوا الذي فاز اخيرا بجائزة جوتكور للادب وهي من اشهر الجوائز الادبية في العالم .

* ظهرت في فرنسا كتب كثيرة تتعلق بالعالم العربي تزيد على الخمسين كتابا يتناول اكثرها مشكلات المغرب بالنسبة لفرنسا .

* صدر في باريس مجلد يضم انتاج الشاعر الرومانسي فيكتور هيكو مشتملا على 153 الف و 837 من الايات الشعرية واحتفل في ستراسبورج بفرنسا بمرور 100 سنة على ظهور كتابه « اليوساء » الشهير .

* الف المستشرق الايطالي فرانسيسكو جابريلي استاذ العربية في جامعة روما كتابا عن النهضة العربية يقرأ الآن في اميركا باقبال ملحوظ بعد ان ترجمه راندم هاومس الى اللغة الانجليزية وهذا الكتاب يؤرخ للنهضة العربية الحديثة ويصور نضال العرب في سبيل الاستقلال والحرية ، وقد لاحظ النقاد ان جابريلي شديد التحمس للجمهورية العربية المتحدة والتأثر بالرئيس جمال عبد الناصر في مقدرته ونزاهته وخطواته التي تسجل التقدم نحو الوحدة العربية .

* تحتفل ايطاليا بذكرى مرور 25 عاما على وفاة كاتبها المسرحي الكبير بيراندللو .

* آخر رواية للاديب الايطالي البرتو مورافيا اسمها « السام » . زار مورافيا البرازيل والهند اخيرا ويكتب الآن كتابا عن الهند .

* عثر بين انقاض مدينة بومبين التاريخية في ايطاليا على هيكل عبد مكبل بالسلاسل ، وعثر على مقربة منه على تمثال من البرونز يمثل اميرا شابا في وضع غرامي . ويعتقد علماء الآثار بان تحت خرائب بومبي آثارا نفيسة اخرى من الرخام والبرونز يمكن العثور عليها في عمليات التنقيب .